مجلة جامعة القدس المفتوحة

للبحوث الإنسانية والاجتماعية

مجلـــة علميـــة محكمـــة فصليـــة

ع (50) – أيلول 2019 م

E - ISSN 2616 - 9843
P - ISSN 2616 - 9835

مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية

50

Journal of Al-Quds Open University for Humanities & Social Research

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

Quarterly Scientific Refereed Journal

No. 50 - September 2019

E - ISSN 2616 - 9843
P - ISSN 2616 - 9835

JOURNAL OF AL-QUDS OPEN UNIVERSITY
FOR HUMANITIES & SOCIAL RESEARCH

Quarterly Scientific Refereed Journal
No. 50 - September 2019

PUBLISHER:
Deanship of Graduate Studies & Scientific Research
Al-Quds Open University

Ramallah & Al-Bireh \ Palestine
P.O. Box: 1804
Tel: +970 - 2- 2976240
+970 - 2- 2956073
Fax: +970 - 2 - 2963738
Email: sprgs@qou.edu

WEBSITE:
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

EMAIL
hss@qou.edu

DESIGN & PRODUCTION:
Deanship of Graduate Studies & Scientific Research
Al-Quds Open University

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors.
All Rights Reserved. ©2019

E - ISSN 2616 - 9843
P - ISSN 2616 - 9835

مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة فصلية
العدد (50) - أيلول 2019 م

الناشر:
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
جامعة القدس المفتوحة

رام الله والبيرة / فلسطين
ص.ب 1804
هاتف: +970-2-2976240
+970-2-2956073
فاكس: +970-2-2963738
بريد إلكتروني: sprgs@qou.edu

الموقع الإلكتروني للمجلة:
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

البريد الإلكتروني للمجلة:
hss@qou.edu

تصميم وإخراج فني:
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
جامعة القدس المفتوحة

المجلة غير مسؤولة عن الآراء المنشورة فيها، حيث أنها تمثل آراء الباحثين (المؤلفين)
حقوق الاقتباس والترجمة والتصميم والطبع والنشر محفوظة للناشر 2019©

E - ISSN 2616 - 9843
P - ISSN 2616 - 9835

مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية

المشرف العام
أ. د. يونس مرشد عمرو
رئيس الجامعة

رئيس هيئة التحرير
أ. د. سمير داود النجدي

مشرف التحرير
أ. د. حسني محمد عوض
عميد الدراسات العليا والبحث العلمي

هيئة التحرير

أ. د. عبد الناصر قاسم الفرا
أ. د. محمد محمد الشلش
أ. د. هاني حسين أبو الرب
أ. د. عماد صالح عبد الحق
د. رشدي يوسف القواسمة
د. عاطف حسني العسولي
أ. د. فيصل حسين غوادرة
أ. د. جمال محمد إبراهيم
أ. د. سامي عوض أبو اسحاق
د. معتصم توفيق الخضر
د. غسان إسماعيل فطافطة
د. موسى علي طالب

المدقق اللغوي لأبحاث اللغة العربية
د. زاهر حنني

المدقق اللغوي لأبحاث اللغة الإنجليزية
مركز عادل زعيتر للترجمة واللغات

رؤية الجامعة

الريادة والتميز والإبداع في مجالات التعليم الجامعيّ المفتوح، وخدمة المجتمع، والبحث العلميّ، وترسيخ مكانتها القيادية في بناء مجتمع فلسطيني قائم على العلم والمعرفة.

رسالة الجامعة

إعداد خريجين مؤهلين لتلبية حاجات المجتمع، قادرين على المنافسة في سوق العمل المحلي والإقليمي، والإسهام الفاعل والمتميز في مجال البحث العلميّ، وبناء القدرات التقنية والبشرية، من خلال تقديم برامج تعليمية وتدريبية على وفق أفضل ممارسات التعليم المفتوح وأساليب التعليم المدمج، وتعزيز بيئة البحث العلميّ في إطار من التفاعل المجتمعي والتعاون والشراكة وتبادل الخبرات مع الأطراف المعنية كافة، مع مراعاة أحدث معايير الجودة والتميز.

القيم التي تؤمن بها الجامعة

لتحقيق رؤية الجامعة ورسالتها وأهدافها، تعمل الجامعة على تطبيق وترسيخ الإيمان بالقيم الآتية:

- الريادة والتميز.
- الانتماء الوطنيّ والقوميّ.
- ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص.
- الحرية الأكاديمية والفكرية.
- احترام الأنظمة والقوانين.
- الشراكة المجتمعية.
- الإدارة بالمشاركة.
- الإيمان بدور المرأة الرياديّ.
- النزاهة والشفافية.
- التنافسية.

المجلة

مجلة علمية محكمة فصلية تصدر عن عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، وقد صدر العدد الأول منها في تشرين أول/ عام 2002م. وتنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث شريطة أن لا تكون الورقة منشورة في مجلد المؤتمر أو أية مجلة أخرى.

وقد حصلت على معامل التأثير العربي، وتحمل الرقم المعياري الدولي للنسخة الإلكترونية .(E - ISSN: 2616 - 9843) وللنسخة المطبوعة .(P - ISSN: 2616 - 9835)

قواعد النشر والتوثيق

أولاً ـ متطلبات إعداد البحث:

يجب أن تتضمن مسودة البحث الآتي:

1. صفحة منفصلة عليها : اسم الباحث/ الباحثين وعنوانه/ هم بعد عنوان البحث مباشرة باللغتين العربية والإنجليزية، ويذكر بريده/ هم الإلكتروني.
2. ملخصين أحدهما باللغة العربية والآخر بالإنجليزية في حدود (*150 - 200*) كلمة لكل منهما ، يتضمنان كلمات مفتاحية لا يزيد عددها عن ست كلمات.
3. تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وترقم ترقيما متسلسلاً، وتكتب أسماؤها وعناوينها والملحوظات التوضيحية تحتها .
4. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها فوقها . أما الملحوظات التوضيحية فتكتب تحت الجداول.

ثانياً ـ شروط تسليم البحث:

1. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدّد فيها التخصص الدقيق للبحث.
2. تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أو لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.
3. سيرة ذاتية مقتضبة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، والدرجة العلمية، ورتبته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقميّ هاتفه الثابت والنقال.
4. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها) ، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.
5. أن يتجنب الباحث أية إشارة قد تدل على شخصيته في أي موقع من صفحات البحث، وذلك لضمان السرية التامة في عملية التحكيم.

ثالثاً ـ شروط النشر:

تؤكد هيئة التحرير على ضرورة الالتزام بشروط النشر بشكل كامل، إذ إن البحوث التي لا تلتزم بشروط النشر سوف لن ينظر فيها، وتعاد الملحوظات بشأنها لأصحابها مباشرة حتى يتم التقيد بشروط النشر.

1. تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية على أن تكون مكتوبة بلغة سليمة خالية من الأخطاء النحوية واللغوية.

2. تقدم طلبات نشر الأبحاث من خلال الموقع الإلكتروني للمجلة على الرابط الآتي: *http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy* بصيغة (*Word*)، مع مراعاة الآتي:

- الأبحاث المكتوبة باللغة العربية يستخدم الخط *Simplified Arabic* بحجم (*16*) غامق للعنوان الرئيس، و (*14*) غامق للعناوين الفرعية، و (*12*) عادي لباقي النصوص، و (*11*) عادي للجداول والأشكال.

- الأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية يستخدم الخط *Times New Roman* بحجم (*14*) غامق للعنوان الرئيس، و (*13*) غامق للعناوين الفرعية، و (*12*) عادي لباقي النصوص، و (*11*) عادي للجداول والأشكال.

- المسافة بين الأسطر: مفردة.

- الهوامش للأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية:

(*2*) سم للأعلى و (*2. 5*) للأسفل، و (*1. 5*) سم للجانبين الأيمن والأيسر.

3. ألا يزيد عدد كلمات البحث عن (*7000*) كلمة، وبما لا يزيد عن (*25*) صفحة حجم (*A4*)، بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والهوامش والمراجع. علماً بأن الملاحق لا تنشر، إنما توضع لغايات التحكيم فحسب.

4. أن يتسم البحث بالجدة والأصالة والموضوعية، ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.

5. أن لا يكون منشوراً أو قدم للنشر في مجلة أخرى، وأن يتعهد الباحث خطياً، وبعدم تقديم بحثه للنشر إلى أية جهة أخرى إلى حين الانتهاء من إجراءات التحكيم واتخاذ القرار المناسب بهذا الشأن، ويتعهد الباحث الرئيس بأنه أطلع على شروط النشر في المجلة والتزم بها.

6. أن لا يكون البحث فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.

7. لا يجوز نشر البحث أو أجزاء منه في مكان آخر، بعد إقرار نشره في المجلة، إلا بعد الحصول على كتاب خطي من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة.

8. تحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من الباحث أن يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر، وللمجلة إجراء أية تعديلات شكلية تتناسب وطبيعة المجلة.

9. يجب أن يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية، في حدود (150 - 200) كلمة لكل منهما، ويراعى أن يتضمن الملخص أهداف البحث ومشكلته ومنهجه وأبرز النتائج التي توصل إليها، ويثبت الباحث في نهاية الملخص ست كلمات مفتاحية (Key Words) كحد أقصى ليتمكن الآخرون من الوصول إلى البحث من قواعد البيانات.

10. أن يشير الباحث إلى أنه استل بحثه من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه إذا فعل ذلك، في هامش صفحة العنوان.

11. لا تعاد البحوث التي ترد إلى المجلة إلى أصحابها سواءً قبلت للنشر أم لم تقبل.

12. تعتذر المجلة عن عدم النظر في البحوث المخالفة للتعليمات وقواعد النشر.

13. يلتزم الباحث بدفع النفقات المترتبة على إجراءات التحكيم حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم المضي في إجراءات التقويم.

14. يبلغ الباحث بالقرار النهائي لهيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث.

رابعاً ـ التوثيق:

1. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المصدر أو المرجع كتاباً فيثبت: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة، فيثبت: المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة. وفي حال تكرار المصدر أو المرجع مرة ثانية يشار إليه كالآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب/ البحث، رقم الصفحة.

2. ترتب قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وفق الترتيب الألف بائي (الأبتثي) لكنية/ لقب المؤلف، ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، ويجب أن لا تحتوي القائمة على أي مصدر أو مرجع لم يذكر في متن البحث.

   - في حالة عدم وجود طبعة يضع الباحث (د. ط).
   - في حالة عدم وجود دار النشر يضع الباحث (د. د).
   - في حالة عدم وجود مؤلف يضع الباحث (د. م).
   - في حالة عدم وجود سنة أو تاريخ نشر يضع الباحث (د. ت).

1. في حال استخدام نمط "*Style APA*" في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب الآتي: "اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة".

2. يستطيع الباحث تفسير ما يراه غامضاً من كلمات أو مصطلحات باستخدام طريقة الحواشي في المتن، حيث يشار إلى المصطلح المراد توضيحه برقم في أعلى المصطلح، ثم يشار لهذه الهوامش في قائمة منفصلة قبل قائمة المصادر والمراجع.

ملاحظة: لمزيد من المعلومات حول آلية التوثيق بنظام *APA*، يمكنك الاطلاع على المعلومات المتوافرة على الصفحة الإلكترونية لعمادة الدراسات العليا والبحث العلمي:

http://journals.qou.edu/recources/pdf/apa.pdf

خامساً ـ إجراءات التحكيم والنشر:

ترسل البحوث المقدمة للنشر إلى متخصصين لتحكيمها حسب الأصول العلمية، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون، والباحثون مسؤولون عن محتويات أبحاثهم، فالبحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر معديها وليس عن وجهة نظر المجلة. كما أن البحوث المرسلة إلى المجلة تخضع لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير، لتقرير أهليتها للتحكيم والتزامها بقواعد النشر، ويحق لهيئة التحرير أن تعتذر عن قبول البحث دون إبداء الأسباب.

وتتم إجراءات التحكيم والنشر وفق الآتي:

1. تقوم هيئة التحرير بمراجعة البحوث المرسلة إلى المجلة للتأكد من استيفائها لمعايير النشر في المجلة، ولتقرير أهليتها للتحكيم.

2. ترسل البحوث المستوفية لمعايير النشر إلى اثنين من المحكمين من ذوي الاختصاص، تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة، من بين أساتذة متخصصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها، على ألا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.

3. يقدم كل محكم تقريراً عن مدى صلاحية البحث للنشر.

4. إذا اختلفت نتيجة المحكمين (أحدهما مقبول والآخر مرفوض)، يرسل البحث لمحكم ثالث لترجيح الحكم، ويعد حكمه نهائياً.

5. يبلغ الباحثون بقرار هيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث، وبعد إجراء التعديلات عليه إن وجدت.

6. يزود الباحث بنسخة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ويتم إرسال نسخة من العدد إلى مكتب الجامعة في الأردن للباحثين من خارج فلسطين، ويتحمل الباحث تكلفة النقل من الأردن إلى مكان إقامته.

سادساً ـ أخلاقيات البحث العلمي:

1. الالتزام بمستوى أكاديمي ومهني عالٍ في جميع مراحل البحث، ابتداءً من مرحلة تقديم مقترح البحث، ومروراً بإجراء البحث، وجمع البيانات، وحفظها، وتحليلها، ومناقشة النتائج، وانتهاءً بنشرها بكل أمانة ودون تحريف أو انتقائية أو إغفال للمنهج العلمي الصحيح.

2. الالتزام بالاعتراف الكامل بجهود كل الذين شاركوا في البحث من زملاء وطلبة بإدراجهم ضمن قائمة المؤلفين، وكذلك الاعتراف بمصادر الدعم المادي والمعنوي الذي استخدم لإجراءات البحث.

3. الالتزام بإسناد أية معلومات مستعملة في البحث لمصدرها الأصلي، وكذلك الالتزام بعدم النقل الحرفي لأية نصوص من مصادر أخرى دون إسنادها للمصدر أو المرجع الذي أخذت منه.

4. الالتزام بعدم إجراء أية أبحاث قد تضر بالإنسان أو بالبيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة (أو من لجنة أخلاقيات البحث إن وجدت) حين إجراء أية أبحاث على الإنسان أو البيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة أو المركز البحثي أو المؤسسة التي يعمل فيها الباحث أو من لجنة أخلاقيات البحث العلمي إن وجدت.

5. الالتزام بأخذ موافقة خطية من كل فرد من الأفراد الذين يستخدمون كموضوع للبحث بعد إعلامهم بكل ما يترتب على اشتراكهم من عواقب، وكذلك الالتزام بعدم نشر نتائج البحث في مثل هذه الحالات إلا بشكل تحليل إحصائي يضمن سرية المعلومات الفردية التي جمعت حول هؤلاء الأفراد.

سابعاً ـ حقوق الملكية الفكرية:

1. تلتزم المجلة باحترام حقوق الملكية الفكرية.

2. على الباحثين احترام حقوق الملكية الفكرية.

3. تؤول حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر، وإذا رغب الباحث/ الباحثين في إعادة نشر البحث فإنه يتوجب الحصول على موافقة خطية من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة.

4. لا يجوز نشر أو إعادة نشر البحوث إلا بعد أخذ موافقة خطية من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي.

5. حق المؤلف في أن ينسب البحث إليه، وذكر اسمه على كل النسخ التي تنتج للجمهور بأي شكل كانت، وفي كل نسخة أو طبعة من المصنف.

6. حق المؤلف في طلب أن تنسب مؤلفاته إليه باسمه الشخصي.

مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية
العدد (50)

المحتويات

الأبحـــــاث:

الترقيم	الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحة
1	د. محمد حاتم أبو سمعان	التوجيه البلاغي للقراءات في سورة "الصافات"	1
2	د. عودة الله بدوي مشارقه د. عبد الرحمن حسن السلوادي	دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين في الجامعات الفلسطينية من وجهة نظر أعضاء هيئات التدريس	15
3	د. محمود محمد الكفاوين	العمل الاجتماعي بوصفه نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع: نموذج مقترح؟	32
4	د. عبد الله أحمد الزيوت	مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم في ضوء مطلع سورة المزَّمِّل	44
5	أ. نور حسين سلطان أ. د. محمد سمير أسعد دركزنلي أ. د. أمل خليل كابوس	تمكين الأسرة في المجتمع والنتائج المرجوة منه (بعض التجارب العالمية)	56
6	د. غسَّان عيسى هرماس	الحافظ ضياء الدين المقدسي في عيون تلاميذه	68
7	أ. علاء محمد حلاوة د. رضوان بن أحمد	التحسين والتقبيح عند المذاهب الأربعة دراسة أصولية تحليلية مقارنة	79

التوجيه البلاغي للقراءات في سورة «الصافات»

Rhetorical Guidance of the Quranic Readings in Surah al - Saffat

Dr. Mohammed Hatem Abu Sama'an
Assistant Professor/ Al - Aqsa University - Gaza/ Palestine
msmaan2010@hotmail. com

د. محمد حاتم أبو سمعان
أستاذ مساعد/ جامعة الأقصى/ غزة/ فلسطين

Received: 3/ 12/ 2018, **Accepted:** 15/ 6/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547484
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 3/ 12/ 2018م، **تاريخ القبول:** 15/ 6/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

ملخص:

هدف هذا البحث إلى دراسة التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية الواردة لآيات سورة معينة من كتاب الله – تعالى – وهي سورة «الصافات» الكريمة، حيث حاول الكشف عن دور التوجيه البلاغي في إظهار الدلالات التي تُضْفيها على السورة الكريمة، ومدى إثرائه لمعانيها، من خلال التحليل العميق والتغلغل الدقيق في صيغ تلك القراءات. مُسْتلهمًا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي في إبراز مكامن تلك الدلالات، وقد تكشف بالاستقراء والتحليل أنَّ قراءات سورة الصافات تضمنت وجوهًا بلاغيةً مهمةً اقتضت طبيعة البحث تقسيمها إلى أربعة مباحث، وهي: الالتفات بأنواعه الثلاثة في الضمائر، وفي الأفعال، وفي الأعداد، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والمبالغة البديعة. كما خَلُص البحث أيضًا إلى أنَّ لتغاير تلك القراءات وجوهًا معنويةً دقيقةً، ودلالاتٍ رائقةً ترقى لأن تكون وجهًا من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: التوجيه، البلاغة، سورة الصافات.

Abstract:

This research deals with the rhetorical guidance of the Quranic readings in a specific Surah of the Holy Quran, which is Surah "al - Saffat". It attempts to explore the role of the rhetorical guidance in showing the signs that are given to the Surah and the extent of enriching its meanings, through delving deeper into the formulations of these readings. The research also arrives at precise meanings and clear indications of heterogeneity of readings that are tantamount to being a facet of the rhetorical miracle of the Holy Qur'an. It has been revealed by extrapolation and analysis that the readings of Surah al - Saffat included important rhetorical aspects, as approached by the two scholars al - Jazry and al - Swaitysuch, as: attention, fronting, delay, connecting disjunction and hyperbole

Keywords: *Guidance, Rhetoric, Surah al - Saffat.*

مقدمة:

ما من شك في أنَّ لتعدد القراءات القرآنية للقرآن الكريم فوائد جليلة بعد تيسير تلاوته، وتصوير معانيه، واستيعاب أحكامه، ومن أبرزها توجيه تلك القراءات، والاحتجاج بها والاستدلال منها على شتى علوم اللغة العربية. حيث انطلق العلماء والدارسون يتسابقون لكُلِّ وجهة هو موليها في دراستها وتوجيهها والاحتجاج لها أو بها؛ فظهرت أنواع لتوجيه القراءات منها: التوجيه الصرفي، والنحوي، واللغوي، والفقهي، وبزغ من بين تلك التوجيهات لونٌ يُعنى بمعاني تلك القراءات، وتلمس الأوجه البلاغية المترتبة على تغايرها واختلافها، حتى عدَّه بعض أعلام هذا العلم كالإمامين الجزري والسيوطيّ وجهًا من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ألا وهو التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الثلاثة الآتية، وهي:

1. ما أبرز القراءات القرآنية لآيات سورة الصافات الكريمة، والتي قد تحتمل توجيهًا بلاغيًّا؟
2. ما التوجيهات البلاغية الدقيقة من علوم (المعاني والبيان والبديع) لتلك القراءات القرآنية؟
3. ما أبرز الدلالات الدقيقة لتلك التوجيهات، وهل كان لمجيئها على تلك الأوجه من القراءات علاقة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم؟

أهداف البحث:

1. بيان أبرز القراءات القرآنية لآيات سورة الصافات الكريمة، والتي قد تحتمل توجيهًا بلاغيًّا.
2. توجيه تلك القراءات القرآنية توجيهًا بلاغيًّا دقيقًا وفق علوم المعاني والبيان والبديع.
3. بيان أبرز الدلالات الدقيقة لتلك التوجيهات البلاغية.
4. بيان علاقة مجيء هذه القراءات القرآنية على تلك الأوجه بالإعجاز البياني للقرآن الكريم.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في دراسته المتخصصة في توجيه قراءات آيات سورة من القرآن الكريم بعينها ألا وهي سورة الصافات الكريمة. حيث تتبع جميع الأوجه القرائية للقراءات القرآنية الواردة في السورة الكريمة والمحتملة لظواهرَ بلاغية، ثم قام بتوجيهها توجيهًا بلاغيًّا دقيقًا، ثم أردفَ بتحليلها تحليلًا رائقًا رائعًا ماتعًا، محاولًا تلمُّس بعض أوجه الدلالة الإعجازية لبلاغة القراءات القرآنية، ومُركِّزًا على الإيحاءات التي تقف خلف توجيهها البلاغي. وهذا ما يَسِمُ هذه الدراسة بالدقة، ويُميِّزُها بالتركيز على الدلالات البليغة والمعاني البديعة؛ حيث إنَّ هذه السورة لم يُدْرس توجيهها البلاغيُّ من قبل.

الدراسات السابقة:

الحقيقة أنَّ دراسات التوجيه البلاغي – بشكل عام – دراسات وافرة وقديمة قدَم البحث في آيات القرآن الكريم وتوجيهها فقهيًّا، ولُغويًّا، ونحويًّا، وصوتيًّا، وبلاغيًّا. وقد انبرى للبحث في هذا المضمار والدرس فيه جِلَّةٌ غير قليلة في العصر الحديث، وكان لأبحاثهم تلك فيه فوائد جمّة، لكنه يُلْحَظُ عليهم في ذلك أمران بارزان: الأول أنه يغلب عليها التنظير الجميل لصفحات طوال من أبحاثهم حتى إذا ما جاء للتحليل العميق لدلالات تلك الأوجه القرائية المحتملة للظواهر البلاغية ومستويات معانيها، كان الحديث أقل بكثير من المتوقع. والثاني: أنه يغلب عليها الاقتصار على بعض الآيات التي ترِدُ فيها الظاهرة البلاغية دون سائرها في مجال البحث الذي تخصص فيه. وأعظم تلك الدراسات فائدةً، وأعمقها أثرًا:

- محمد، أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية،

مكتبة الآداب (القاهرة 1998م).

ومن تلك الدراسات أيضًا:

- بوعافيه، الجيلالي، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – سورة البقرة نموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، (الجزائر2005م).

- شيخاوي، عمارية، التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف للزمخشري– نماذج، رسالة ماجستير، جامعة أبوبكر بلقايد، (الجزائر2014م).

- الخرَّاط، أحمد محمد، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، مكتبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (المدينة المنورة 1426هـ).

ما يتميز به هذا البحث عن تلك الدراسات:

- تناولُهُ قراءات سورة من القرآن الكريم بعينها، وتوجيهها بلاغيًّا.

- تتبعُهُ جميع القراءات القرآنية –التي قد تحتمل توجيهًا بلاغيًا – لسائر الآيات في سورة الصافات الكريمة وليس لبعض آياتها فقط.

- التحليل العميق والتغلغل الدقيق لمكامن دلالات توجيه تلك القراءات، وتلمُّس بعض أوجه الدلالة الإعجازية لبلاغة تلك القراءات.

- التركيز على الإيحاءات، والدلالات البليغة، ومعاني المعاني التي تكمن خلف تلك التوجيهات البلاغية.

منهج البحث:

وقد استلهم الباحث في بحثه هذا المنهج الوصفي التحليلي لدراسة التوجيهات البلاغية لقراءات آيات سورة الصافات وتحليلها، كما استفاد من المنهج الاستقرائي في حصر جميع تلك الأوجه المشار إليها من القراءات ثم قام بتصنيفها على الأبواب البلاغية تمهيدًا لدرسها والتغلغل في أعماقها؛ إذ إنَّ شفاءَ الغُلَّة، والانتهاءَ إلى ثلج اليقين –كما يشير الإمام عبد القاهر – لا يكون إلا بالتغلغل في مكامن الأسلوب وتجاوز حد العلم به مجملًا إلى العلم به مفصلًا والنظر في زواياه [1]؛ وصولًا للبغية والمنهل وهو بيان معانيها التي تُثري النص وتُظْهِر مكمن الإعجاز فيه.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث دراسة التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ضمن حدَّين عام وخاص، هما:

- الحدود العامة: سورة «الصافات» الكريمة.
- الحدود الخاصة: الآيات المتضمنة لقراءات تحتمل توجيهًا بلاغيًّا من قراءة لأخرى غيرها.

خطة البحث:

- تضمن هذا البحث أربعة مباحث بعد المقدمة والتمهيد وجاءت خطته كالآتي:

- الملخص.

- المقدمة: وتشمل (مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدوده، وخطته).

- التمهيد: وجاء كمدخلٍ للبحث حول التوجيه بشكل عام والتوجيه البلاغي بشكل خاص.

- المبحث الأول: الالتفات في قراءات سورة الصافات. وتضمن أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: الالتفات لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الالتفات في الضمائر في قراءات سورة الصافات.

المطلب الثالث: الالتفات في الأفعال في قراءات سورة الصافات.

المطلب الرابع: الالتفات في الأعداد في قراءات سورة الصافات.

- المبحث الثاني: التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات. وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: التقديم والتأخير لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: توجيه التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات.

- المبحث الثالث: الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات. وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الوصل والفصل لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: توجيه الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات.

- المبحث الرابع: المبالغة في قراءات سورة الصافات. وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: المبالغة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: توجيه المبالغة في قراءات سورة الصافات.

تمهيد: بين التوجيه والتوجيه البلاغي:

لقد بزغت شمسُ فنِّ توجيه القراءات باكرةً منذ عهد الصحابة والتابعين على شكل ملاحظات متفرِّقة دعت إليها الحاجة، أو اقتضاها المقام التفسيري أو الدلالي [2]، وذلك من مثل ما رُوي عن سيدنا ابن عباس –رضي الله عنهما – أنه كان يقرأ «نَنْشُرُهَا» بالراء المُهملة وفتح النون من قوله تعالى: ﴿**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا**﴾ [البقرة: 259]، ثم يحتجُّ لقراءته بقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾ [عبس: 22]، كأنه يذهب بذلك إلى أنَّ معناها نحييها [3]. ثم اتضحت معالم هذا العلم وترسخت أصوله أواخر القرن الرابع الهجري بعد أن اختار ابن مجاهد –رحمه الله – القراء السبعة المشهورين؛ ليَبْلُغَ هذا العلم مرحلة الاستقلال والنضج على يد كوكبة من اللغويين على رأسهم ابن خالويه، وابن جني، ومكي بن أبي طالب، وأبو علي الفارسي [4].

كما استعمل العلماء منذ فجر التأليف في علم توجيه القراءات بشكل عام مصطلحاتٍ متعددةً له: كالاحتجاج، ومعاني القراءات، والانتصار للقراءات، ثم استقروا على تسميةٍ رأوها أقرب لمدلوله وبيان غرضه هي توجيه القراءات [5].

التوجيه لغةً:

مصدر للرباعي وَجَّهَ يُوجِّهُ توجيهًا. والجِهةُ والوُجْهَةُ: القبلةُ أو الموضعُ الذي تتوجه إليه وتقصده، وتوَجَّهَ إليه ذهب، وَوَجْهُ الكلام: السبيل الذي تقصد إليه [6]، أي: هو القَصدُ أو الطريقُ أو الموضع المعين من الشيء.

التوجيه اصطلاحًا:

حدَّده الإمام الزركشي بأنه: فنٌّ جليل تُعرَفُ به جلالةُ المعاني وجزالتُها، وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ [7]. أو هو فنٌّ يُعنى بالكشف عن وجوه القراءات، وعللها، وحججها، وبيانها والإيضاح عنها [8]. وعليه فهو يدور حول بيان الأوجه المُحتَمَلة لقراءات المفردات والصيغ القرآنية، ثم بيان المقصود منها، وبيانَ المتواتر أو الشاذ منها، وغير ذلك.

التَّوجيهُ البلاغيّ:

هو اتجاهٌ يُعنى بالإشارة إلى الوجوه البلاغية المترتبة على تغاير القراءات واختلافها، وتَلَمُّس دورها في إثراء بلاغة القرآن بوصْفِها وجهًا من وجوه إعجازه [9].

من هنا يتبيَّن أنَّ مقامَ التوجيه البلاغيّ وميدانَه في اختيار القراءات القرآنية وتوجيهها؛ إنما يكون بغرض استشراف القيم البلاغية الفريدة المُتَميِّزة التي تترتب على تغاير القراءات وتنوعها، كمثل استقصاء جوانب المعنى، والولوج إلى أدق تفصيلاته، وتتميمًا للمعنى وتكثيفه، مع إيجاز التعبير، ومراعاة سياق اللفظ التابع لمراعاة سياق المعنى، إلى غير ذلك من الأغراض التي مرُّدها التَّدبرُ المتأني العميق، والسَّبر الشامل، ومتابعة أقوال المفسرين والشراحِ لكل قراءة على حدة [10].

ولقد حاول الأستاذ الميداني إجمال هذه الأغراض أثناء تحليله لتوجيه قراءات سورة البقرة، في: التكامل الفكريّ بأن تؤدِّي كل قراءة معنى لا تؤديه القراءة الأخرى، والتكامل في الأداء البياني بأن تكون كل قراءة تحتمل نوعًا مختلفًا من الالتفات عن الأخرى، والتنويع في الأداء الفنيّ وما يتبعه من دلالات فكرية وبيانية، ثم إثبات وجوه عربية جائزة سواء في ذلك الوجوه الجائزة في النحو أو في التصريف أو في البلاغة [11]، وهذا ما يمكن اعتباره أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ولا يفوتُنا التنبيه لأمر خطير في مقام التوجيه البلاغي للقراءات، هو أنَّه ليس من مقام هذا العلم ولا من ميدانه تفضيل قراءة على أخرى –سوى القراءة الشاذة – أو القول بأبلغية قراءة متواترة على أخرى؛ لأنَّ تلك القراءات جمعاء قد نزلت بوحي على قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأُمِرَ بقراءة القرآن الكريم بها جميعها. «والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحَّت القراءتان عن الجماعة ألا يُقالَ إحداهما أجود من الأخرى؛ لأنهما جميعا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساءُ الصحابة رحمهم الله ينكرون هذا» [12].

المبحث الأول: الالتفات في قراءات سورة «الصافات».

المطلب الأول: الالتفات لغةً واصطلاحًا:

الالتفات في اللغة:

هو الانصرافُ والتَّحويل، من التفت إذا صرف الشيء وحوَّلَهُ عن وجهه [13]. ومنه قوله عز وجل: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس: 78). قال القرطبي أيَ: لتصرفنا وتلوينا عنه [14].

الالتفات في الاصطلاح:

يُعدُّ أسلوب الالتفات فنًّا من أفانين البلاغة، ولونًا من ألوان الصياغة في النظم القرآني، وفي الكلام بشكل عام، وهو «الانتقال في التعبير بالكلام بين التكلم والغيبة والخطاب» [15]، أو هو: «التعبير عن معنى من المعاني بطريق التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر» [16].

ولقد تعلَّقَ العرب بأهداب هذا الأسلوب البلاغي الرفيع وأكثروا منه، ونزلَ القرآن العظيم –بقراءاته – على لغتهم «والعرب يستكثرون منه ويَرَون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسنُ تطريةً لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه» [17]. وقد نبه أبو عبيدة إلى هذا الأسلوب حينما أشار إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فقال: «ومن مجاز ما جاءت به مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبة هذه إلى مخاطبة الغائب، قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**﴾ (يونس: 22) [18].

ولكل نوع من أنواع هذا الأسلوب البلاغي فوائد لطيفة، وعبر معنوية بليغة، فعن هذا الالتفات مثلاً يقول الإمام ابن الأثير: «إنه إنما صُرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكَرَ لغيرهم حالهم ليُعَجِّبَهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم. ولو أنه قال حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية، لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة» [19].

ومن هنا سَمَّى ابن الاثير هذا الفن باسم شجاعة العربية؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، وأن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويَتَوَرَّدُ ما لا يتورده سواه، ولما اختصت به العربية دون غيرها من اللغات لُقِّبَ بشجاعة العربية؛ لذا فإن ابن الأثير صاحب اللطائف والطرائف والدقائق البلاغية لم يرتَضِ اقتصار بلاغة هذا الفن على جريانه على التصرف في الكلام، وحسن التطرية لتنشيط السامع؛ لأنه –في رأيه – إذا لم يكن إلا تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه فإنَّ ذلك دليلٌ على أنَّ السامع يَمَلُّ من أسلوب واحد. فينتقل إلى غيره ليجد نشاطًا للاستماع. «وهذا قدْحٌ في الكلام، لا وصف له؛ لأنه لو كان حسناً لما مُلّ» [20]، وهو عنده أن الانتقال الذي يحصل في الكلام «لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تُحَدُّ بحَدٍّ ولا تُضْبَطُ بضابط» [21].

ولقد كان للالتفات حضور متميز في قراءات سورة «الصافات»، حيث تضمنت قراءاتها أنواعًا متعددةً من الالتفات، هي: (الالتفات في الضمائر من الخطاب إلى التكلم، والالتفات في الأفعال من الأمر إلى الماضي، ومن المضارع إلى الماضي، والالتفات في الأعداد من المفرد إلى الجمع [22]). وأبرز ما يهمنا في هذا الأسلوب هو ما يرشح منه من المعاني الثانية الدقيقة التي تختفي وراء تراكيبه المتعددة، ونكت بلاغية جليلة لكل آية

من شواهده، وما نلحظه من إيحاءات وإشارات لمعان قد يحتملها السياق؛ وما ذلك إلا لأن المعاني والأغراض تابعة لمقصود المتكلم، وما يريده من تنويع في أفانين الكلام.

ورغم أن أغلب دراسات توجيه الالتفات في القراءات القرآنية تركِّزُ على التفات الضمائر «ويغلب أن الالتفات في القراءات على تلك الأوجه التي تتغاير قراءتها بين أحرف المضارع (النون، والتاء، والياء) حيث تشير –بحسب الإسناد – إلى معاني التكلم والخطاب والغيبة» [23]، فإنَّنا وجدنا النوعين الآخرين لأنواع الالتفات في العربية، وهما: التفات الأفعال والتفات الأعداد، وهذا مما يشهد لسمو بلاغة قراءات هذه السورة الكريمة وتفرُّدِها.

المطلب الثاني: الالتفات في الضمائر في قراءات سورة الصافات (من الخطاب إلى التكلم).

يُذكر أن هذا النوع من الالتفات في الضمائر لم يقع البتة في القرآن العظيم من قراءة حفص عن عاصم المشهورة، لكنه وقع في عشرة مواضع فقط لقراءات قرآنية غيرها [24]، منها هذا الموضع الذي بين أيدينا في سورة الصافات الكريمة، وهو الموضع الوحيد فيها. حيث ورد في قوله تعالى: «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ» (الصافات: 12).

القراءات التي وردت للفظ (عجبْتَ):

– قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عاصم: عجبْتَ (بتاء الخطاب للرسول) [25].

– قراءة حمزة والكسائي وابن أبي ليلى وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعلي بن أبي طالب: عجبْتُ (بضم التاء) [26]. أي: بضمير المتكلم لله عز وجل.

– المعنى على القراءة الأولى: أي: بل عجبت يا محمد من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة في مطلع الآية، أَوْ عجبتَ من إنكارهم للبعث، أو إعراضهم عن الحق وعماهم عن الهدى رغم ما جئتهم به من عند الله.

– المعنى على القراءة الثانية: إما على أن التعجب واقع من الله تعالى، أو تؤول على أنها صفة فعل يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه.

توجيه الالتفات بلاغيًا:

منذ البداية يبرز الدور البديع للقراءات القرآنية في هذه السورة الجليلة، إذ يُحدث الالتفات في قراءة من ضمَّ تاء الفاعل نقلةً لطيفةً في المعنى. وهي نقل التعجب إلى الذات العلية بعد أن كان لذات الرسول الأكرم؛ تعجبًا من إعراض أساطين الكفر القُرشيَّة عن الحق، وإنكارها البعث رغم ما جاءهم به من آيات بينات وعلامات نيِّرات من عند الله لعلَّهم يهتدون، لكنهم كفروا بإعراضهم وإنكارهم ولِجَاجِهم؛ فتطلَّب ذلك أشد التعجب بصيغة طريفة تدل عليه.

ذلك أنَّ القراءة الثانية تركت ضمير الخطاب ملتفتةً إلى التكلم جاعلةً التعجبَ صادرًا من ذات الله الأعلى؛ وفي ذلك تصعيد لدرجة التعجب من أفعال أولئك المُنكرين المعرضين إلى أقصى درجة؛ فالقراءة هنا تضعُ المخاطبَ أمام حالة تعجُبِيَّة غير عاديّة البتة، إنها تثير تعجب البارئ الأعلى سبحانه؟

وربما كان هذا أحد الدقائق والأسرار الخفية المُتَضمَّنَة في الآية، والتي أشار إليها الإمام الفخر الرازي من طرف خفيّ؛ فهي تثير في نفس المخاطب استفهامات تعجبيةً عديدةً من قبيل: هل يرفض أحد الهداية والرشاد إلى العَمى والضلال؟! ألا يكفي بالله شهيدًا على دعوة الإسلام تلك؟! ثم ألم يكن في المعجزات الحسية السابقة في مطلع السورة دليلًا حسيًّا دامغًا على صدق الدعوة والداعي؟!

ولقد ثبت في وحي السنة النبوية المطهرة إثباتَ العجب له سبحانه، في غير موضع كقوله – صلى الله عليه وسلم–: «عجب ربُّكم من شابٍّ ليس له صبوة» [27]، وقوله في حديث الأنصاري وزوجه: «عجب الله من فعَالِكُمَا» [28]؛ وعليه لا حجة لمن قال أن نسبةَ التعجب على الله مُحَالَ [29]. ثم إنَّ التعجب من الخالق ليس كالتعجب من المخلوقين بالطبع كالحال ذاتها في إثبات بعض الأفعال للمولى الجليل من مثل: أفعال المكر، والخديعة، والسخرية [30]؛ فهي مجموعة تُؤَوَّلُ على أنها صفات أفعال يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه. وهذا ما تواتر عليه البلاغيون المتأخرون بشأن أسلوب التعجب في أنَّ مجيء التعجب من هذا القبيل إنَّما يُصرف إلى المخاطبين، وأطلقوا عليه مصطلح التعجيب [31].

ثم إنَّ في قراءة تاء الخطاب هذه –بالضم – تطريةً لذهن السامع –كما أردف البلاغيون – ناشئة عن الانتقال في المعنى الواحد من صورته الشائعة إلى صورة أخرى طريفة غير شائعة منه، وهي الانتقال من تعجب المخلوقين الشائع إلى تعجُّب الخالق. ثم خُذ بعد ذلك تنشيطًا واستدرارًا لذهن المتلقي حول صورة المعنى الدقيقة تلك. تتمثَّل في حشد الذهن لقريحته بأَنْ هَلْ سيكون المُتَعجَّبُ منه واحدًا أم متعددًا بعد تعدُّد المُتَعَجِّبْ، وَهَلْ يُؤَكِّدُ الخطابُ في التعجب –عجبْتُ – الاستفهامَ التقريريَّ في الآية السابقة [32]، إلى غير ذلك من التساؤلات التي يثيرها الالتفات للمتأمل في بلاغته، من هنا رأينا الإمام الفراء يُعلن تفضيله لهذا الوجه من القراءة صراحةً في قوله: «قرأها الناسُ بالنصب، ورفعُها أحب إلي؛ لأنها قراءة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس» [33]؛ فلا شكّ أنَّ مصدر اختيار هذين العَلَمين من كِبَار الصحابة لهذه القراءة ناجمٌ عما لها من دلالات وإثراءات معنويةٍ بليغة.

المطلب الثالث: الالتفات في الأفعال في قراءات سورة الصافات.

تتعدد ألوان هذا الالتفات بين الفعل الماضي والأمر والمضارع إلى ستة ألوان، ورد منها في قراءات سورة «الصافات» اثنان فقط، أولهما: الالتفات من الأمر إلى الماضي، وهذا النوع من التفات الأفعال لم يرد في قراءة الإمام عاصم من رواية حفص المشهورة، بل ورد في قراءات غيرها بلغ عددها خمس آيات [34]. منها هذا الموضع في سورتنا الكريمة، وهو الموضع الوحيد فيها، وهو في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (الصافات: 18).

القراءات التي وردت فيها:

– قراءة الجماعة: (قُل) على الطلب [35].

– قُرئ: (قالَ) فعلًا ماضيًا [36].

– المعنى على قراءة الطلب: أي: قل لهم يا محمد نعم

ستبعثون.

- المعنى على قراءة المُضِيّ: أي: قال الله أو رسوله: نعم تبْعثون وأنتم صاغرون [37].

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

إنه وبعد إمعان النظر وإنعامه في سياق الآيات السابقة نرى أنَّ قراءة الالتفات بالمضي عن الأمر مُناسِبةٌ تمامَ المناسبة للمعنى الذي كان يدور حوله السياقُ القرآنيُّ من إثبات وقوع إعادتهم أحياء بعد موتهم وفنائهم في تراب الأرض، إثباتًا بالدليل القاطع «فلما قامت المعجزات على صدق محمد – صلى الله عليه وسلم – كان واجب الصدق فكان مجرد قوله: «قَالَ نعم» دليلًا قاطعًا على الوقوع» [38]. ذلك أن أبرز دلالات الفعل الماضي هو تحقق الوقوع فكأنَّ تحقق وقوع بعثهم، ونشرهم بعد موتهم أمر واقعٌ لا محالة، ولا جدال فيه تمامًا كوقوع الفعل الماضي وتحققه. وهذا يلتقي مع أبرز أغراض الالتفات في العربية ألا وهو مناسبة سياق الخطاب ولفظه للمعنى المطروق.

كذلك فإنه وبعد النظر في دلالة فعل الأمر الزمنية نجد أنها أوسع من دلالة الماضي فـ «قد يكون فعل الأمر دالًا على الاستقبال المطلق سواء أكان الاستقبال قريبًا أم بعيدًا، وقد يكون دالاً على الحال، وقد يكون الأمر حاصلًا في الماضي» [39]، وهذه الدلالة الأخيرة –أي الحاصل في الماضي – عبَّر عنها الإمام السيوطي بلفظ دوام ما حصل «والأمر مستقبل أبدًا لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل كقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب/ 1]» [40].

وعليه فإنَّ قراءة الجمهور «قُلْ» تحمل معنى الاستقبال لقول نَعَم لأولئك المنكرين، كما تحمل دلالة حصول هذا القول لهم في الماضي، مع دوام تلك الإجابة وذلك الوعيد بالبعث والحساب، مع أشدِّ الذل وبالغ الصَّغار الآن وفي غيره من الأوقات، بينما تقتصر دلالة القراءة الثانية (بالفعل الماضي) على حصول ذلك القول لهم وسبْقه للزمن الحاضر؛ فتكون القراءة القرآنية هنا قد حدَّدت دلالة بعينها، وانفردت بوصف جزءٍ من أجزاء المعنى المُراد.

وثاني أنواع التفات الأفعال في قراءات هذه السورة الكريمة هو الالتفات من المضارع إلى الماضي، حيث يُعدُّ هذا اللون من الألوان البديعة للالتفات؛ لما يمتلكه من خصوصية في حيوية الأسلوب ودقة أدائه للوظيفة المعنوية، وهو في الوقت نفسه ظاهرةٌ بلاغيةٌ تُعَبِّرُ عن تحقق الوقوع للحدث تحقُّقًا قاطعًا لا شك فيه «والقصد من ذلك أن هذه الأحداث متحققة الوقوع مقطوع بحصولها بمنزلة الفعل الماضي، فكما أنه لا شك في حدوث الفعل الماضي الذي تم وحصل كذلك لا شك في حدوث هذه الأفعال؛ إذ هي بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع» [41].

وورد هذا الالتفات في قراءات سورتنا هذه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102).

القراءات التي وردت فيها:

- قراءة الجماعة: افعل ما تُؤْمَر (42)، بصيغة المضارع المبني للمجهول للمخاطب من أَمَرَ: يأْمُرُ، تُؤْمر.

- قراءة ابن مسعود: افْعَلْ ما أُمرتَ به [43]، بصيغة الماضي المبني للمجهول من أَمَرَ، أُمِرَ، ثم إسناده لتاء الخطاب (الفاعل).

- المعنى على القراءة الأولى: أي نفِّذ ما تؤمر به الآنَ، فحذف الجار والمجرور [44].

- المعنى على الثانية: أي نفِّذ ما سبق من الأمر الذي صدر إليك.

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

في هذه الآية نجد أنَّ قراءةَ الجمهور تُؤَمر بفعل المضارعة مُنَاسِبَةٌ لفعل المشورة السابق «ترى» في الجملة القرآنية السابقة وهي «فانظر ماذا ترى»، كذلك فهي بالمضارع تراعي أيضًا فعل الوجود اللاحق «ستجدني» في «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ»، بالإضافة إلى دلالاته البليغة، **وأما القراءة بالفعل الماضي المبني للمجهول فتشير إشارات بليغات وتدل على معانٍ سامقات أُخَر، فهي:**

- أولًا: تشير إلى تحقق الأمر وحتميَّته من جهة دلالة الماضي على الحدُوث والانقضاء، ثم إنها تفيد أسبقيَةَ الفعل المأمور به وهو الذبح لسيدنا إسماعيل – صلى الله عليه وسلم–؛ فقد أمره الله تعالى قبل وقوع الحادثة في المنام ورؤيا الأنبياء وحيْ كاليَقَظة [45].

- وثانيًا: أنَّ الفعل الماضي يدل دلالة قاطعة على حصول الأمر وتحَقُّقِه وثبوته من الله تعالى لسيدنا إبراهيم بذبح ولده، بخلاف الفعل المضارع الذي قد يحتمل دلالة الأمر بالذبح وحده دون احتمال الإثبات أو التَّحَقُّقْ.

- ثالثًا: أنَّ هذه القراءة بالعدول إلى الماضي يصح الاستدلال بها على إثبات حكم في أصول الفقه هو: «جواز نسخ الحُكم قبل حضور مدة الامتثالْ» حيث إنَّ حكم الذبح قد نُسِخَ في حق سيدنا إسماعيل وأثبتَ في الفداء بكبش عظيم. وهذا ما عليه جمهور الفقهاء غير المعتزلة وبعض فقهاء الشافعية [46]؛ لذا فقد أنكر هؤلاء الأمرَ بالذبح مُثْبِتِينَ الأمر بمقدمات الذبح فقط على قراءة المضارع، فلما جاءت هذه القراءة للآية الكريمة بالماضي «افعل ما أُمِرْت» دلَّت على تحقق الأمر السابق بالذبح؛ فصَحَّ الاستدلال بها على صحة تلك القاعدة الأصولية من جواز نسخ الحكم قبل حضور مدته وإثباتها.

فانظر بعد ذلك إلى بديع بلاغة القراءات القرآنية من دلالة مناسبة القراءة –بالمضارع – للسياق اللفظي للآيات السابقة واللاحقة، ثم الدلالة على تتميم المعنى وتحقيقه بقراءة الماضي، والإعانة على التفسير، والإحاطة بالمعنى من جميع جوانبه، والمناسبة للسياق اللفظي فالماضي في بداية الآية (قال) تناسبُه قراءة الماضي «أُمِرْتَ»، مع دلالتها على شيء ثابت قُضي وحُتِم وهذا جوهر من جواهر الالتفات في العربية من مناسبة الفعل للمعنى المطروق أو المُراد. ثم جوهر آخر نفيس للالتفات في القراءات القرآنية هو الاستدلال على صحة حكم أُصوليٍّ فقْهيٍّ وهذا من أجد الجديد لفوائد ومزايا دراسة التوجيه البلاغي لقراءات القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الالتفات في الأعداد في قراءات سورة الصافات (من المفرد إلى الجمع):

أشار البلاغيون إلى مثل هذا الالتفات في مباحثهم البلاغية، وأوردوه بالتسمية ذاتها التي أوردناها فيه، راصدين الآيات

القرآنية التي برزت فيها هذه الظاهرة الأسلوبية، ومحاولين الوقوف على ما تنطوي عليه هذه الأساليب، وما حوته من وجوه بلاغية كان لها الأثر الكبير في تلون الخطاب والكلام في القرآن الكريم. جاء في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه، ووقع معنى هذا الواحد على الجمع، قوله تعالى: ﴿ثم يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ في موضع أطفالًا» [47].

أما هنا فقد كان الالتفات في الأعداد بين وجهين من وجوه القراءات لآية واحدة، حيث ورد هذا اللون من الالتفات في قراءات سورتنا الكريمة عند قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: 163).

القراءات التي وردت فيها:

- قراءة الجماعة: (صالِ) باللام المكسورة، وأصلُهُ (صالي) اسم فاعل، وحُذفت منه الياء لعلة الرسم العثماني [48].

- قراءة الحسن وابن أبي عَبْلة: وهي بضم اللام (صالُ) أو (صالو) بالواو [49].

- المعنى على القراءة الأولى: على الإفراد، أي: أنكم لا تحملونَ بضلالِكم على الفتنة والإضلال غيرَ صالِ النار.

- المعنى على القراءة الثانية: على الجمع، أي لا تحملون على الضلال إلا صالوْ الْجحيم منكم، وحذفت النون للإضافة. أو بحذف الواو أيضًا –لعلة التقاء الساكنين – وبقاء الضمة دليلا عليها على قراءة من قرأ (صالُ).

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

إن التعبير عن المفرد هنا بلفظ الجمع –صالُ – ليرتقي إلى أعلى درجات سلم البلاغة العربية وأروعها، وهو تغليب مراعاة جانب المعنى على مراعاة جانب اللفظ، وليس معنى تغليب جانب المعنى إهمال اللفظ أو عدم مراعاته؛ فلكلٍ ميزة وموضع. بل إنَّ هذا من بديع أفانين الكلام وضُروبه؛ فالآية السابقة غَلَّبت جانب اللفظ بضمير الجماعة في «أنتم» من قوله: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (الصافات: 162)؛ ليُناسبَ سياق الجمع في ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات: 161) ثم جاءت القراءة الثانية لهذه الآية لتُغَلِّب مراعاة جانب المعنى «صالوا»، «فإن قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله «مَنْ هو» – أي المفرد – قلنا: مَنْ مُوحَّدُ اللفظ مجموع المعنى؛ فحُمِلَ هو على لفظه والصالون على معناه» [50] أي أنَّ القراءة الأولى بالإفراد «صالِ» قد راعت لفظ المفرد المتقدم «مَنْ هو»، بينما راعت القراءة الثانية جانب المعنى بعدولها إلى الجمع «صالو» حيث إن السياق سياق جمع لا إفراد في قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (×) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (الصافات: 161 – 162). وهذا أيضًا من أبرز الوجوه البلاغية لتعدد القراءات للآية الواحدة وهو مراعاة جانب اللفظ والمعنى وهو كثير في النظم القرآني، كمثل قوله: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 8).

كما أنَّ لفظ الجمع الذي جاءت به قراءة غير الجمهور يوحي من طرف آخر بالدلالة على الكثرة لأولئك الصالين الجحيمَ المفتونين من الذين يُضلُّونهم، وهذه الكثرة نَشَمُّها من رائحة لفظ «فاتنين» ومعناها من الضلال والإضلال [51] استنادًا للفظ الكثرة وجمعًا معه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: 116) [52].

ثم إنه وبعد الجمع بين وجهي قراءة هذه الآية فإنها تلفت المتمعن في عدولها للفظ الجمع إلى معنى المساواة في ذلك المعنى المطروق، وهو اصطلاء النار لجميع أولئك المفتونين بدعوة الكفار والمُضلين على طريقة إفراد لفظ «الضيف» في سياق الجمع «مكرمين» عند قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات: 24) ؛ ليدل دلالة أكيدة على أهمية بل وجوب مساواة المُضيف في حق الضيافة بين ضيوفه جميعهم بألا يلتفت إلى أحدهم أو يهتم له دون الباقين [53].

كما ورد هذا اللون من الالتفات في قراءات هذه السورة أيضًا عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: 171).

القراءات التي وردت فيها:

- قراءة الجمهور: (كلمتُنا) على الإفراد [54].
- قراءة الضحاك: (كلماتُنا) بالجمع [55].

- المعنى على الأولى: ولقد سبقَ وعدُنا لعبادنا المرسلين، فلما انتظمت الوعود التي وعدها الله المُرْسلين في معنى واحد عبَّر عنها بالإفراد.

- المعنى على الثانية: ولقد سبقت مجموعة وُعود لعبادنا المرسلين، هي: الوعد بعُلُوِّهم على عدوهم، والوعد بعلوهم في ملاحم القتال في الدنيا، وعُلُوِّهم عليهم في الآخرة [56].

توجيه الالتفات بلاغيًّا:

لما تركت قراءةُ الضحاك المفردَ إلى الجمع في الوعود لزم من ذلك نفي انهزامهم، أو نفيَ علوهم في بعض المشاهد؛ لما قد يُتَوهم –على قراءة الإفراد – أن علوهم ونصرهم على عدوهم إنما سيقع مرة واحدة أو في شيء دون آخر، أو سيتحقق في الآخرة فقط دون الدنيا لما شاب حياتهم من عظيم الابتلاء والمِحَن. وعليه يكون الالتفات قد حَمل دلالة تكميل معنى القراءة الأولى وغرضها، وكذلك احترست من بعض الفهم الخاطئ للوجه الآخر من القراءة وتلك حكمة بالغة فسبحان من أنزله على سبعة أحرف.

ثم إن هناك ملمحًا آخر من ملامح استدرار هذا الالتفات الذي جاءت به القراءة الثانية لإصغاء المستمع بعقله والمتدبر بقلبه، ومكمن من مكامن تنشيط ذهنه معنويًا هو ما حملَهُ هذا الالتفات من مناسبة تامة للَفظ الآيتين اللاحقتين في سياق الجمع (كلماتنا –هم– المنصورون – الغالبون»، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنْصُورُونَ (×) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: 172 – 173)، حيث إنَّ سياق الجمع هنا أبلغ في مقام تقوية قلب النبي والمؤمنين وبشارتهم، بعد بيان عاقبة كفر أولئك الفاتنين المفتونين [57].

المبحث الثاني: التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات.

ويتضمن مطلبين.

المطلب الأول: التقديم والتأخير لغةً واصطلاحًا.

التقديم لغة: من قدم الشيء أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك [58].

والتقديم والتأخير اصطلاحٌ أُطلقَ على أحد أساليب العرب في كلامهم، ومظهَرُهُ زوال اللفظ عن مكانه، فيتقدَّم أو يتأخَّر، وهذا التعريف من حيث هو أسلوبٌ في لغة العرب، أما تعريفه من حيث إنه أسلوب قرآني، فإنه سيكون حينئذ أوسع من التعريف السابق فقد أُطلق التقديم والتأخير في القرآن الكريم على القارِّ في مكانه، كما أُطلق على المزَال [59].

فالأصل أن تُرتَّبَ الألفاظُ في الجمل حسب ترتيبها الطبيعي، ولكن قَدْ يَعرُض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقه التأخير؛ فيكون من الحَسَنِ تغيير هذا ليكون المُقدَّمُ مشيرًا إلى الغرض الذي يراد، ومُتَرجِمًا عما يقصد منه.

من أجل ذلك وَسَمَ الإمام عبد القاهر الجرجاني هذا الباب بأنه «كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعُه، ويلطُفُ لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولَطُفَ عندك أنْ قُدِّمَ فيه شيء وحُوِّلَ اللفظ من مكان إلى مكان» [60].

ويُعَرِّضُ بالذي يقصر عن تعرف الغاية منه في موضع آخر، فيقول: «وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: «إنه قُدِّمَ للعناية، ولأَنَّ ذكره أهم، من غير أن يُذْكَرَ من أين كانت تلك العناية؟ وبمَ كان أهمَّ؟ ولتخيُّلهم ذلك صَغُرَ أمر التقديم والتأخير في نفوسهمَ وهوَّنوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبُّعَه والنظرَ فيه ضربا من التكلُّف. ولم تر ظنًا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه» [61].

فالحقيقة أنَّ للتقديم والتأخير أسبابًا ودواعيَ ومقتضيات كثيرةً، يتفنن المتكلم بإبرازها وقد ذكر منها البلاغيون الشيءَ الكثير، كما أنها هي الباعث الذي جعل الإمام عبد القاهر يُعلي من أهمية هذا الفنّ إلى مبلغ إظهار وجه من وجوه إعجاز القرآن «وليت شعري إن كانت هذه أمورًا هينة، وكان المدى فيها قريبًا، والجدى يسيرًا، فمن أين كان نظمٌ أشرفَ من نظم؟ وبم عظُمَ التفاوت واشتدَّ التباينُ وترقَّى الأمر إلى الإعجاز، وإلىً أن يقهر أعناق الجبابرة» [62].

المطلب الثاني: توجيه التقديم والتأخير في قراءات سورة الصافات.

هذا وقد كان للتقديم والتأخير حيّزٌ في توجيه القراءات القرآنية لسورة الصافات عند قوله تعالى: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ (الصافات: 16)، والشيء ذاته تكرر في السورة ذاتها مع قوله تعالى: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾ (الصافات: 53).

القراءات التي وردت فيهما:

- قراءة نافع والكسائي وأبي جعفر ويعقوب: (أإذا متنا. . . إنَّا لمبعوثون) استفهامًا ثم إخبارًا [63].
- قراءة ابن عامر: (إذا متنا. . . أإنا لمبعوثون) إخبارًا ثم استفهامًا [64].
- قراءة الباقين: (أإذا متنا. . . أإنَّا) بالاستفهام فيهما [65].

ويظهر أن التقديم والتأخير بين القراءتين الأوليين، وهما قراءة غير الجمهور.

- المعنى على الأولى: هل بعد موتنا وكوننا عظامًا ورفاتًا نُبْعث من جديد؟ [66].
- المعنى على الثانية: بعد موتنا وكوننا رفاتًا وعظامًا، هل سنبعث من جديد؟

توجيه التقديم والتأخير بلاغيًا:

نلاحظ أنه في القراءة الأولى قد تقدم الاستفهام الإنكاري على الجملة الخبرية «إنَّا لمبعوثون»، أما في القراءة الثانية فقد تقدم الخبر بالظرف [67] عن كون الأجساد رفاتًا وعظامًا باليةً على الاستفهام الإنكاري عن البعث والنشور. وبالنظر إلى أساس الاستفهام القائم على أن المُسْتفْهَمَ عنه يلي الهمزة الاستفهامية مباشرة [68]؛ فإنه تتجلى لنا الحقيقة التالية من الفرق بين القراءتين. وهو أنَّ تقديمَ الاستفهام في القراءة الأولى أغرقُ في إنكارهم للبعث والنشور يوم القيامة من القراءة الأخرى؛ لأن الإنكار بالاستفهام فيها متوجِّهٌ إلى الاستغراب من حالة الرفات والفتات والتراب الذي آل إليه الجسد الإنساني بعد موته، إذ كيف لمن يرى ترابًا باليًا أن يعود خلقًا جديدًا؟ فهي حالة مستحيلة –في نظرهم – للإعادة أو البعث، وليس الإنكار للإعادة ذاتها.

أما على القراءة الثانية فإن الإنكار بالاستفهام بعد أن تأخرَ توجهَ إلى استبعاد الإعادة نفسها والنشور ذاته، أو توجه إلى قدرته تعالى على نشرهم يوم القيامة سواءً في ذلك أكانت أجسادهم بالية أم غير بالية، فهو لم يتوجه إلى حالة أولئك المنشورين المنافية للحياة وهي حالة الرفات والتراب، بل توجه إلى الإعادة ذاتها. وعليه فالذي يَستنكرُ حالة البلاء والفناء تلكَ من الرُّفات وبقايا ناخرَة العظَام استنكارًا شديدًا واستغرابًا أشدّ، ليحملَ إنكارًا ضمنيًّا أقوى للإعادة نفسها؛ حيث إنه استدل على إنكار الإعادة بإنكار حالة من حالاتها وهي بقايا عظامهمُ النخرة، أما لو أيقنَ بحالة البلاء والرفات تلكَ لكانَ إنكارُهُ أقلَّ؛ لأنه سيكون في هذه الحالة جاحدًا لقدرة الله على الإعادة فقط وهو في هذه الحالة معلوم الكذب والجحود. وعبثًا تحاول الوصول لهذا المعنى الدقيق في كتب الشراح والمفسرين غير إشارة الإمام الألوسي في تعقيبه على تقدم الاستفهام على الظرف إذا: «فتقديم الظرفية لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له غاية المنافاة» [69].

أما قراءة الجمهور ذات الاستفهامين ففيها مزيد من المبالغة والتشديد على إنكارهم للبعث والنشور من وجوه، هي: تكرار الاستفهام الإنكاري، وتقدم الاستفهام على الظرف كما في القراءة الأولى، وتقدم الاستفهام على الخبر كما في القراءة الثانية.

وعليه تكون القراءة الثانية قد أَثْرَت المعنى، وانتقلت به إلى جانب آخر منه هو جانب الإنكار العام للقضية دون النظر إلى تفصيلاتها أو تفصيلات حالة جزئية منها، هذا بالإضافة إلى أن الاستفهام الإنكاري في القراءات الثلاث للآية الكريمة هو من نوع الإنكار التكذيبيّ لمنكري البعث أولئك أو لزاعمي إنكاره؛ إذ إنَّ ما أنكروه أمر حتميّ الوقوع لكنهم كذَّبوه، وإنْ كان لما يقع بعد.

المبحث الثالث: الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الوصل والفصل لغةً واصطلاحًا.

الوصل والفصل لغةً: الوصل ضدُّ الهُجران، والوصل خلاف الفصل، ووصل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلًا وصِلةً وصُلةً

[70]، والفصل بَوْنُ ما بين الشيئين، وفصل بينهما يفصل فصلًا فانفصل [71].

الوصل والفصل اصطلاحا: الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه [72]. وللفصل والوصل مكانةٌ رفيعة وموقعٌ متميِّزٌ في البلاغة العربية لا يرقى إليه إلا من أوتيَ طبعًا سليمًا وذوقًا صحيحًا، بل إن لدقة مسلكه وبُعدِ غَورِه جعله البعض حدًّا للبلاغة وربما قصروها عليه دون سواه، فقالوا: البلاغة معرفة الوصل والفصل [73].

وإذا كان أصل هذا الفن قائمًا على باب العطف في النحو، فإنَّ البلاغيين درسوا العطف بين الجمل فصلًا ووصلًا، وما يتطلَّبُه ذلك من أحوال توجب الوصل أو توجب تركه، وما يترتب على هذا وذلك من أحكام ودلالات. ولا يحسبَنَّ ظانٌّ أن عطف الجمل هذا بعضها على بعض، أو تركها مفصولةً بغير عطف أمرٌ بسيطٌ ميسور، بل هو «مما لا يتأتَّى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلَّص، وإلا قومٌ طُبعوا على البلاغة، وأوتوا فنًّا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد» [74].

المطلب الثاني: توجيه الوصل والفصل في قراءات سورة الصافات.

وقد ورد هذا اللون من بلاغة الجمل في قراءات هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات: 11).

- **القراءات التي وردت فيها:**

- قراءة الجمهور: (أَمْ مَّن) كلمتان أَمْ ومَنْ، وهي أم العاطفة المتصلة، عَطَفت «مَنْ» على «هُم» [75].

- قراءة الأعمش: (أَمَن) بتخفيف الميم دون أم، جعله استفهامًا ثانيًا بعد الاستفهام الأول «أَهُمْ» [76].

- المعنى على الأولى: هل هُم أقوى خلقًا أم المخلوقات التي خلقناها؟ على أنها جملة واحدة تضمنت استفهامًا واحدًا.

- المعنى على الثانية: هل هُم أقوى خلقًا من المخلوقات التي خلقناها؟ أم هل المخلوقات التي خلقناها أشدُّ وأقوى؟ على أنهما جملتان مستقلتان تضمنت كل واحدة منهما استفهامًا تقريريًّا. «ومَنْ مبتدأ وخبره محذوف تقديره «أشدّ»، «فهما جملتان مستقلتان في التقرير، وعلى (أَمْ مَّنْ) فهو تقرير واحد» [77].

- **توجيه الوصل والفصل بلاغيًّا:**

وهنا أيضًا نرى بلاغةً سامقةً وفصاحةً عُليا للقراءة الثانية بالفصل بين الاستفهامين في الآية الكريمة؟ فالفصل جعل هناك مجالًا لاستفهام آخر يكون فيه التركيز على مخلوقات المولى الجليل المتقدمة من الصافات، والزاجرات، والتاليات، والأرض والسموات، وغيرها مما نعلم ومما لا نعلم، بأنها هي الأقوى والأشدّ. تقريرًا آخر خرج إليه الاستفهام الثاني بعد فصله عن الاستفهام الأول –على القراءة الأولى بالوصل – الذي كان تركيزه على المنكرين أنفسهم «أَهُمْ؟ » وإن كان غرضه أيضًا تقرير معنى ضعفهم؛ ليشير هذا الفصل من طرف خفيّ إلى الفرق الجوهري بين خلقهم الضعيف [78] –من الطين – وبين قوة خلق مخلوقات الله الأخرى.

يتبين ذلك الفرق من إضراب الذكر صفحًا عن الاستفهام الأول الذي ركزَّ عليهم أولًا إلى استفهام ثانٍ كان التركيز فيه على الأقوى والأشد فعلًا «أَمَن خلقنا؟ ». حيث إنَّ الغرض التقريري لهذا الاستفهام يكون بالنظر أولًا في قوة المخلوقات الأخرى، وعظمتها، وإحكام صنعتها على ذلك العِظَمْ، حتى إذا ما حار اللب من شدة متانتها، واندهش البصر من حسن تصويرها، وأُسْقِطَ في الرُّوْع من روعة قوتها؛ أقرَّ المُخاطب بقوتها، دون حاجة للتفكر في المَقابل الذي هو خلق البشر الضعيف! وفرقٌ بين هذا التقرير ذي المبالغة الحسنة وبين التقرير الذي خرج إليه الاستفهام الكليّ في وصل الجملتين، القائم على التفكر والتأمل في خلق البشر أولًا؛ لأنه يستلزم العَوْدَ للتفكر في خلق المخلوقات الأخرى للمقارنة. وهذا ما قرَّرَهُ الحق تعالى في موضع آخر من محكم تنزيله، في قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: 57).

المبحث الرابع: المبالغة في قراءات سورة الصافات.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: المبالغة لغةً واصطلاحًا.

المبالغة لغة: بالَغَ يُبَالِغُ مُبالغةً وبلاغًا إذا اجتهد في الأمر، والمبالغةُ أن تبلغَ في الأمر جُهْدَك، ويُقال: بُلِغ فلانٌ أي: جُهِد [79].

المبالغة اصطلاحًا: تُعدُّ المبالغة غرضًا من أغراض الفنون البلاغية الأخرى كالاستعارة، والتشبيه، والإطناب، وغيرها، كما عدَّها البعض فنًّا بديعيًّا قائمًا بذاته. وإنما كانت دراسة علماء البلاغة للمبالغة لبيان مدى تفاوتها قوة وضعفًا، ومتى تُقبلُ في الكلام ومتى ترد. وأول من تحدث عنها ابن المعتز وسماها «الإفراط في الصفة»، وأول من سماها المبالغة هو قدامة بن جعفر [80].

وهي ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حدًا مستحيلًا أو مستبعدًا [81]، ومثلوا لها بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ (الحج: 2)، حيث خصَّ المرضعة دون سائر النساء بالذهول والنسيان؛ مبالغةً في النسيان والغفلة من هول الموقف؛ لما في نفس المرضعة من شدة إشفاق وملازمة وقُرب من رضيعها. فإذا كان هذا حال المُرضعة [82] فكيف بحالِ غيرها.

المطلب الثاني: توجيه المبالغة في قراءات سورة الصافات.

يُذكرُ أنَّ التوجيه البلاغي للقراءات قد عُنيَ بأمر المبالغة منذ مرحلة باكرة، بل أسهم – مع غيره – في بيان ملامحها العامة، حيث كان تركيز المُوجهين منذ القدَم على تغاير صيغ الكلمات المفردة، بأَنْ يُعْدَل عن الأصل فيها للدلالة على المبالغة في المعنى أو تكثيره، وقد بُني هذا في كثير من صوره على قاعدتهم المتعارف عليها من أنَّ زيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى [83].

ولقد توشحت هذه السورة العظيمة بوشاح جليل جميل من المبالغة المعنوية البديعة وُسِمَت به معاني هذه السورة، حيث وردت في قراءاتها بشكل لافت بالنسبة إلى غيرها من ألوان البلاغة وأفانينها الأخرى، ومن مواضعها ذلك الذي عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ (الصافات: 177).

- **القراءات التي وردت فيها:**

- قراءة الجمهور: (نَزَلَ) مبنيًّا للفاعل [84].

– قراءة عبد الله بن مسعود وأبي عمران الجَوني وعاصم الجُحدري وابن يعمر: (نُزِّلَ) مشددًا مبنيًّا للمفعول [85].

– المعنى على الأولى: أي: نَزَلَ العذاب بساحتهم.

– المعنى على الثانية: أي: أنزَلَ شيءٌ العذابَ الكثيرَ العام بساحتهم.

■ **توجيه القراءة بلاغيًّا:**

أما قراءة الجمهور بالتخفيف فعلى أصل الإخبار بنزول العذاب بساحتهم، وأما نُزِّلَ فعلى أنَّ التضعيف للتكثير والمبالغة، وهذا يعني انتشار العذاب لكثرته واستغراقه سائر أجزاء قريتهم، أو رِحَالهم فَلم يُبْقِ منهم حتى ابن يوم واحد؛ ذلك أنَّ كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى.

ثم إنَّ معنى المبالغة للقراءة الثانية يلتقي مع روعة المعنى الناجمة عن التمثيل بالاستعارة التي أشار إليها الزمخشري وأبو حيان: «فإذ نزل بهم عذابٌ مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذرهم فأنكروه بحيث أنذر بهجومه قومَه وبعض صُنَّاعهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيرًا ينجِّيهم حتى نزل بفنائهم، فشنَّ عليهم الغارة فقطع دابرهم، وما فَصُحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تُحِسُّ بها. . . إلا لمجيئها على طريقة التمثيل» [86].

فإذا أضيف لذلك العذاب دلالة البناء للمفعول في فعل التنزيل «نُزِّلَ» من السرعة الخاطفة، والمباغتة السريعة، وعدم التوقع للعذاب النازل؛ بلغت المبالغة المعنوية أوجها فأُسقط في أيدهم، وندموا ولات ساعة مندم؛ لأنَّ العذاب فَجَأهم وداهمَهم على حين غرَّة دون أدنى احتياط أوَ توقُّع، ومن هنا نستنبطُ مناسبة صياغةً القراءة اللفظية للمعنى الذي جاءت دالة عليه من التضعيف أولا والبناء للمفعول ثانيًا.

كما ورد هذا اللون من البديع المعنويّ في قراءات هذه السورة أيضًا عند قوله تعالى: «**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**» (الصافات: 103).

■ **القراءات التي وردت فيها:**

– قراءة الجمهور: (أسلما) [87].

– قراءة البعض: (سلَّما) بالتشديد للمبالغة [88].

– المعنى على الأولى: أي: أسلم إبراهيم ابنه لله، وأسلم الابن نفسه لله.

– المعنى على الثانية: فوَّضا إليه في قضائه وقدره وانحملا على أمره [89].

■ **توجيه القراءة بلاغيًّا:**

نلمح من فعل المبالغة بالتضعيف في القراءة الثانية غاية الاستسلام، والخضوع لأمرٍ في غاية الغرابة والاستهجان والاندهاش، وهنا تقف القراءة موقف تتميم معنى الآية، والوصول به إلى غاية الغاية أو منتهاها؛ إذ ربما يتطرق إلى خَلَد الإنسان أو عقله شيء من الشك في تنفيذ الخليل أمرَ الذبح لشدة استغرابه، فجاءت بالفعل الذي يفيد سرعة تنفيذ الأمر بإخلاص مع الرضا به «بالفعل على غاية الإخلاص عند المُباشرة بجميع قُواهما في يد الأمر، ولم يكن عند أحد منهما شيءٌ من إباءٍ ولا امتناع ولا حديث نفس في شيء من ذلك» [90].

هذا بالإضافة إلى ملمح عدم المنازعة الذي يوحي به الفعل المُضَعَّفُ «معناه: سَلِمَ من أن يُنازَعَ فيه» [91]، وفي هذا غاية شدة الانقياد والخضوع.

كما وردت المبالغة أيضًا في قراءات هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**﴾ (الصافات: 113).

■ **القراءات التي وردت فيها:**

– قراءة الجمهور: (باركنا) بالألف [92].

– قراءة البعض: (برَّكنا) بالتشديد للمبالغة [93].

– المعنى على القراءة الأولى: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا [94].

– المعنى على القراءة الثانية: أي بالغنا في الإفاضة عليهما من بركات الدين والدنيا كثرةً ودوامًا.

■ **توجيه القراءة بلاغيًّا:**

هنا ترتفع القراءة الثانية بالمبالغة إلى مرتقى كبير ومبلغ عظيم يُناسب بركة العليم القدير، فهي على ما ذكره البعض بأنَّ تلك البركة هي إخراج إسحاقَ من صلب إبراهيمَ، وإخراجُ أنبياء بني إسرائيل من صُلب إسحق [95]؛ فإنها لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه إلى المبالغة والتكثير لتلك البركة التي أنعم الله تعالى بها على سيدَيْنَا إبراهيم وإسحاق بالنسل الشريف الطاهر، إلى إبقاء الثناء الحسن عليهما إلى يوم القيامة، وأَعْظِمْ بما في تلك المبالغةَ حينئذٍ من دوام وثبوت [96]، وأي دوام أثبت من لسان الصدق والثناء الجميل في الأولين والآخرين حتى يُبَّعث الخلق إلى يوم الدين.

خاتمة:

وهكذا يرسو هذا البحث إلى مرفأ نتائجه مسجلًا أبرز ما توصل إليه من فوائد التوجيه البلاغي الدلالية لقراءات آياتِ سورة «الصافات»، ولقراءات النظم القرآني عمومًا، وهي:

– تعدَّدت وجوه قراءات سورة «الصافات» البلاغية على عدد من المباحث المهمة، هي: الالتفات، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والمبالغة.

– ظهرت أنواعٌ لافتةٌ من أنواع الالتفات في توجيه قراءات هذه السورة قلَّما يظهر في التوجيه البلاغي لغيرها، وهو الالتفات في الأفعال: من فعل الأمر إلى الفعل الماضي، ومن المضارع إلى الماضي، والالتفات في الأعداد: من المفرد إلى الجمع.

– كانت للتوجيه البلاغي لقراءات هذه السورة دلالاتٌ بليغة، ومعانٍ جليلة ارتفعت ببلاغة النظم القرآني، أهمها:

1. الانتقال في المعنى الواحد من صورته الشائعة إلى صورة أخرى طريفة غير شائعة منه، مع ما يضفيه ذلك من تنشيط للذهن، واستدرارٍ لإصغاء سمعه، واستمالة لقلبه.

2. إثراء المعنى والانتقال به إلى جانب آخر منه، كالانتقال إلى جانب الإنكار العام للقضية دون النظر إلى تفصيلاتها أو

تفصيلات حالة جزئية منها.

3. الاستدلال على صحة حكم أُصوليٍّ فِقْهِي وهذا من أجد الجديد لفوائد دراسة التوجيه البلاغي لقراءات القرآن الكريم، ومزاياها.

4. مراعاة جانب اللفظ والمعنى، وتكميل معنى القراءة الأولى، والاحتراس من الفهم الخاطئ للوجه الآخر من القراءة.

5. مناسبة صياغة القراءة اللفظية للمعنى الذي جاءت دالة عليه.

6. تحديد دلالة بعينها، والانفراد بوصف جزءٍ من أجزاء المعنى المُراد.

7. تتميم معنى الآية والوصول به إلى غاية الغاية أو منتهاها.

كما يُرفِق الباحث بعضًا من التوصيات للباحثين الراغبين في إكمال مسيرة أمثال هذا البحث، ومنها:

1. تناول دراسة التوجيه البلاغي للسور القرآنية التي لم تُدرَس من قبل، على غِرار دراسة هذا البحث.

2. ضرورة التغلغل ومحاولة الوصول إلى المعاني الدلالية الدقيقة التي يُضفيها التوجيه البلاغي على قراءات آية معينة من كتاب الله، وعدم الاكتفاء بمجرد التوجيه توجيهًا بلاغيًّا للنوع العام فقط.

3. محاولة اكتشاف المميِّزات الخاصة بقراءات كل سورة تُدرس على حدة عن غيرها من قراءات السور الأخرى.

الهوامش:

1. انظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ط. د. ت. ص260.

2. انظر مثلًا: يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1983م، 1/ 173، وانظر أيضًا: شلبي، عبد الفتاح، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية، جَدَّة، دار المطبوعات الحديثة، ط3، 1989، ص153.

3. الفراء، معاني القرآن، 1/ 173.

4. أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، القاهرة، مكتبة الآداب، ط2، 2000، ص25.

5. ويُذكر أن التوجيه من المصطلحات البلاغية البحتة في علم البديع، فمن أسماء التورية المغالطة والتوجيه والإيهام، كذلك فهو يُطلق على فن بديعي آخر قائم بذاته هو: إيراد الكلام محتملًا لوجهين مختلفين. انظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، 1983، 2/ 397، وعبد العزيز عتيق، علم البديع، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1974، ص114.

6. إسماعيل بن حمَّاد، تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة، دار الحديث، د. ط. 2009، ص1230 – 1231، ومحمد بن مكرم، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3. د. ت. 15/ 225 – 226.

7. بدر الدين بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط3، 1984، 1/ 393.

8. أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص23.

9. السابق: ص30.

10. انظر مثلًا: محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1986، 1/ 55، وأحمد الخرَّاط، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، المدينة المنورة، مكأبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د. ط. 1426هـ، ص14 – 15.

11. انظر: عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق، دار القلم، ط1، 1996، ص722 – 724.

12. أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت، مكتبة النهضة العربية، د. ط، 1985، 5/ 62.

13. ابن منظور، لسان العرب، 12/ 301.

14. محمد بن أحمد، الجامعُ لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، د. ت. 11/ 28.

15. عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1977، ص224.

16. محمد علوان، من بلاغة القرآن الكريم (المعاني – البيان – البديع)، غزة، مطبعة الرنتيسي، ط3، 2006، ص87، وعتيق، عبد العزيز، علم البديع، ص135.

17. يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1990، ص296.

18. معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، دار الفكر، ط2، 1970، 1/ 277.

19. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ط، د. ت. 1/ 178.

20. السابق: 2/ 167.

21. السابق: 2/ 167.

22. بعض المصادر البلاغية لا تورد هذا النوع في باب الالتفات، بل تورِدُهُ تحت أبواب أخرى كالخروج عن مقتضى الظاهر، أما المراجع الحديثة فتورِدُهُ في باب الالتفات.

23. انظر: أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص332.

24. انظر: صدام الديلمي. (د. ت). الالتفات في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ص42.

25. الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ط1، 1977، ص301، ومكي ابن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحِججها، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1984، 2/ 223، وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دمشق، دار سعد الدين، ط1، 2002، 8/ 12.

26. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

27. أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 28/ 600، حديث رقم (17370)، وأبو يعلى في مسنده 3/ 288، حديث رقم (1749)، وابن أبي عاصم في

كتابه السنة ص250، حديث رقم (571)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 6/ 824، حديث رقم (2843).

28. الحديث متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، 5/ 34، حديث رقم (3798)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الأشربة، 3/ 1382، حديث رقم (3587).

29. انظر مثلًا: محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1981، 26/ 126، ومحمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، 7/ 340.

30. انظر التوبة: 79، والأنفال: 30، والنساء: 142.

31. انظر: الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 1/ 170.

32. وهي وقوله تعالى: «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ» الصافات: 11.

33. الفراء، معاني القرآن، 2/ 384.

34. انظر: الديلمي، الالتفات في القرآن الكريم ص181.

35. محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998، 2/ 204، ومحمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط. د. ت. 23/ 79، والخطيب، معجم القراءات 8/ 17.

36. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

37. الزمخشري، الكشاف، 2/ 204.

38. الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 128.

39. فاضل السامرائي، معاني النحو، الموصل، د. د. د. ط. د. ت. 4/ 410 – 411.

40. عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط1، د. ت. 1/ 35.

41. السامرائي، معاني النحو 3/ 304.

42. طاهر بن عبد المنعم، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، د. ت. 1986، 1/ 199، ومحمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع، مصر، المكتبة التجارية، د. ط، د. ت. 2/ 36، والخطيب، معجم القراءات 8/ 43.

43. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

44. الزمخشري، الكشاف 2/ 221.

45. انظر مثلًا: أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 354 – 355، وأصح الوجوه هو: أنه تعالى أمره بالذبح في الرؤيا، أو أراه في المنام أنه يذبح ابنه بأمر من الله، حيث تأكدت الرؤيا المنامية بالوحي الصريح من الله بالذبح انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 153.

46. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 155.

47. أبو عبيدة، مجاز القرآن 1/ 10.

48. إبراهيم بن السَّرِيْ، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988، 4/ 315، وابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان: 2/ 520، والخطيب، معجم القراءات 8/ 64.

49. عبد الله بن الحسين، أبو البقاء، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزّوز، بيروت، عالم الكتب، ط2، 1996، 2/ 384، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 362، والخطيب، معجم القراءات 8/ 65.

50. الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 170.

51. انظر مثلا: أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 362.

52. وانظر أيضا: طه: 85.

53. انظر: محمد متولي، خواطر حول القرآن الكريم، خرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، القاهرة، طبعة مجمع البحوث الإسلامية الأزهر، د. ط، 1991، 13/ 7719.

54. الزمخشري، الكشاف، 2/ 236، وعبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001، 4/ 490، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 363، والخطيب، معجم القراءات: 8/ 67.

55. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

56. انظر الزمخشري، الكشاف، 5/ 236، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 363.

57. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 172.

58. ابن منظور، لسان العرب 11/ 64 – 65.

59. محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت. ص270.

60. الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

61. السابق: ص 108.

62. السابق ص109.

63. القيسي، الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 70، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 340، والخطيب، معجم القراءات: 8/ 15.

64. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

65. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

66. انظر مثلًا: ابن عاشور، التحرير والتنوير23/ 98.

67. ورأى البعض أن إذا تحتمل الشرط، وحينئذٍ تحتاج إلى جواب وهو محذوف يدل عليه جواب الاستفهام «إنا لمبعوثون». انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 340، ومحمد بن علي، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دق، دار الوفاء، د. ط، د. ت. 4/ 513.

68. انظر: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، الأردن، دار الفرقان، ط4، 1997، 1/ 170، ومحمد أبوسمعان، القطاف الداني في علم المعاني، غزة، مكتبة الطالب، ط1، 2017، ص74.

69. الألوسي، روح المعاني 23/ 114 – 115.

70. ابن منظور، لسان العرب 11/ 726.

71. السابق: 11/ 521.

72. محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الكتب

العلمية، د. ط، د. ت، ص151.

73. انظر عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها، د. ط، د. ت، 2/ 63.

74. الجرجاني، دلائل الإعجاز ص222.

75. ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 467، و أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 339، وأحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، د. ط، د. ت، 2/ 295، وعمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، 16/ 283 – 284، و الخطيب، معجم القراءات: 8/ 10 – 11.

76. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

77. أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 339، وانظر أيضًا: السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 295.

78. انظر مثلا: محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، 7/ 186.

79. ابن منظور، لسان العرب 8/ 420.

80. انظر عبد الله ابن المعتز، البديع، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1983، ص65 – 66، وعتيق، عبد العزيز، علم البديع، ص81 – 82.

81. القزويني، الإيضاح ص376.

82. لفظة مرضعة تعني أنها تباشر الإرضاع الآن حيث تكوت أشد التصاقا برضيعها، أما مرضع فهي تطلق على من ترضع ولدها عموما من غير مباشَرة. انظر الزمخشري، الكشاف 4/ 174.

83. أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص467.

84. عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون، دق، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط2،، 1969، 2/ 229، والزمخشري، الكشاف، 2/ 337، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 364، والخطيب، معجم القراءات: 8/ 69.

85. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

86. الزمخشري، الكشاف، 5/ 235، وانظر أيضًا أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 364.

87. ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 481، و أبو حيان، البحر المحيط، 7/ 355، و الخطيب، معجم القراءات: 8/ 47.

88. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

89. انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 4/ 481، وأبو حيان، البحر المحيط، 7/ 355.

90. إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط، د. ت، 16/ 265.

91. الزمخشري، الكشاف، 222.

92. الزمخشري، الكشاف، 5/ 227، والألوسي، روح المعاني، 23/ 133، والخطيب، معجم القراءات، 8/ 50.

93. المراجع السابقة ذاتها، والصفحات ذاتها.

94. انظر مثلًا: الزمخشري، الكشاف، 5/ 227.

95. انظر مثلًا: الرازي، مفاتيح الغيب، 26/ 159.

96. انظر مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ضبطه وخرج أحاديثه: أبو محمد الأسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، ص227، وأبو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب: 16/ 338.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1. ابن أبي طالب القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحِججها، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1984م.

2. ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو، السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، دار المكتب الإسلامي، ط1، 1400هـ.

3. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ط، د. ت.

4. ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع، مصر، المكتبة التجارية، د. ط، د. ت.

5. ابن الحجاج، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1989.

6. ابن جني، أبو الفتح، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون، دق: طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط2، 1969.

7. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001.

8. ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ط1، 1977.

9. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1986.

10. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001.

11. ابن غلبون، طاهر بن عبد المنعم، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1986.

12. ابن المعتز، عبد الله، البديع، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1983.

13. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، د. ت.

14. أبو حفص الحنبلي، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998.

15. أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993.

16. أبو السعود، محمد بن محمد، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم). بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.

17. أبوسمعان، محمد، القطاف الداني في علم المعاني، غزة، مكتبة الطالب، ط1، 2017.

18. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، دار الفكر، ط2، 1970.

19. أبوموسى، محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت.

20. أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، ط1، 1984.

21. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها وفقهها، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1996.

22. الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.

23. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

24. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط، د. ت.

25. بوعافيه، الجيلالي، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – سورة البقرة نموذجًا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005.

26. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ط، د. ت.

27. الجوهري، إسماعيل بن حمَّاد، تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة، دار الحديث، د. ط، 2009.

28. الخرَّاط، أحمد محمد، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، المدينة المنورة، مكتبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د. ط. 1426هـ.

29. الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، دمشق، دار سعد الدين، ط1، 2002.

30. الديلمي، صدام، الالتفات في القرآن الكريم، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، د. ت.

31. الرازي، فخر الدين محمد، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1981.

32. الزجاج، إبراهيم بن السَّرِي، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988.

33. الزركشي، بدر الدين بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط3، 1984.

34. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998.

35. السامرائي، فاضل، معاني النحو، الموصل، د. د. ط، 1989.

36. السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1990.

37. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، د. ط، د. ت.

38. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط1، د. ت.

39. الشعراوي، محمد متولي، خواطر حول القرآن الكريم، خرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، القاهرة، طبعة مجمع البحوث الإسلامية الأزهر، د. ط. 1991.

40. شلبي، عبد الفتاح، أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية، جَدَّة، دار المطبوعات الحديثة، ط3، 1989.

41. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دق، دار الوفاء، د. ط، د. ت.

42. شيخاوي، عمارية، التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف للزمخشري – نماذج، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة أبوبكر بلقايد، الجزائر، 2014.

43. الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها، د. ت.

44. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، الأردن، دار الفرقان، ط4، 1997.

45. عتيق، عبد العزيز، علم البديع، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1974.

46. العكبري، أبو البقاء، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزّوز، بيروت، عالم الكتب، ط2، 1996.

47. علوان، محمد ونعمان، من بلاغة القرآن الكريم (المعاني – البيان – البديع)، غزة، مطبعة الرنتيسي، ط3، 2006.

48. الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1983.

49. القرشي، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ضبطه وخرج أحاديثه: أبو محمد الأسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005.

50. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامعُ لأحكام القرآن والمبيِّنُ لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.

51. القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت.

52. لاشين، عبد الفتاح، المعاني في ضوء أساليب القرآن، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1977.

53. محمد، أحمد سعد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، القاهرة، مكتبة الآداب، ط2، 2000.

54. مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط، 1983.

55. الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق، دار القلم، ط1، 1996.

56. النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت، مكتبة النهضة العربية، د. ط، 1985م.

دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين في الجامعات الفلسطينية من وجهة نظر أعضاء هيئات التدريس

The Role of Faculties of Administrative and Economic Sciences in Creating Innovative and Entrepreneurial Graduates in the Palestinian HEI

د. عودة الله بدوي مشارقه
أستاذ مساعد/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

د. عبد الرحمن حسن السلوادي
أستاذ مساعد/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

Dr. Odetallah B. Masharqa
Assistant Professor/ Al - Quds Open University/ Palestine
omasharqa@qou. edu

Dr. Abdelrahman Hasan Al - Silwadi
Assistant Professor/ Al - Quds Open University/ Palestine
abahmad@qou. edu

تاريخ الاستلام: 13/ 1/ 2019م، **تاريخ القبول:** 11/ 6/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

Received: 13/ 1/ 2019, **Accepted:** 11/ 6/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547493
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين في الجامعات الفلسطينية، ولتحقيق ذلك طوَّر الباحثان أداة لجمع البيانات اللازمة (استبانة) تم التحقق من صدقها وثباتها، وزعت بعد ذلك على عينة بلغ حجمها (97) عضواً من أعضاء هيئة التدريس في كليات العلوم الإدارية والاقتصادية، أي ما نسبته (81%) من مجتمع الدراسة. وبعد جمع البيانات وتحليلها تبين أن درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي كانت بدرجة متوسطة، وأن درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية كانت بدرجة متوسطة، كما تبين وجود أثر دال إحصائياً لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي لبعدي (توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتعزيز الاتجاهات الإيجابية) في درجة الريادة والإبداع لدى الطلبة، كما تبين عدم وجود فروق دالة إحصائياً في درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية، تعزى لمتغير الجامعة والمؤهل العلمي ونوع الوظيفة، في حين تبين وجود فروق تعزى لمتغير تخصص عضو هيئة التدريس.

الكلمات المفتاحية: الريادة، الإبداع، خلق المعرفة، المهارات الريادية، الاتجاهات الإيجابية، الجامعات الفلسطينية، التمكين الجامعي.

Abstract:

This paper investigates the role of faculties of administrative and economic sciences in the creation of innovative, creative and entrepreneurial graduates in the Palestinian universities. The paper looks at some of the different perspectives on entrepreneurship education, with an emphasis on several entrepreneurship education trends in higher education institutions in Palestine. To achieve this, the researchers developed a tool for collecting the required data (a questionnaire) that was verified, validated, and then distributed to a sample of 97 faculty members representing 81% of the study population. To analyze the collected data, the researchers used the descriptive statistics indicators, in addition to quantitative statistics methods such as multiple regression analysis, independent samples t - test, ANOVA and variance analysis test. The results showed that the contribution of the faculties of administrative and economic sciences in the creation of innovative, creative and entrepreneurial graduates in the Palestinian universities was medium. The results also found no significant differences in the degree of contribution of the faculties of administrative and economic sciences in the entrepreneurial empowerment attributed to the variables of university education level and position. Meanwhile, differences were found in the variable of "specialization of the faculty member".

***Keywords**: Entrepreneurship, Innovation, Knowledge Creation, Entrepreneurial Skills, Entrepreneurial Attitudes, Palestinian HEI, University Empowerment.*

مقدمة:

ثبت بوجه جلي أن للجامعات دوراً حيوياً ومهماً في إعداد الموارد البشرية المؤهلة والقادرة على إحداث التطور المطلوب في حياة المجتمعات، وأنها _ أي الجامعات _ أصبحت مراكز للعلم والنور، ولم تعد تتلقى المعرفة فقط، بل تصنعها وتبتكر ما ينجم عنها من أسباب الإبداع، حيث تحولت اللقاءات الأكاديمية في الجامعات العريقة إلى ورش عمل حوارية تتصارع فيها العقول، وأصبح المدرسون قادةً لفرق إبداعية، يتميز فيها الطالب بالفطنة والتوقد والذكاء، والمبادرة إلى طرح الآراء والأفكار الخلاقة.

وقد أثبتت الجامعات، ومؤسسات التعليم العالي كلها، ما أشرنا إليه عبر سياساتها الأكاديمية، وما أحدثته من تغيير جذري لدى مجتمعاتها، حيث نقلتها إلى مصاف الدول المتطورة والمتقدمة، فتحولت من عالم الفقر إلى عالم الغنى، ومن الجهل إلى العلم والمعرفة، بعدما ذاقت شعوبها صنوف العذاب الاقتصادي والاجتماعي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر بلاد النمور الآسيوية، ومنها اندونيسيا، وماليزيا، وكوريا الجنوبية التي أصبحت سادس أغنى دولة في العالم، وذلك بعد استخدام التعليم عامة، والجامعي خاصة أسلوباً نحو تحقيق التنمية الشاملة (أبو طيبة، 2009: 161).

لقد نجح الرياديون في أنحاء مختلفة من العالم بفضل تأهيلهم وتعليمهم، وتزويدهم بمهارات إنشاء المشاريع الصغيرة ومتوسطة الحجم، في تحقيق ما خططوا له، بعد أن حددت جامعاتهم أهدافها الوطنية الإستراتيجية العامة، بل تعدتها إلى أهداف عالمية، وذلك لمواجهة التحديات المعاصرة وعلى رأسها العولمة، والتطور التكنولوجي، والانفجار السكاني، وقضايا التلوث البيئي، التي تشكل جميعها نقاط انطلاق نحو أفكار ريادية قد يلتقطها الخريجون المتميزون بمهارات حديثة، وتجعل منهم قادة استثمار وتطور ونماء، يساهمون من خلالها في حل مشكلات البطالة، التي نجم عنها كثير من الكوارث الاجتماعية والسياسة والاقتصادية، وبخاصة في دول العالم الثالث (السيد وإبراهيم، 2014: 284).

ويرى الباحثان أن الريادية بوجه عام، توجُّه الشباب إلى حب العمل الحر، والرغبة في المجازفة الإيجابية وتحمل المخاطرة، وهي الجد والمثابرة، والعمل الدؤوب لإنجاح الفكرة الجديدة، التي قد تكون مشروعاً صغيراً يتحول خلال فترة قصيرة من الزمن إلى مشروع أكبر يفتح فرص عمل جديدة، وقادرة على المنافسة والتميز. والشخص الريادي هو ذلك الإنسان الواثق بنفسه، العامر قلبه بالأمل والنجاح، مفعم بالطموح مهما واجهته العقبات والصعاب، بل هو من يحول الفشل إلى نجاح، ويسبر غور الأشياء ليعرف حقيقتها ويوظف مهاراته بالتفكير والتحليل والاستنتاج

بعزيمة أكثر مضاء دون كلل أو ملل، فهو يختلف عن العديدين ممن يمتلكون الأفكار الرائعة، لكنهم عاجزون عن تحقيقها، فيستثمرها الريادي في ظروف المخاطرة وعدم التأكد وزمن الغموض.

ويبقى مدرسو الجامعات العنصر الأساس الفاعل، فهم قادة الجيل وصنّاعُه، وبدونهم لا يحقق التعليم الجامعي أهدافه، لأن اتجاهاتهم الناجمة عن مؤهلاتهم العلمية وخبراتهم وولائهم الوطني والاجتماعي، وإحساسهم العالي بمسؤولياتهم الاجتماعية نحو تربية وتنشئة الأجيال تُعدُّ موجهاً رئيساً لهم في صنع الريادة والرياديين.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في عدم بروز الرياديين في صفوف الخريجين من كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في جامعاتنا الفلسطينية، حيث يفتقد كثيرون منهم مهارات الإبداع والابتكار والمبادرة إلى شق الطريق في هذه الحياة، حيث لم تعد المؤسسات الحكومية قادرة على توفير الوظائف المطلوبة لطوابير الخريجين الباحثين عن فرص وظيفية، وكذلك لم يعد القطاع الخاص قادرا على استيعابهم في ظروف اقتصادية قاسية أملتها الأحوال السياسية والاقتصادية الفلسطينية المقيدة بسيطرة الاحتلال وممارساته، ما يؤكد أهميتها في تخريج جيل ريادي واع من الشباب المبادر لإقامة مشاريع ابتكاريه إبداعية، تفتح له أبواب الحياة الكريمة ليصبح مالكاً لمؤسسة أو مشروع، يوفر له ولآخرين فرص عمل جديدة، قد تساهم في الحد من مشكلة البطالة، التي أصبحت تؤرق مجتمعنا الفلسطيني المحاصر، وهو يواصل مشواره نحو حياة أفضل، وهذا لن يتحقق إلا بخريجين جامعيين محفزين، قد بذلت جامعاتهم جهوداً جبارة فاعلة في تعليمهم وتأهيلهم وتدريبهم وتمكينهم بكل المعارف والقدرات والمهارات اللازمة لحثهم على إعمال العقل، وتوليد الأفكار الجديدة كي تنطبق عليهم صفة الريادي والريادية.

وعليه فإن السؤال الجوهري للبحث هو: **ما دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين في الجامعات الفلسطينية (التمكين الجامعي) من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في هذه الكليات؟** وتتفرع منه الأسئلة الآتية:

- ما درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي: (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتعزيز الاتجاهات الإيجابية)؟
- ما درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية؟
- هل هناك أثر لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي (خلق المعرفة، توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتعزيز الاتجاهات الإيجابية) في درجة الريادة والإبداع لدى الطلبة؟
- هل هناك فروق في درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية، تعزى لمتغيرات الجامعة، والمؤهل العلمي، ونوع الوظيفة، وتخصص عضو هيئة التدريس؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أنه قد يكون الدراسة الأولى ـ حسب علم الباحثيْن ـ التي تتناول موضوع دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية في صنع الإبداع والريادة لدى الطلبة الخريجين، كما أن هذه الدراسة قد تؤسس لدراسات أخرى تتعمق في دور الجامعات الفلسطينية وقدراتها على تخريج الكوادر من الموارد البشرية من الرياديين الذين يساهمون بفعالية في تحقيق أهداف التعليم العالي الإستراتيجية، وعلى رأسها تلبية احتياجات السوق المحلية الفلسطينية، ورفدها بالمبدعين من الرياديين الذين قد يساهمون في حل مشكلة البطالة المستفحلة في فلسطين.

وتكمن أهمية الدراسة في تزويد صناع القرار في الجامعات الفلسطينية، وليس في كليات العلوم الإدارية والاقتصادية فحسب بما تتوصل إليه من نتائج علمية وتوصيات قد تساهم في إحداث التغيير والتطوير المطلوبين في أدوارها ومهماتها، وما يتطلب ذلك من أساليب إدارية وأكاديمية إبداعية في مجالات خلق المعارف والمهارات والاتجاهات نحو بناء جيل من الخريجين الرياديين.

أهداف البحث:

يتطلع البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعرف إلى واقع خلق المعرفة، وبناء المهارات الريادية، وتعزيز الاتجاهات الريادية في كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية نحو صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين.
- التعرف إلى مدى قدرات كليات العلوم الإدارية والاقتصادية لدى الجامعات الفلسطينية في صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين.
- التعرف إلى العلاقة بين دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية (التمكين الجامعي)، وبين صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين.
- بيان الفروقات الفردية بين آراء المبحوثين حسب المتغيرات الديموغرافية لهم: (الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة، والدرجة العلمية، ونوع الوظيفة «أكاديمي، إداري» في العلاقة بين دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية، وصنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين.

حدود الدراسة:

يجري البحث على ثلاث جامعات فلسطينية هي جامعة عامة، وثانية خاصة، وثالثة حكومية وذلك وفق تصنيفات الجامعات في النظام الأساس للتعليم العالي الفلسطيني للعام 2009م. لذا، تقتصر هذه الدراسة على أعضاء هيئة التدريس في كليات العلوم الإدارية والاقتصادية، في جامعة القدس المفتوحة، والجامعة العربية الأمريكية، وجامعة فلسطين التقنية، في حدودها البشرية والمكانية. ويجري البحث خلال الفصل الأول من العام الجامعي 2018/ 2019، ويركز البحث على دور كليات العلوم الإدارية

والاقتصادية وبضمنه ثلاثة أبعاد (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتعزيز الاتجاهات الإيجابية) في الجامعات الفلسطينية في صنع الريادة والإبداع لدى الخريجين في حدوده العلمية.

مصطلحات البحث:

◄ **الريادة:** وهي مجموعة القدرات والمهارات والخصائص الشخصية التي تمكن الشخص من المبادرة إلى إنشاء مشروعه الابتكاري الخاص، وهو مفعم بالهمة والحيوية والنشاط والثقة بالنفس، والقدرة على تحقيق النجاح، متحملا المخاطرة بعد أن درسها بعناية وروِّية بما يقوده إلى تحقيق أهدافه .(Daniels,2012: 11)

◄ **الإبداع:** وهو القدرة على الابتكار وتوليد أفكار جديدة، وبناء العلاقات بين الأشياء، وصولا إلى إنجاز جديد كطرق وحلول ناجحة للمشكلات، أو إنتاج سلع وخدمات جديدة، أو تطوير الموجودة منها بما يقود إلى التميز، واستثمار فرص جديدة لم تكن معروفة من قبل (مطاوع وآخرين، 2017: 7).

الإطار النظري:

أولا: دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية:

تؤدي الكليات الجامعية عامة: وكليات العلوم الإدارية والاقتصادية خاصة دوراً مهماً في صقل شخصيات الخريجين، وتزويدهم بالمعارف والمهارات والقدرات التي تنمي لديهم المهارات الريادية، فتنطبق عليها صفة الجامعة الريادية، أو الكلية الريادية، حتى تكون قادرة على تخريج رائد الأعمال أو الريادي، وعليه فماذا تعني الريادية، وما الجامعة أو الكلية الريادية، وما خصائصها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، فقد اطلع الباحثان على الأدب النظري المتعلق بالريادية، حيث عرَّف (Morris, Shirokova & Tsukanova,2017) ريادة الأعمال لدى الطالب الجامعي من خلال توجهه بنيَّة قوية لبناء مشروعه الريادي بأنها العمل الجاد بعزيمة ومضاء لإنشاء مشروع أعمال كنتيجة حقيقية لتعليمه وتمكينه بالعلوم والمعارف والمهارات، وتعزيز الرغبة الكاملة لديه، وتأكيد ثقته بنفسه وقدرته على تحمل المخاطرة، وتحقيق النجاح الريادي المطلوب، كما عرف (العابدين، 2016: 11) ريادة الأعمال بالعمل الذي يقوم به شخص يتحلى بروح المغامرة، ويتقبل المخاطرة المحسوبة، ويتحمل التبعات المالية والنفسية والجسدية كافة، ليقوم باستثمار عوائد هذا العمل في التوسع الأفقي الرأسي، بما يؤدي إلى خلق فرص عمل جديدة، ويساهم بحل بعض مشكلات البطالة. كما عرف (باسردة، 2009: 18) ريادة الأعمال بأنها القدرة على تخطيط المخاطرة، وتحقيق الفائدة المرجوة منها بأقل الخسائر، وعرَّفها (الحسيني، 2015: 11) بأنها المدخل الرئيس لتعزيز رأس المال البشري وتدريب الطلبة وتمكينهم على المهارات، والاتجاهات، والسلوكيات اللازمة للتميز وتحقيق التنافسية على المستويين المحلي والدولي.

ويعرف الباحثان ريادة الأعمال إجرائيا بأنها القدرة الذاتية على الشروع في إنشاء مشروع أعمال متميز قادر على المنافسة والتفرد، بروح مفعمة بالثقة في النفس، والإيمان بالنجاح في تحقيق الأهداف المرسومة، والقدرة على تحمل المخاطرة المدروسة بروية وذكاء، واستثمار الموارد المتاحة بطريقة مثلى تحقق الاستدامة.

وحول مفهوم الجامعة الريادية أو الكلية الريادية فقد عرفها (Purcarea,2012: 1) بأنها المؤسسة التي تسعى بشكل دائم إلى التغيير والتطوير اللازمين للتكيف مع الواقع، وتجعل من أفرادها – سواء كانوا طلبة أم أكاديميين – أناساً على درجة عالية من الفعالية المستديمة، وتعزز فيهم الثقافة الريادية، وتحدد السياسات والممارسات المطلوبة لاتباع طرق التفكير الريادية، وعليه حدد الصفات الريادية للجامعة أو الكلية: بأن أفرادها يؤمنون بالريادة كمنهج حياة، تمتلك طاقماً جامعياً إبداعيًا ريادياً، ولدى خريجيها اهتمام عال بالبيئة واحتياجاتها. كما قامت كل من البعثة الأوروبية ومنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي (European Com-mission & OECD,2012: 2) بتوضيح مفهوم الجامعة الريادية عبر بيان خصائصها، وهو ما ينطبق على كلياتها أيضا، فهي الجامعة التي تخلق تعاونا بينها وبين مؤسسات الأعمال، بهدف خلق المعرفة والعمل على نقلها وتداولها، عبر إجراءات واضحة من شأنها صناعة الرياديين وتمكينهم وتعزيز مفاهيم ريادة الأعمال، وقد حددت إطارا إرشاديا للجامعات الأوروبية، يمكنها استخدامه كدليل إرشادي في التقويم الذاتي لمؤسسات التعليم العالي، لجعل الجامعة أو الكلية مؤسسة ريادية ومن مؤشراته: أنها جامعة تقودها إدارة تؤمن بالحوكمة وتعمل على تطبيقها، واستراتيجيات إدارة ريادية واضحة، تمنح كلياتها إدارة ذاتية، ثم جامعة لديها قدرة تنظيمية لامتلاك موارد بشرية ريادية، تخلق علاقات تناغمية بين طلبتها ومدرسيها نحو اتجاهات وسلوكيات ريادية. ثم إنها جامعة تطبق أساليب تعليمية تعلمية محفزة للتفكير الإبداعي والريادي، وتعمل جاهدة على بيان السبل المناسبة لتمكين طلبتها حتى يصبحوا رياديين، كما أنها جامعة ملتزمة بالانفتاح على المجتمع، وبخاصة القطاع العام، وعمل شراكات دائمة مع أصحاب المصالح مثل حاضنات الأفكار والبحوث العلمية، وأصحاب المبادرات الخلاقة من المشاريع الصغيرة، ثم إنها جامعة يسهل تحولها إلى جامعة عالمية تطبق التوجه الريادي العالمي في التعليم، فتعمل على تنمية أصحاب المواهب في البحث العلمي، وتدريب الطلبة على كيفية اقتناص الفرص الجديدة، ثم إنها جامعة قادرة على قياس أثرها الريادي، مثل مدى احتفاظها بالموهوبين والكفاءات، وعدد الخريجين من طلبتها أصحاب المشاريع الريادية في السوق، وحجم التبادل المعرفي مع الجامعات الأخرى، ومدى الدعم المقدم إلى خريجيها الرياديين خلال إنشائهم لمشاريعهم.

وقد أكد كل من :(Morris, Shirokova, and Tsukanova, 2017 (73 - 70على دور الكليات أو الجامعات الريادية من خلال مناهجها الريادية، ومساقاتها التعليمية، والنشاطات اللامنهجية المصاحبة، في بناء التوجهات الريادية لدى الطلبة، وأن الأسباب الرئيسة لصنع الريادة والمشاريع الريادية لدى الطلبة تعود إلى الأساليب التعليمية الريادية المتبعة والنشاطات التي تمارسها، وأنها الدافع القوي إلى تعزيز نوايا الطلبة للشروع في بناء مشاريع ريادية بعد التخرج، مشيرين إلى أهمية المساقات العلمية التي تصنع الريادة وتركز عليها بشكل عام، وطرق تمويل المخاطرة الريادية، والريادة في المجالات التقنية والاجتماعية، وأساليب التسويق الريادية،

الإبداع وكيفية توليد الأفكار، وطرق التخطيط للمشاريع. أما دور الكليات الريادية أو الجامعات في النشاطات الداعمة للمساقات فقد تركزت في: حضور ورش العمل مع رواد الأعمال المتمرسين من ذوي الخيرة، والمشاركة في منصات التواصل مع المستثمرين والرياديين، وتنظيم برامج تدريبية للطلبة بالتنسيق مع الرياديين، ودورات التخطيط الإستراتيجية في الريادة.

أبعاد دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية:

اختصر الباحثان بعد اطلاعهما على الأدب النظري والدراسات السابقة أبعاد دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في ثلاثة أبعاد وهي:

- **للق المعرفة:** فقد أشار كل من (Boumedien, &Bouhed-edjeur, 2017: 39) إلى أهمية خلق المعرفة لدى الطلبة في مجالات الريادة، خاصة في تخصصات الاقتصاد والإدارة والمالية، مع التأكيد على علوم التسويق ما يخلق لديهم معرفة علمية تراكمية نحو التوجه للمشاريع الريادية، وأشار (باسردة، 9: 2009) إلى أهمية الإبداع والابتكار في العمل الريادي الذي يتحقق لدى الطلبة من خلال التعليم الذي عزز عندهم مهارات الريادية المتنوعة، وأكد (العابدين، 13: 2016) على أهمية بعد المعرفة في الجوانب الاقتصادية والمالية، ومعرفة أسس تنظيم الشركات والعمل على تعليمها للطلبة، وقد نقل (النشمي، 117: 2017) عن (الحرقان، 2012) و (السليمي، 2014)، ومن خلال نتائجه البحثية على طلبة تخصص العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعة التكنولوجية باليمن، أهمية العلوم في خلق المعرفة لدى الطلبة الجامعيين من خلال البحث العلمي المقترن بريادة الأعمال، وأنه أحد السبل الرئيسة التي تخلق الإبداع والابتكار، وتزيد من دافعيتهم لتبني المشاريع الريادية.

- **بناء المهارات:** فقد أشار (الحسيني، 2015: 14) إلى أهمية بعد التعليم في تعزيز المهارات الفنية، ومهارات إدارة الأعمال، ومهارات الريادة الشخصية لدى الطلبة، بما يعزز النوايا لديهم لبناء مشاريعهم الريادية مستقبلا، وأوضح (العابدين، 2016: 13) أهمية امتلاك الطلبة مهارات التخطيط للمستقبل، ومهارات الاتصال والتواصل، ومهارات استكشاف الفرص لبدء المشاريع الريادية، وهذا ما أكد عليه أيضا (Saleh,2014: 340 - 345) حيث تزيد هذه المهارات من تمكين الخصائص والسمات الريادية لدى الطلبة نحو تحمل المخاطرة المحسوبة، والثقة بالنفس، والمبادرة، واتخاذ القرارات.

- **تعزيز الاتجاهات:** تكمن أهمية التعليم الريادي في تعزيز الاتجاهات الإيجابية الريادية لدى الطلبة (European,2012: 19) من خلال تزويدهم بالمعارف والمهارات المشار إليها سابقا، فتتكون لديهم الرغبات والنوايا الحقيقية لتحمل المخاطرة والثقة بالنفس نحو النجاح المطلوب، فيشقون طريقهم في الحياة وهم متفائلون بنجاح مشاريعهم الريادية، كما أكد (الحسيني، 2015: 14) أهمية تعزيز اتجاهات الطلبة نحو المشاريع الريادية، بما يزيد من الثقة بالنفس، والوعي الذاتي، والقدرة على المخاطرة المحسوبة، وامتلاك للتفكير الإبداعي والناقد نحو حل المشكلات. كما يشير (Boume-dien, &Bouhededjeur, 2017: 36)إلى الاتجاهات الإيجابية لدى الطالب الجامعي نحو الريادية، التي تتعزز من خلال ثلاثة أمور:

التراكم المعرفي العلمي المكتسب من دراسات إدارة الأعمال، ثم خبرة إدارة الأعمال في المشاريع العائلية، أو من خبرة العمل الشخصية، وأنه توجد علاقة ايجابية قوية بين النوايا الريادية والاتجاهات الإيجابية، وهذه العلاقة تقود الطالب الريادي إلى التفكير الريادي السليم إذ يقوم بتوظيف نفسه في مشروعه الريادي.

ثانيا: الريادة والإبداع

يُعد الإبداع أحد أهم المنطلقات التي تقود إلى الريادية، وهو في صلب ريادة الأعمال وجوهرها، إذ لا ريادة، ولا مشاريع ريادية بدون إبداع، فهو الطريق الذي يجعل من الريادي شخصاً إيجابياً متفائلاً ومتمكناً حتى يأخذ صفة رائد أعمال، بعد أن يستكشف الفرص، ويستثمرها بكفاءة واقتدار، فقد عرف (Boumedien, & Bouhededjeur, 2017: 17) رائد الأعمال بأنه الشخص القادر على خلق توليفة من عناصر الخلق المتاحة كافة، واستخدامها بطريقة مثلى، فيمتلك مشروعه الخاص متحملا المخاطرة المحسوبة االمدروسة بأساليب علمية وليس اعتباطا. ثم عرف (Lall, & Sa-hai,2011: 43) الإبداع بأنه النجاح في توليد الأفكار الجديدة، وتصميمها بطريقة تمكن المبدع من تنفيذها واستثمارها في إنشاء مشروعه الخاص، ويكون قادرا على المنافسة في السوق وتحقيق النجاح المطلوب، وقد ربط الكاتبان موضوع الإبداع بالابتكار على اعتبار أنهما متلازمان، ذلك أن الفكرة التي قادت صاحبها إلى إنشاء مشروعه هذا تعني إيجاد منهج جديد، أو تطويره وتحديثه بتميز عال. بينما عرف (Danieles,2012: 29) الإبداع بأنه أداة أو طريقة تمكن الريادي من إيجاد مستحدثات غير مألوفة من قبل، تفتح له آفاقا نحو فرص جديدة، يستطيع استثمارها بأساليب إبداعية جديدة، أما (مطاوع، وأبا الخيل، وإبراهيم، 2017: 7) فقد عرفوا الإبداع بأنه الإتيان بأفكار جديدة ذات علاقة بحل المشكلات، أو استحداث منتجات وخدمات جديدة قد تشمل معدات وآلات وطرق تنظيم أو تحسين لأساليب وتحديثها، وقد يعني إبداعاً تقنياً، أو أنماطاً إبداعية في طرق التفكير والتحليل.

أبعاد الريادة والإبداع:

تناولت الأبحاث والدراسات السابقة، وكذلك الأدب النظري عددا من الأبعاد الرئيسة لمجال الريادة والإبداع، فقد حددها كل من (النشمي، 2017: 107) و (Dahleez& Migdad,2013: 538)و (إدريس، 2015: 677) و (سلطان، 2016: 105) و (إدريس، و أحمد، 2016: 129) وانسجمت أقوالهم مع أبحاث أخرى في بيان خصائص الريادي المبدع من الطلبة الجامعيين الذين لديهم النية المؤكدة والتوجهات الجدية للبدء في مشروع أعمال ريادي، وجاءت كما يأتي:

- **الثقة بالنفس Self Confidence** وتعني الحماسة العالية لدى الريادي لإنجاز مشروعه دون تردد، وأنه مؤمن بتحقيق أهدافه، مهما واجهته العقبات والصعوبات.

- **الحاجة إلى الإنجاز Need for Achievement**، وهي صفة الشخص الريادي التي تميزه عن الآخرين، إذ يشعر بفخر كبير عند الإنجاز، لما تتوافر لديه من دافعية عالية تجعل منه شخصا بارعاً ومتفوقاً لتحقيق ما يصبو إليه.

- **التحكم الذاتي Self Control**، ذلك أن الريادي قادر على

فهم ما يجري حوله من أحداث وأفراد وإدراكه، فيوازن نفسه جيدا، ويسيطر على قراراته وإجراءاته بكفاءة ونجاح.

- **الإبداع Innovation**، حيث إن الريادي يحلل الأمور ويفسرها بأسلوب علمي يولد لديه أفكاراً جديدة خلاقة، ويبتكر من الطرق والأساليب ما يقوده إلى تحقيق أهدافه.

- **الميل إلى المغامرة Risk Taker**، فالريادي أصلاً شخص واثق بنفسه، إذ يدرس المخاطرة ويحسبها بتعمق، آخذا بأسباب النجاح في ظل حالة التأكد التي أصبحت سمة المستقبل المجهول، لكنه يقرن ذلك برغبته في النجاح المؤكد.

- **الاستقلال وتحمل المسؤولية Independency & Responsibility** فالريادي شخص حر مستقل مفعم بالحيوية والنشاط والحماسة، ويحب تحمل المسؤولية، لأنه واثق بمهاراته وقدراته وممارس لعمله بتفاؤل. وقد أضاف الباحثان إلى هذه الصفات الريادية من خلال خبراتهما في التدريس الجامعي صفة أخرى يمكن للتعليم الريادي الجامعي غرسها لدى الطلبة وهي:

- **الإعلام والعلاقات العامة Public Relations & Media** فالشخص الريادي الذي يمتلك مهارات الاتصال والتواصل مع الأفراد والمؤسسات، ويسوِّق ذاته جيدا لديها، وأيضا عبر وسائل الإعلام بأشكالها كافة، ويجيد التصريح الإعلاني والإعلامي.

الدراسات السابقة:

أجرى الباحثان مسحاً لكثير من مصادر المعلومات الثانوية منها المكتبات، وكذلك المصادر الإلكترونية، وتوصلا إلى عدد من الدراسات السابقة تتعلق بمتغيرات البحث، وعُرضت وفق متغيرات البحث، وحسب تسلسلها الزمني على النحو الآتي:

◄ أولا: الدراسات التي تتعلق بمتغير دور الكليات: فقد قام (**الحمالي والعربي، 2016**) بإجراء دراسة هدفت إلى معرفة واقع ثقافة ريادة الأعمال وآليات تفعيلها في جامعة حائل حسب وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية من خلال التعرف إلى أبعاد واقع دور الجامعة في نشر الثقافة الريادية، والمعوقات التي تحول دون نشرها، وآليات مقترحة لنشرها، وأُجريت الدراسة على عينة طبقية عشوائية تتكون من (243) مدرساً ومدرسة، وقد توصل الباحثان إلى ضرورة الاهتمام بوضع خطط تنفيذية، تتضمن أهدافا وسياسات واضحة لتعزيز ثقافة الريادة، بل والعمل على الترويج لها عبر حملات توعية وتثقيف خاصة بها، والعمل على توفير بيئة معرفية بالريادة وتقديمها للطلبة بوساطة البرامج الدراسية التي تقدمها الكليات. ولمعرفة مدى توافر الخصائص الريادية لدى الطلبة الجامعيين في فلسطين، قامت (**سلطان، 2016**) بدراسة تطبيقية على طلبة البكالوريوس في تخصص إدارة الأعمال في جامعات جنوب الضفة الغربية في فلسطين، وفحص علاقتها ببعض المتغيرات الشخصية، وتوصلت أيضا إلى أن مستوى الخصائص الريادية لدى الطلبة كان عالياً، وأن ترتيبها حسب أهميتها كان على النحو الآتي: التخطيط، ثم التحكم الذاتي، ثم الثقة بالنفس، ثم المثابرة والالتزام، ثم التواصل مع الآخرين، ثم الاستقلالية، ثم تحمل المخاطرة، وأخيرا الحاجة إلى الإنجاز، وتوصلت أيضاً إلى أن متطلبات العمل الريادي جاءت مرتبة حسب الأكثر إلحاحاً وهي: رأس المال، وولادة الفكرة الريادية، الدورات التدريبية، وتوافر بيئة قانونية داعمة، ومعرفة بالتكنولوجيا، وتوافر بيئة تحتية، وأخيرا ثقافة اجتماعية داعمة، وأجرى (**Said et al, 2015**) دراسة هدفت إلى معرفة دور التعليم العالي في تطوير دور الريادة الاجتماعية في ماليزيا، وقد نظرت الدراسة إلى مؤسسات التعليم العالي على أنها مصانع اجتماعية؛ تقوم بخلق رأس المال الاجتماعي الذي ساهم في بناء المجتمع الماليزي، في زمان أصبح مفهوم الريادة الاجتماعية معروفاً عالمياً، وقد توصل الباحثون في دراستهم هذه – ومن خلال مراجعة أدبيات الريادة الاجتماعية – أن الجامعات الماليزية أخذت بمفهوم الريادة الاجتماعية، إلا أنها تعاني من ضعف الموارد المالية المخصصة، وقد أوصت الدراسة إلى الجهات المتخصصة بضرورة اعتبار الجامعات المنطلق الرئيس لتعزيز الريادة الاجتماعية، وتوفير السبل اللازمة لها، وعلى رأسها الدعم المالي المطلوب، إلى جانب الدعم السياسي للتعليم العالي والعمل على تمكينه من تحقيق الريادة الاجتماعية في البلاد كافة. كما أجرى (**عيد، 2015**) دراسة هدفت إلى معرفة اتجاهات الطلاب نحو ريادة الأعمال، والعوامل المؤثرة فيها، وكذلك معرفة واقع بعض الجامعات العربية فيما يتعلق باتجاهات الطلبة نحو الريادية، وما تقوم به الجامعات لتعزيزها لدى الطلبة، وذلك بناء على تصنيف الجامعات المشار إليها وفق ملكيتها ومدى اعتماديتها من قبل جهات الاختصاص، حيث إن بعضها جامعات خاصة أو حكومية أو أجنبية وافدة، وقد توصل الباحث إلى وجود اختلافات معنوية بين اتجاهات الطلبة في بعض الجامعات العربي ة نحو ريادة الأعمال حسب نوع ملكية الجامعة، وأنه لا يوجد اختلاف جوهري في اتجاهات الطلبة نحو ريادة الأعمال بموجب الاعتماد الأكاديمي الدولي، كما تبين وجود اتفاق بين آراء الطلبة في هذه الجامعات نحو ريادة الأعمال ونوع الملكية ومرحلة الاعتماد الأكاديمي حول العوامل المؤثرة في اتجاهاتهم نحو ريادة الأعمال، وأوصى الباحث بضرورة إنشاء كليات ريادة أعمال في الجامعات، ووجوب عمل شراكات مع القطاع الخاص لتعزيز الجانب الريادي لدى الطلبة، وعمل نشاطات توعية وتثقيف حول ريادة الأعمال بما يعزز الدافعية لديهم. وتناولت دراسة (**غانم، 2014**) دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني في الحد من مشكلة البطالة للخريجين، وذلك لمعالجة مشكلة تفاقم البطالة من بين الخريجين من حملة شهادة البكالوريوس، خاصة في ظل عدم قدرة المؤسسات سواء العامة أو الخاصة على استيعاب طوابير الخريجين الجامعيين، وقد اعتمدت الدراسة على بيانات بعض الدراسات السابقة، وكذلك من التجارب العربية والأجنبية في هذا المجال، وبينت الدراسة تجربة قيام خريجي كلية العلوم الإدارية والاقتصادية في جامعة القدس المفتوحة لإقامة مشروع ربحي صغير، بهدف إنجاح فرص التشغيل الذاتي للطلبة الخريجين بديلا عن مشروع التخرج، مع الحفاظ على آلية رصد العلامة وفق الأصول، داعيا إلى استخدام هذا النموذج في الجامعات الفلسطينية، ومن ثم دعوة جهات وأصحاب الاختصاص لعقد ورشة عمل لمناقشة التجربة، والعمل على تقويمها نحو الأفضل. وقام (**محمد و محمود، 2014**) بدراسة هدفت إلى قياس مستوى ريادة الأعمال لدى طلاب جامعة الطائف ودور الجامعة في تنميتها، استخدم الباحثان لذلك استبانة وُزِّعت على عينة من الطلبة بلغ عددهم (657) طالبا وطالبة، وأيضا على عينة من المدرسين بلغ عددهم (117)، وقد توصلت الدراسة

إلى وجود درجات متفاوتة لامتلاك الطلبة خصائص الريادة، وأن للجامعة رؤية ورسالة واضحتين بالخصوص، وأنها تقوم بتشجيع الطلبة على الريادية وتدعم مشروعاتهم عبر مساعدتهم بإخراجها إلى حيز التنفيذ، وأوصى الباحثان بضرورة قيام الجامعة بحث الطلبة على البحث العلمي لحل المشكلات التي تواجههم، وضرورة اعتمادها معيار ريادة الأعمال في تقويم أداء الطلبة. وقام أيضا (**Zhou & Xu, 2012**) بدراسة هدفت إلى معرفة دور التعليم الريادي باعتباره حلاً إبداعياً لمواجهة تحديات التعليم العالي في الصين، وبخاصة في ظل تزايد أعداد الخريجين الهائل، في وقت بدأت الصين فيه بتطبيق أسلوب التعليم الريادي في تسع جامعات صينية، ثم حذت حذوها كثيرٌ من الكليات والجامعات باعتباره تعليماً ريادياً حديثاً في الجامعات، وعليه تم تحليل برامج التعليم الريادي في ثلاث جامعات صينية، من وجهة نظر الطلبة، وبالمقارنة مع جامعات أمريكية، وقد أوصى الباحثان بضرورة تطبيق أسلوب التعليم الريادي في الكليات والجامعات الصينية كافة. ولمعرفة أثر السمات الشخصية والبيئية على التوجه الريادي للطلبة أجرى (**Zain, Akram, & Ghani, 2010**) دراسة على طلبة تخصص إدارة الأعمال في جامعة ماليزية حكومية، وقد توصلت الدراسة إلى وجود نية عند الطلبة للقيام بمشاريع ريادية مستقبلية، ولكن قراراتهم محكومة بمدى الدعم المتوافر لهم من الأكاديميين ورجال الأعمال وأفراد عائلاتهم وأصدقائهم، وتبين أن المساقات الجامعية تؤدي دوراً كبيراً في تمكين الطلبة وتحفيزهم لعمل مشاريع ريادية، وأوصت الدراسة بضرورة تدريس الطلبة مساقات متخصصة في الريادة تساعدهم على القيام بالمشاريع الريادية. ولمعرفة أثر التعليم الريادي على التوجه الريادي لدى طلبة الجامعات النيجيرية أجرى (**Izedonmi & Okafor, 2010**) دراسة أظهرت نية الطلبة للقيام بمشاريع ريادية مستقبلية، وأنه توجد علاقة إيجابية بين تعلم المساقات الريادية والتوجه للعمل الريادي لدى الطلبة، وعليه أوصت الدراسة بضرورة إيلاء الحكومة النيجيرية اهتماماً خاصاً بالتعليم الريادي، وإدخاله رسميا ضمن مساقات التعليم الجامعي في نيجيريا، وكذلك تقديم التعليم الريادي للطلبة في المراحل الثانوية بهدف التأثير على الاتجاهات الإيجابية للطلبة الثانويين نحو أعمال المشاريع الريادية. ولمعرفة نوايا الطلبة نحو المشاريع الريادية في غانا أجرى (Samuel, Ernest, Awauh,2013) دراسة على طلبة جامعة سنياني، كان هدفها معرفة المعوقات التي تحول دون قيام الطلبة بالمشاريع الريادية، وفحصت الدراسة أثر العوامل الديموغرافية على نية الطلبة للبدء في هذه المشاريع. وخلصت الدراسة إلى وجود نوايا ريادية قوية لدى الطلبة، وأن المتغيرات الديمغرافية كالعمر والجنس والديانة تؤثر على نواياهم الريادية بدرجات متفاوتة.

◄ ثانيا: الدراسات التي تتعلق بمتغير الريادة والإبداع: أجرى (**النشمي، 2017**) دراسة للتعرف إلى أثر الخصائص الريادية وهي (التحكم الذاتي، والحاجة إلى الإنجاز، والقدرة على تحمل المخاطرة، والإبداع، والثقة بالنفس، والاستقلالية، وتحمل المسؤولية)، على نية طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا اليمنية للبدء بمشاريع ريادية بعد تخرجهم، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر ذي دلالة إحصائية للخصائص الريادية على نيتهم لإنشاء مشاريع ريادية خاصة، وأن خاصيتي قدرة الطلبة على التحكم الذاتي، ومستوى الإبداع لديهم من الخصائص الأكثر تأثيراً على النية الريادية لديهم، بينما خاصية الثقة بالنفس تُعدُّ الأقل تأثيراً من بين الخصائص الأخرى، وتبين أيضا أن لدى الطلبة نية كبيرة لعمل مشاريع ريادية، إلا أن البيئة الحالية لا تساعدهم في ذلك. كما قام (**إدريس وأحمد، 2016**) بدراسة هدفت إلى معرفة دور ريادة الأعمال في الحد من مشكلة البطالة في منطقة الطائف من خلال أثر المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وتكون مجتمع الدراسة من رواد الأعمال، والبالغ عددهم (60) ستين رائد أعمال، واتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى وجود وعي كبير لدى المبحوثين بأهمية المشاريع الصغيرة في الحد من البطالة، وأوصت الدراسة بضرورة تشجيع المشاريع الريادية الصغيرة وتقديم الدعم المالي لأصحابها، وتوفير حاضنات أعمال لرعاية المشروعات الريادية في مراحلها الأولى. وقام أيضا (**العابدين، 2016**) بدراسة هدفت إلى معرفة مستوى وعي الطلبة في السنة التحضيرية في جامعة الملك سعود بريادة الأعمال واتجاهاتهم نحوها، وكذلك معرفة المعوقات التي تواجه ريادة الأعمال من وجهة نظرهم، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى وجود وعي لدى الطلبة بريادة الأعمال بدرجة مرتفعة، لكن اتجاهاتهم نحوها كانت متوسطة، وأن المعوقات التي تحول دون الوصول إليها كانت عديدة بدرجة مرتفعة، وأوصى الباحثان بضرورة تدريس مقرر خاص بريادة الأعمال بهدف رفع الوعي بها، وكذلك ضرورة إنشاء مراكز متخصصة لتدريب الشباب على المهن المطلوبة في المجتمع، وأن يكون التدريب مجانياً، وقيام الجامعات بتنمية الأفكار الإبداعية لدى الطلبة، وعمل ندوات خاصة للاطلاع على تجارب ناجحة لرواد الأعمال، سواء في البلدان المجاورة أو العالمية. وكذلك أجرى (**السيد وإبراهيم، 2014**) دراسة هدفت إلى الاستفادة من خبرة كل من سنغافورة والصين وسياساتهما في التعليم الريادي وريادة الأعمال؛ لتوظيفها في ريادة الأعمال في مصر، ولتحقيق الفائدة المرجوة، فقد ركز الباحثان على الإطار النظري لتوضيح المفاهيم المتعلقة بمواضيع التعليم الريادي وريادة الأعمال، ورائد الأعمال، والجامعة الريادية، وقد استخدمت الدراسة المنهج المقارن G. Bereday للمقارنة بين سياسات برامج التعليم الريادي وريادة الأعمال في كل من سنغافورة والصين ومصر، وذلك بهدف توظيف التجربة في الجامعات وحاضنات الإبداع العلمي في خلق بيئة مساندة للتعليم الريادي وريادة الأعمال في مصر، وقد أوصت الدراسة بضرورة الاقتداء بدور الجامعات في البلدين المذكورين، وذلك بإعادة هيكلة الجامعات، وتطبيق مفهوم الجامعة الريادية نحو نشر ثقافة ريادة الأعمال، مع وجوب تفعيل الشراكة بين الجامعات والقطاع الخاص. وأجرى (**Dahleez & Migdad, 2013**) دراسة هدفت إلى معرفة الخصائص الريادية لدى طلاب الجامعات في قطاع غزة، وذلك في محاولة للوصول إلى مجموعة من الأساليب الإدارية، وكذلك السياسات القادرة على خلق الريادية لدى الطلبة الجامعيين في مثل هذه المنطقة ذات الأوضاع القاسية والمتدهورة اقتصادياً واجتماعياً، وهدفت الدراسة أيضا إلى فحص العلاقة بين الخصائص الريادية للطلبة والميل الريادي لديهم، واستخدم الباحثان أسلوب تحليل العوامل الاستكشافية (EFA) Exploratory Factor Analysis حيث صنفت الدراسة الطلبة إلى صنفين: الطلبة الذين لديهم ميول ريادية، والطلبة الذين ليس لديهم ميول ريادية،

وذلك بناء على الرغبة المتوافرة لديهم لإنشاء مشاريع ذاتية بعد التخرج، وتكونت عينة الدراسة من طلبة السنة الأخيرة للبكالوريوس في تخصصات الهندسة والتجارة وتكنولوجيا المعلومات، وذلك بطريقة العينة العشوائية الطبقية، وعددهم (451)، وقد توصلت الدراسة إلى أن الطلبة الذين لديهم ميول ريادية لا يتجاوزون (24%) فقط من الطلبة، وقد صُنِّفت الخصائص الريادية للطلبة في الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة إلى ستة: الاستقلالية، والتحكم في الأمور وتوجيهها، والثقة بالنفس، ومهارات الاتصال، والحاجة إلى الإنجاز، وتقبل المخاطرة، وأكدت النتائج أن الصنفين الأول والثاني هما الأكثر ميلا للريادة من الأصناف الأخرى. وأوصى الباحثان بضرورة إيلاء الجامعات اهتماما أكبر بالتعليم الريادي، وتوفير برامج تدريبية للطلبة تزودهم بمهارات العمل الريادي، وعلى الحكومة الفلسطينية توفير مناطق صناعية، وتوفير قوانين وتشريعات تحفظ حقوق الملكية الفكرية وبراءات الاختراع. وقام (**باسردة وتوفيق، 2009**) بدراسة هدفت إلى معرفة دور الإبداع والفوائد التي تجنيها المنظمات التي تقوم بتطبيقه، وعلاقة ذلك بالريادة، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لمعرفة العلاقة بين المتغيرات، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية قوية بين الإبداع وريادة الأعمال، وأيضا وجود أثر عال لمتغير الإبداع على إنجاز الريادة في منظمات الأعمال. ولمعرفة مدى توافر الخصائص الريادية في الشباب الفلسطيني، فقد قامت (**ماس، 2007**) بدراسة للظروف البيئية التي يعيشونها، وتوصلت إلى أن أغلب الشباب الريادي في فلسطين هم من حملة مؤهلات علمية أقل من الثانوية العامة، وأن العامل الحاسم في عدم الشروع في مشاريع ريادية هو الخوف من الفشل، وكذلك عدم إيلاء مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية اهتماماً ملحوظاً بطرح برامج خاصة بالريادية، وأنه يوجد نقص بالدورات التدريبية الخاصة بالريادة، كما أن أساليب التعليم الأساسي في المدارس تقوم على التلقين الذي يعوق التفكير الإبداعي والتوجه الريادي لدى الطلبة، كما أن هناك كثيراً من العقبات المالية التي تضعها البنوك أمام الشباب الفلسطيني في التمويل لمشاريعهم الريادية، وأن البيئة القانونية ما زالت عاجزة عن تشجيع المشاريع الريادية، وأوصت الدراسة بضرورة تعزيز التوجه الريادي لدى الطلبة في التعليم الجامعي، وكذلك قيام البنوك بتسهيل تمويل أصحاب المشاريع الريادية، وطالبت الجهات البحثية بإجراء أبحاث علمية خاصة بالمشاريع الريادية في فلسطين.

التعقيب على الدراسات السابقة

اهتمت بعض الدراسات السابقة بموضوع المتغير المستقل، وهو دور الجامعات في صنع ريادة الأعمال لدى الطلبة أو ما أطلقت عليه الدراسة الحالية (التمكين الجامعي)، ومنها دراسات كل من (الحمالي وهشام، 2016)، ودراسة (سلطان، 2016)، وكذلك دراسة (Said et al,2015)، ودراسة (عيد، 2015) التي هدفت إلى دراسة اتجاهات الطلاب نحو الريادية، ودراسة (محمد و محمود، 2014)، ودراسة (Zhou & Xu,2012)، ودراسة (Zain, Akram, & Ghani, 2010)، ودراسة (Izedonmi, & Okafor, 2010)، ودراسة (Samuel, Ernest, & Awauh, 2013)، وقد تميزت الدراسة الحالية عن السابقة في طرح موضوع المتغير المستقل وذلك بطرح مفهوم (التمكين الجامعي) بالتركيز على ثلاثة أبعاد رئيسة وهي خلق المعرفة، وبناء المهارات، وتعزيز الاتجاهات الريادية لدى الطلبة الخريجين، لأن كل منها له دوره الخاص في صنع الريادة، كما أن هذه الدراسات ركزت في أبحاثها على الطلبة، بينما ركزت الدراسة الحالية على آراء المدرسين في الكليات باعتبارهم الأعلم بواقع التعليم الجامعي وأساليبه ومساقاته ونتائج التحصيل العلمي لطلبتهم، كما أن كثيراً منهم على تواصل مع طلبته الخريجين، واتفقت الدراسة مع نتائج هذه الدراسات بوجود علاقة إيجابية بين دور الجامعات وصنع الريادة لدى الطلبة الخريجين.

وفيما يتعلق بالمتغير التابع وهو صنع الريادة والإبداع، فقد ركزت الدراسة الحالية على ذلك بشكل عام، بينما تناولته غالبية الدراسات السابقة بالتركيز على مدى وجود خصائص الريادية لدى الطلبة، ومنها دراسات كل من (النشمي، 2017)، ودراسة (إدريس وأحمد، 2016)، ودراسة (العابدين، 2016)، وكذلك دراسة (السيد وإبراهيم، 2014)، ودراسة (Dahleez & Migdad, 2013)، ودراسة (باسردة وتوفيق، 2009) علما أن هذه الخصائص متوافرة عند الطلبة بنسب متفاوتة، حيث إن التمكين الجامعي هو العامل الحاسم والرئيس في تنميتها وتعزيزها لدى الطلبة الخريجين، إذ بدونه تبقى كما هي، أي في حالة سكون فقط، إلا إذا مُكِّن الطلبة من خلال دراستهم الجامعية، وهذا ما اتفقت عليه نتائج الدراسة الحالية مع دراسة (ماس، 2007) التي توصلت إلى أن غالبية الرياديين في فلسطين هم من حملة المؤهلات العلمية ما دون الثانوية العامة، وأن التعليم العالي الفلسطيني لا يولي اهتماما ملحوظا بطرح برامج خاصة بالريادية.

إجراءات الدراسة ومنهجها:

منهج الدراسة:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة، حيث صُنفت البيانات التي جمعت من المبحوثين، ومن ثم حُللت باستخدام الطرق والأساليب الإحصائية المناسبة، ونوقشت وربطت بالإطار النظري والدراسات السابقة.

مجتمع الدراسة:

أُجري البحث على ثلاث جامعات فلسطينية هي جامعة عامة، وثانية خاصة، وثالثة حكومية وذلك وفق تصنيفات الجامعات في النظام الأساس للتعليم العالي الفلسطيني للعام 2009م. لذلك، تكوّن مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس في كليات العلوم الإدارية الاقتصادية في ثلاثة جامعات فلسطينية وهي: جامعة القدس المفتوحة و الجامعة العربية الأمريكية و جامعة فلسطين التقنية ، والبالغ عددهم حوالي (120) عضواً من أعضاء هيئة التدريس.

عينة الدراسة:

سعى الباحثان إلى تناول جميع أفراد المجتمع (أعضاء هيئة التدريس) بالدراسة، وأرسلت الاستبانات بطريقتين، الأولى: عبر تعميم خاص بالاستبانة من خلال البوابة الأكاديمية موجه من عمادة كلية العلوم الإدارية والاقتصادية في جامعة القدس المفتوحة لمدرسيها، والثانية: بتوزيع مباشر من الباحثين على

الزملاء في الجامعة العربية الأمريكية، وكذلك وُزعت للزملاء في جامعة فلسطين التقنية بعد مخاطبة رسمية من عميد كلية العلوم الإدارية والاقتصادية بجامعة القدس المفتوحة إلى نظيره في جامعة فلسطين التقنية، وبسبب تأخر بعض الزملاء في الجامعات الثلاثة عن تعبئة الاستبانة، تم استرجاع (103) استبانة، وُجد أن منها (97) استبانة صالحة للتحليل، وقد اعتبرت عينة للدراسة، أي ما نسبته (81%) من المجتمع الأصلي، والجدول الآتي يوضّح كيفية توزيع أفراد العينة بحسب

الجدول (1)

توزيع أفراد العينة بحسب الجامعة، والمؤهل العلمي، ونوع الوظيفة، والتخصص

المتغير	مستويات التغيير	العدد	النسبة المئوية
الجامعة	جامعة القدس المفتوحة	46	47.4%
	الجامعة العربية الأمريكية	16	16.5%
	جامعة فلسطين التقنية	35	36.1%
المؤهل العلمي	ماجستير	38	39.2%
	دكتوراه	59	60.8%
نوع الوظيفة	أكاديمي مكلف بعمل إداري	18	18.6%
	أكاديمي مدرس	79	81.4%
التخصص	إدارة أعمال	47	48.5%
	اقتصاد	9	9.3%
	إدارة موارد بشرية	6	6.2%
	إدارة مالية	17	17.5%
	محاسبة	12	12.4%
	تسويق	6	6.2%

المتغيرات:

الجامعة، والمؤهل العلمي، ونوع الوظيفة، والتخصص.

أداة الدراسة:

بهدف قياس دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية (التمكين الجامعي) في صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين في الجامعات الفلسطينية، صممت استبانة مكونة من قسمين، القسم الأول استهدف قياس درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي، حيث ضم (23) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد: (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتنمية الاتجاهات الإيجابية)، أما القسم الثاني فاستهدف قياس درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية، وضم (12) فقرة، وذلك من خلال الاطلاع على الأدبيات والدراسات والأدوات السابقة ذات العلاقة، تم بعد ذلك التحقق من صدق أداة الدراسة وثباتها بشقيها حسب الآتي:

صدق الاستبانة:

للتحقق من صدق أداة الدراسة بصورتها المبدئية اتبعت طريقة الصدق الظاهري (صدق المحكمين)، فَعُرضت على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص، حيث طُلب منهم الحكم على صلاحية الفقرات، ومدى ملاءمتها لموضوعها ومجالها، وأدلوا بصدقها وصلاحيتها بشقيها، كما تمَّ إجراء صدق البناء لأداة الدراسة بشقيها (درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في التمكين الجامعي، ودرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة)، حيث تبين أن معاملات الارتباط لكل فقرة من فقرات الشق الأول المتعلق بدور الكليات في التمكين الجامعي مع المتوسط الكلي له، كانت دالة عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha \leq 0.05$)، وذلك على أفراد عينة الدراسة الفعلي، وتراوحت ما بين ($0.57 - 0.72$)، كذلك تبين أن معاملات الارتباط لكل فقرة من فقرات الشق الثاني المتعلق بدرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة مع المتوسط الكلي له، كانت دالة عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha \leq 0.05$)، وتراوحت ما بين ($0.45 - 0.68$).

ثبات الاستبانة:

اختُبر الثبات للشق الأول من الأداة المتعلق بدور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في التمكين الجامعي، وذلك باستخدام طريقة التجزئة النصفية لفقرات الاختبار، إذ استخدم معامل كرونباخ ألفا لحساب معامل الثبات للفقرات الفردية، فكان يساوي (0.91) في حين كان يساوي (0.90) للفقرات الزوجية وبعد ذلك حسب معامل الارتباط بينهما فكان يساوي ($r=0.93$)، ثم استُخدمت معادلة سبيرمان براون:

$$\text{معامل الثبات Reliability Coefficient} = \frac{2r}{1+r}$$

حيث r هو معامل الارتباط بين الفقرات الفردية والزوجية. وقد بلغ معامل الثبات الكلي (96.8%)، وهي قيمة مقبولة لأغراض الدراسة.كما تم اختبار الثبات للشق الثاني من الأداة المتعلق بدرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة، بنفس الطريقة السابقة ذكرها، إذ استخدم معامل كرونباخ ألفا لحساب معامل الثبات للفقرات الفردية، فكان يساوي (0.86) ثم كان معامل كرونباخ ألفا للفقرات الزوجية (0.87)، وبعد ذلك حسب معامل الارتباط بينهما فكان يساوي ($r=0.90$)، ثم استخدام معادلة سبيرمان براون:

$$\text{معامل الثبات Reliability Coefficient} = \frac{2r}{1+r}$$

حيث r هو معامل الارتباط بين الفقرات الفردية والزوجية. وقد بلغ معامل الثبات الكلي (95%)، وهي قيمة مقبولة لأغراض الدراسة.

متغيرات الدراسة:

- المتغيرات المستقلة: متغير دور كليات العلوم الإدارية الاقتصادية بالتمكين الجامعي.
- المتغير التابع: متغير الريادة والإبداع.
- المتغيرات الثانوية (الوسيطة): متغير الجامعة، والمؤهل العلمي، ونوع الوظيفة، وتخصص عضو هيئة التدريس.

المعالجات الإحصائية للبيانات:

بعد جمع الاستبيانات من عينة الدراسة، فرَّغ الباحثان

إجابات أفراد العينة، وأُدخلت إلى الحاسب الآلي، وعولجت باستعمال برمجية ألـ (SPSS)، فحُسبت المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية؛ من أجل الإجابة عن أسئلة الدراسة، وأُجري اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA)، وأجري اختبار أقل فرق دال إحصائيا للمقارنات البعدية (LSD)، كما وأُجري اختبار (ت) لعينتين مستقلتين (Independent Samples t - test)، وحُسب معامل الارتباط بيرسون، وحُسب اختبار الانحدار الخطي المتعدد (Multiple Regression Analysis)، من أجل فحص فرضيات الدراسة، في حين حُسب معامل ثبات أداة الدراسة بواسطة معادلة الثبات سبيرمان/ بروان.

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بأسئلة الدراسة:

بهدف التعرف إلى درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي، ودرجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية، فقد حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل بعد من أبعاد أداة الدراسة، ولكل أبعادها مجتمعة، بشقيها (درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في التمكين الجامعي، ودرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة) ولتسهيل عرض النتائج اعتُمد التوزيع الآتي:

الجدول (2)

توزيع ليكرت الخماسي

درجات الاستجابة	كبيرة جداً	كبيرة	متوسطة	منخفضة	منخفضة جداً
درجة الاستجابة	5	4	3	2	1
المتوسط الحسابي	4.21 - 5.0	3.41 - 4.20	2.61 - 3.40	1.81 - 2.60	1 - 1.80

◄ إجابة السؤال الأول ونصه: «**ما درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي: (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتعزيز الاتجاهات الإيجابية)؟** »

أ. بعد خلق المعرفة:

الجدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية ودرجات التقدير لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي نحو بعد خلق المعرفة مرتبة ترتيباً تنازلياً

الرقم	بعد خلق المعرفة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة التقدير
.1	تهتم الكلية بتعزيز ثقافة الأعمال الريادية لدى طواقمها وطلبتها.	3.43	1.020	68.6%	كبيرة
.2	تشجع الكلية طلبتها لإجراء أبحاث علمية ريادية لاستكشاف الفرص	3.40	1.007	68%	متوسطة
.3	تنمي الكلية لدى الخريجين معرفة ممتازة بريادة المشاريع الصغيرة	3.28	0.863	65.6%	متوسطة
.4	تحدث الكلية مساقاتها بشكل دوري آخذة بالحسبان موضوع الريادية.	3.25	1.109	65%	متوسطة
.5	تنظم الكلية نشاطات خاصة بتقوية الأفكار الإبداعية الخلاقة	3.21	0.924	64.2%	متوسطة
.6	تنمي الكلية الثقافة القانونية الخاصة بالابتكارات وبراءات الاختراع	3.08	1.027	61.6%	متوسطة
.7	يجري تدريب المدرسين بالكلية على أساليب تدريس الريادية.	2.97	1.005	59.4%	متوسطة
	خلق المعرفة	3.23	0.772	64.6%	متوسطة

يتضح من الجدول (3) أن درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي على بعد خلق المعرفة كان بدرجة تقدير متوسطة، بمتوسط حسابي قدره (3.23)، وبانحراف معياري (0.772)، وبنسبة مئوية (64.6%)، أما على مستوى كل فقرة من فقرات بعد خلق المعرفة، فيتضح من الجدول أن متوسط الفقرات تراوح ما بين (3.43 و2.97)، حيث احتلت الفقرة التي تنص على "تهتم الكلية بتعزيز ثقافة الأعمال الريادية لدى طواقمها وطلبتها" على المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.43)، وبدرجة تقدير كبيرة، أما بالنسبة للفقرة "يجري تدريب المدرسين بالكلية على أساليب تدريس الريادية" فقد حصلت على المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي قدره (2.97)، وبدرجة تقدير متوسطة، ويعزو الباحثان هذه النتيجة إلى أنه، وعلى الرغم من توافر النية لدى الكليات لتعزيز ثقافة الريادة لكنها لم تصل إلى مرحلة التطبيق الجدية لذلك، ودليل ذلك عدم قيام الكليات بتدريب مدرسيها على أساليب تدريس الريادية، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (أبو مدللة، 2012) وكذلك مع دراسة (صالح، 2014).

ب. بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها:

الجدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية ودرجات التقدير لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي نحو بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها مرتبة ترتيباً تنازلياً

الرقم	بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة التقدير
.1	تدرب الكلية طلبتها على مهارات العلاقات العامة	3.35	0.842	67%	متوسطة
.2	تقيم الكلية دورات تدريبية لمهارات استخدام التكنولوجيا بكفاءة	3.31	0.917	66.2%	متوسطة
.3	تدرب الكلية طلبتها على كيفية توليد الأفكار واقتناص الفرص	3.25	0.842	65%	متوسطة
.4	تسهل الكلية على الطلبة عمليات الاتصال مع أصحاب المشاريع	3.25	1.118	65%	متوسطة

الرقم	بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة التقدير
.5	تقيم الكلية ورش عمل خاصة للطلبة لبناء المهارات الإدارية والسلوكية تمكنهم من إدارة مشاريعهم.	3.19	1.054	63.8%	متوسطة
.6	تستقدم الكلية رواد أعمال في محاضرات خاصة بالريادية.	3.12	0.971	62.4%	متوسطة
.7	تدرب الكلية طلبتها على بناء مهاراتهم التسويقية لأنفسهم ومشاريعهم	3.12	0.893	62.4%	متوسطة
.8	تقيم الكلية دورات تدريبية للطلبة، خاصة ببناء مهاراتهم حول إدارة الأزمات وحالات الطوارئ	2.98	0.890	59.6%	متوسطة
	توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها	3.20	0.687	64%	متوسطة

يتضح من الجدول (4) أن درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي على بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها كان بدرجة تقدير متوسطة، بمتوسط حسابي قدره (3.20)، وبانحراف معياري (0.687)، وبنسبة مئوية (64%)، أما على مستوى كل فقرة من فقرات بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، فيتضح من الجدول أن متوسط الفقرات تراوح ما بين (3.35 و 2.98)، حيث احتلت الفقرة التي تنص على "تدرب الكلية طلبتها على مهارات العلاقات العامة" على المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.35)، وبدرجة تقدير متوسطة، أما بالنسبة للفقرة "تقيم الكلية دورات تدريبية للطلبة خاصة ببناء مهاراتهم حول إدارة الأزمات وحالات الطوارئ" فقد حصلت على المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي قدره (2.98)، وبدرجة تقدير متوسطة.ويعزو الباحثان هذه النتيجة إلى عدم أخذ الكليات بالحسبان المهارات الريادية من خلال مساقاتها وبرامجها ونشاطاتها بشكل ممنهج، وكذلك عدم إدراكها لأهمية تعزيز اتجاهات الطلبة نحو المشاريع الريادية، بما يزيد من الثقة بالنفس، والوعي الذاتي، وامتلاك التفكير الإبداعي والناقد نحو حل المشكلات، فقد ركزت على تدريب الطلبة لاكتساب مهارة العلاقات العامة، وهذه وحدها لا تكفي لتمكين الطلبة على المهارات الريادية، كما أنها لا تنمي لديهم مهارات المخاطرة المحسوبة، ولا تمكنهم من توليد أفكار جديدة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (Dahleez & Migdad, 2013)، ودراسة (الحسيني، 2015).

ت. بعد تعزيز الاتجاهات الإيجابية:

الجدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية ودرجات التقدير لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي نحو بعد تعزيز الاتجاهات الإيجابية مرتبة ترتيباً تنازلياً

الرقم	بعد تعزيز الاتجاهات الإيجابية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة التقدير
.1	تنمي الكلية صفة الاستقلالية والاعتماد على الذات لدى طلبتها	3.58	0.966	71.6%	كبيرة
.2	تشجع الكلية طلبتها لإنشاء مشاريع خاصة بدلا من التوجه للوظائف	3.41	1.048	68.2%	كبيرة
.3	تعزز الكلية ثقافة العمل الحر لدى طلبتها	3.32	0.873	66.4%	متوسطة
.4	تطلب الكلية من طلبتها إجراء أبحاث علمية حول مشاريع ريادية	3.21	0.763	64.2%	متوسطة
.5	تناقش الكلية طلبتها في حالات دراسية متميزة في ريادة الأعمال	3.16	0.976	%63.2	متوسطة
.6	تنظم الكلية لطلبتها زيارات خاصة للمشاريع الريادية	3.15	0.993	63%	متوسطة
.7	تعزز الكلية قدرة الطلبة على الميل للمخاطرة المحسوبة	3.06	0.922	61.2%	متوسطة
.8	تتوافر لدى الخريجين النوايا الأكيدة لإنشاء مشاريعهم الريادية	3.06	0.911	61.2%	متوسطة
	تعزيز الاتجاهات الإيجابية	3.24	0.734	64.8%	متوسطة

يتضح من الجدول (5) أن درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي نحو بعد تعزيز الاتجاهات الإيجابية كان بدرجة تقدير متوسطة، بمتوسط حساب يقدره (3.24)، وبانحراف معياري (0.734)، وبنسبة مئوية (64.8%)، أما على مستوى كل فقرة من فقرات بعد تعزيز الاتجاهات الإيجابية، فيتضح من الجدول أن متوسط الفقرات تراوح ما بين (3.58 و 3.06)، حيث احتلت الفقرة التي تنص على "تنمي الكلية صفة الاستقلالية والاعتماد على الذات لدى طلبتها" على المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.58)، وبدرجة تقدير كبيرة، أما بالنسبة للفقرة "تتوافر لدى الخريجين النوايا الأكيدة لإنشاء مشاريعهم الريادية" فقد حصلت على المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي قدره (3.06)، وبدرجة تقدير متوسطة. ويعزو الباحثان ذلك إلى عدم تركيز الكليات على الخصائص الريادية بشكل تكاملي، فهي مجتمعة تخلق لدى الطالب ميلاً قوياً للبدء في مشروع ريادي، إذ أن تشجيع الطلبة للشروع في إنشاء مشاريعهم المستقبلية والاعتماد على الذات لا تكفي وحدها لتعزيز اتجاهات الطلبة نحو المشاريع الريادية، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (النشمي، 2017)

ث. التمكين الجامعي بشكل عام (الأداة الكلية):

الجدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، والنسبة المئوية ودرجات التقدير لكل بعد من أبعاد التمكين الجامعي على حدة، ومتوسط الأبعاد مجتمعة (التمكين الجامعي بشكل عام)

الرقم	البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة التقدير
.1	خلق المعرفة	3.23	0.772	64.6%	متوسطة
.2	توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها	3.20	0.687	64%	متوسطة
.3	تعزيز الاتجاهات الإيجابية	3.24	0.734	64.8%	متوسطة
	التمكين الجامعي بشكل عام	3.22	0.672	64.4%	متوسطة

يتضح من الجدول (6) أنّ بُعد تعزيز الاتجاهات الإيجابية، قد حصل على أعلى المتوسطات الحسابية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، حيث حصل على متوسط حسابي قدره (3.24)، تلاه – في ذلك – بعد خلق المعرفة، بمتوسط حسابي بلغ (3.23)، وأخيراً بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، بمتوسط حسابي قدره (3.20)، وبدرجة تقدير متوسطة لجميع الأبعاد، وكان المتوسط العام لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في التمكين الجامعي هو (3.22)، وبانحراف معياري (0.672)، وبنسبة مئوية (64.4%)، أي بدرجة تقدير متوسطة.ويعزو الباحثان ذلك إلى عدم وجود استراتيجيات واضحة ومحددة تؤكد على موضوع الريادية ضمن استراتيجيات هذه الكليات، فالنوايا وحدها لا تحقق التطلعات طالما لم ترق إلى التخطيط الفعلي وفق سياسات وأهداف واضحة تتعلق بالدور الريادي للجامعة ومخرجاتها.

◄ إجابة السؤال الثاني ونصه: «**ما درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية؟** »

الجدول (7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية ودرجات التقدير لدرجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية مرتبة ترتيباً تنازلياً

الرقم	درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة التقدير
.1	يتميز طلبة الكلية بشخصيات مستقلة متفائلة بالعمل الريادي	3.47	0.792	69.4%	كبيرة
.2	أثق بقدرات الطلبة على تحمل المسؤولية بعد تخرجهم.	3.46	0.914	69.2%	كبيرة
.3	أثق بقدرات خريجي الكلية في التخطيط الريادي الجيد	3.44	0.790	68.8%	كبيرة
.4	لدى الخريجين دافعية عالية للإنجاز الجيد في ريادة المشاريع	3.41	0.826	68.2%	كبيرة
.5	الخريجون قادرون على ضبط أنفسهم وحسن التصرف في المواقف الحرجة	3.35	0.722	67%	متوسطة
.6	يبتكر طلبة الكلية أساليب ريادية جديدة بارعة لتحقيق أهدافهم	3.34	0.877	66.8%	متوسطة
.7	الخريجون قادرون على إدارة الأزمات والتعامل مع حالات الفشل.	3.30	0.879	66%	متوسطة
.8	يستطيع الخريجون نسج علاقات واسعة مع الأفراد والمؤسسات وتسويق أنفسهم ومشاريعهم	3.29	0.803	65.8%	متوسطة
.9	يثق الخريجون بأنفسهم ولديهم مهارات إدارية وتكنولوجية وسلوكية	3.28	0.909	65.6%	متوسطة
.10	الخريجون قادرون على التعامل بمهارة مع وسائل الإعلام	3.21	0.828	64.2%	متوسطة
.11	يميل الطلبة إلى المغامرة واقتناص الفرص لإنشاء مشاريع ريادية	3.20	0.825	64%	متوسطة
.12	الطلبة الخريجون يتخذون القرارات الريادية بقدرات عالية بلا تردد	3.19	0.768	63.8%	متوسطة
	الريادة والإبداع	3.33	0.631	66.6%	متوسطة

يتضح من الجدول (7) أن درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية كانت بدرجة تقدي متوسطة، بمتوسط حسابي قدره (3.33)، وبانحراف معياري (0.631)، وبنسبة مئوية (66.6%)، أما على مستوى كل فقرة من فقرات الريادة والإبداع، فيتضح من الجدول أن متوسط الفقرات تراوح ما بين (3.47 و 3.19)، حيث احتلت الفقرة التي تنص على "يتميز طلبة الكلية بشخصيات مستقلة متفائلة بالعمل الريادي" على المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.47)، وبدرجة تقدير كبيرة، أما بالنسبة للفقرة: "الطلبة الخريجون يتخذون القرارات الريادية بقدرات عالية بلا تردد" فقد حصلت على المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي قدره (3.19)، وبدرجة تقدير متوسطة.ويعزو الباحثان ذلك إلى عدم قيام الكليات بدورها الكامل في التمكين الجامعي للطلبة الخريجين، فهي وضمن برامجها ومساقاتها الحالية وأساليبها التدريسية قد مكّنت الطلبة في ثلاثة جوانب فقط وهي الاستقلال، وتحمل المسؤولية، والقدرة المتواضعة على التخطيط، والحاجة إلى الإنجاز، بينما لم تؤكد على جوانب تعزيز ثقة الخريج بنفسه، ولا مهارة التحكم الذاتي، وليست لدى الخريج القدرة على عمل دراسات خاصة بالمخاطرة، ما يعني أيضا عدم قدرته على الابتكار وتوليد الأفكار الجديدة، ولذلك يبقى عاجزا عن إنشاء مشروعه الريادي.

◄ إجابة السؤال الثالث ونصه: «**هل هناك أثر لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتنمية الاتجاهات الإيجابية) في درجة الريادة والإبداع لدى الطلبة؟** » للإجابة عن السؤال السابق اتبع الباحثان الخطوات الآتية:

– فحص العلاقة بين جميع المتغيرات المستقلة المتمثلة بأبعاد التمكين الجامعي: (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتنمية الاتجاهات الإيجابية) والمتغير التابع المتمثل بالريادة والإبداع لدى الطلبة، وذلك من خلال اختبار الارتباط بيرسون، حيث صيغت الفرضية الآتية:

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية على مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين التمكين الجامعي بأبعاده الثلاثة (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتنمية الاتجاهات الإيجابية)، وصنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين في الجامعات الفلسطينية.وقد اتضحت الإجابة في الجدول الآتي:

الجدول (8)

نتائج اختبار الارتباط بيرسون التي عُرضت بمصفوفة ماتركس (Correlation) Matrix بين كل بعد من أبعاد التمكين الجامعي والريادة والإبداع

		الريادة والإبداع
خلق المعرفة	معامل الارتباط	0.626**
	مستوى الدلالة	0.000
	العدد	97
توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها	معامل الارتباط	0.693**
	مستوى الدلالة	0.000
	العدد	97
تعزيز الاتجاهات الإيجابية	معامل الارتباط	0.691**
	مستوى الدلالة	0.000
	العدد	97
التمكين الجامعي (الأداة الكلية)	معامل الارتباط	0.728**
	مستوى الدلالة	0.000
	العدد	97

يتضح من الجدول (8) وجود علاقة خطية موجبة بين أبعاد درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي، والريادة والإبداع، وقد بلغت قيمة الدلالة لجميع الأبعاد المذكورة (0.00) وهي أصغر من (0.05)، ويتضح – أيضا – أن هذه العلاقة قوية، لأن قيم معامل الارتباط تراوحت ما بين (0.626 و 0.728)، وهذا يشير إلى إمكانية فحص وجود الأثر بين هذه المتغيرات.

– بهدف التأكد من مدى ملاءمة البيانات لافتراضات الليل الانحدار؛ أجري اختبار معامل تضخم التباين (Variance In-flation Factor «VIF»)، واختبار التباين (Tolerance)، للتأكد من عدم وجود ارتباط عالٍ بين المتغيرات المستقلة (Multicollinearity).

جدول (9)

العلاقة الخطية بين المتغيرات المستقلة

المتغيرات	Collinearity Statistics العلاقة الخطية بين المتغيرات	
	Tolerance – الاحتمال	VIF
خلق المعرفة	0.273	3.661
توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها	0.295	3.393
تعزيز الاتجاهات الإيجابية	0.377	2.652

يتضح من الجدول (9) أن جميع قيم اختبار معامل التضخم (VIF) للمتغيرات المستقلة، تقلّ عن (10)، وأن قيم اختبار التباين المسموح به (Tolerance) أعلى من (0.05)، ويدلّ ذلك على عدم وجود ارتباط عالٍ بين المتغيرات المستقلة (Multicollinearity).

وبناء على نتائج الإجراءات السابقة التي بينت ملاءمة البيانات لافتراضات تحليل الانحدار، يمكن إجراء فحص أثر المتغيرات المستقلة في التابعة.

– تم فحص أثر المتغيرات المستقلة المتمثلة بأبعاد التمكين الجامعي: (خلق المعرفة وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتنمية الاتجاهات الايجابية) في المتغير التابع المتمثل بالريادة والإبداع، وذلك من خلال اختبار تحليل الانحدار المتعدد (Multiple Regression Analysis)، حيث صيغت الفرضية الآتية:

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية على مستوى ($\alpha \leq 0.05$) لأبعاد التمكين الجامعي الثلاثة: (خلق المعرفة، وتوفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتنمية الاتجاهات الإيجابية) في صنع الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين في الجامعات الفلسطينية.ولفحص الفرضية فقد جاءت النتائج في الجدول الآتي:

الجدول (10)

نتائج تحليل الانحدار المتعدد (Multiple Regression Analysis) بين أبعاد التمكين الجامعي والريادة والإبداع

المتغيرات	β Coefficients		قيمة T المحسوبة	مستوى دلالة T
	Unstandardized المعاملات غير النمطية (B)	Standardized المعاملات النمطية (Beta)		
(Constant)	1.054	- ----	4.827	0.000
خلق المعرفة	- 0.011	- 0.013	- 0.099	0.921
توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها	0.376	0.409	3.193	0.002
تعزيز الاتجاهات الإيجابية	0.342	0.397	3.507	0.001
قيمة R	0.741			
قيمة R - square	0.550			
Adjusted R - square	0.535			
قيمة F المحسوبة	37.858			
مستوى دلالة اختبار F	0.000			

يتضح من الجدول (10) وجود أثر ذي دلالة إحصائية لنموذج أبعاد درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي في درجة الريادة والإبداع لدى الطلبة، إذ بلغت قيمة (ف) المحسوبة للاختيار ككل (37.858)، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.000)، وبلغ معامل التحديد (0.550)، ما يشير إلى أن أبعاد التمكين الجامعي تفسّر ما قيمته (55.0%) من الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية من وجهة نظر أعضاء هيئة تدريس تلك الكليات، ويبين الجدول وجود أثر دال إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لبعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها،

وتعزيز الاتجاهات الإيجابية، من أبعاد التمكين الجامعي في الريادة والإبداع، إذ كانت قيمة (ت) لهما على التوالي (3.193، 3.507)، بمستوى دلالة قدره على التوالي (0.002، 0.001)، وهاتان القيمتان أصغر من (0.05)، ما يشير إلى وجود أثر لهذين البعدين في درجة الريادة والإبداع لدى الطلبة، وبالنظر إلى قيمة (Beta) لبعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها التي بلغت (0.409) يتضح بأن درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي في بعد توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها يفسر ما قيمته (40.9%) من الريادة والإبداع لدى الطلبة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في كليات العلوم الإدارية والاقتصادية، في حين يفسر بعد تعزيز الاتجاهات الإيجابية ما قيمته (39.7%) من الريادة والإبداع لدى الطلبة؛ بمعنى أن بعدي توفير أدوات بناء المهارات الريادية وتعزيزها، وتعزيز الاتجاهات الإيجابية من أبعاد التمكين الجامعي هما البعدان الوحيدان اللذان يتنبآن بالريادة والإبداع.

في حين تبين وجود أثر (ضعيف) دال إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لبعد خلق المعرفة، في الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية من وجهة نظر أعضاء هيئة تدريس تلك الكليات، ويتضح من الجدول السابق بأن درجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي في بعد خلق المعرفة يفسر ما قيمته (29.9%) فقط من الريادة والإبداع لدى الطلبة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في هذه الكليات، وهذه هي الحقيقة بعينها وما يجري في الجامعات، بينما لا يخفى عليهم أن العلاقة الارتباطية قوية بين هذين المتغيرين، ويعزو الباحثان ذلك إلى عدم تضمين مواضيع الريادية في المساقات التدريسية، كما أن الجامعات الفلسطينية لم تتحول بعد إلى تطبيق المفهوم الحديث للجامعة، وهو مفهوم الجامعة الريادية، حيث أن خلق المعرفة ذو صلة وثيقة بالكتاب الجامعي، وما يتبع ذلك من تطبيقات عملية سواء كانت ميدانية أم معملية، كما أن خلق المعرفة ليس وليد اللحظة، بل إنه موضوع تراكمي يتكون لدى الطلبة عبر المراحل التعليمية المتتالية وصولا إلى التعليم الجامعي، بينما يتأثر بعدا كل من بناء المهارات الريادية وتعزيز الاتجاهات بالإضافة إلى بعد خلق المعرفة بعوامل أخرى مثل: الدعم الاجتماعي وخاصة العائلة والأصدقاء، والبيئة القانونية، والاقتصادية اللتين توفران للخريج الدعم المطلوب، والحماية القانونية لبراءات الاختراع، وتوفير التمويل والقروض اللازمة، وتقديم برامج التدريب العملية التي تساعد الخريج على توليد الأفكار، ومن ثم الإبداع في تنفيذها عبر دراسة واعية للمخاطر المتوقعة.

◄ إجابة السؤال الرابع ونصه: «**هل هناك فروق في درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغيرات الجامعة والمؤهل العلمي ونوع الوظيفة وتخصص عضو هيئة التدريس**؟ للإجابة عن هذا السؤال فقد صيغت مجموعة من الفرضيات خاصة بكل متغير:

- إجراء اختبار تحليل التباين الأحادي لفحص مستوى دلالة الفروق في الريادة والإبداع بحسب متغير الجامعة، حيث صيغت الفرضية الآتية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين إجابات أفراد العينة فيما يتعلق بدرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين تعزى لمتغير الجامعة.وكانت النتائج التي تم الحصول عليها كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجدول (11)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي، لاختبار مستوى دلالة الفروق بحسب متغير الجامعة

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة «ف»	مستوى الدلالة
الريادة والإبداع (الأداة الكلية)	بين المجموعات	2.151	2	1.075	2.802	0.066
	داخل المجموعات	36.069	94	0.384		

يتضح من الجدول (11) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين متوسطات درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير الجامعة، وذلك على مستوى الريادة والإبداع (الأداة الكلية)، إذ بلغ مستوى الدلالة له (0.066)، وهذه القيمة أكبر من (0.05)، أي أن درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية لا تختلف لدى أعضاء هيئة التدريس باختلاف جامعاتهم.وهذا ما أشار إليه الباحثان في تفسير متغير الجامعة في التمكين الجامعي أيضا، إذ إن البيئة الجامعية بكل ما تشمله من مساقات وأساليب تدريس ومناخ أكاديمي عام هي ذاتها ولا فرق بينها، ولذلك جاء رأي المدرسين فيها حول الريادة والإبداع للطلبة الخريجين متشابها ولا فروقات بينهم.

- إجراء اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لفحص مستوى دلالة الفروق في الريادة والإبداع بحسب متغير المؤهل العلمي، حيث صيغت الفرضية الآتية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين إجابات أفراد العينة فيما يتعلق بدرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين تعزى لمتغير المؤهل العلمي. وكانت النتائج التي تم الحصول عليها كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجدول (12)

نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين، لاختبار مستوى دلالة الفروق حسب متغير المؤهل العلمي

البعد	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	درجة الحرية	قيمة (ت)	قيمة الدلالة
الريادة والإبداع (الأداة الكلية)	ماجستير	38	3.23	95	- 1.258 -	0.212
	دكتوراه	59	3.39			

يتضح من الجدول (12) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين متوسطات درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير المؤهل العلمي، وذلك على مستوى الريادة والإبداع (الأداة الكلية)، إذ بلغ مستوى الدلالة له (0.212)، وهذه القيمة أكبر من (0.05)، أي أن درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية لا تختلف لدى أعضاء هيئة التدريس باختلاف مؤهلاتهم العلمية. ويفسر الباحثان هذه النتيجة بأن المدرسين سواء من حملة مؤهل الماجستير أم الدكتوراه على تماس مباشر بالطلبة، ويعرفون

تحصيلهم العلمي، وما يتمتعون به من قدرات ومدى إمكاناتهم للشروع في إنشاء مشاريع ريادية، ذلك أن المدخلات واحدة ومتشابهة من وجهة نظرهم وعليه تكون المخرجات أيضا متشابهة.

- إجراء اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لفحص مستوى دلالة الفروق في الريادة والإبداع بحسب متغير نوع الوظيفة، حيث صيغت الفرضية الآتية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين إجابات أفراد العينة فيما يتعلق بدرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين تعزى لمتغير نوع الوظيفة.وجاءت النتائج التي تم الحصول عليها كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجدول (13)

نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين، لاختبار مستوى دلالة الفروق حسب متغير نوع الوظيفة

البعد	نوع الوظيفة	العدد	المتوسط الحسابي	درجة الحرية	قيمة (ت)	قيمة الدلالة
الريادة والإبداع (الأداة الكلية)	أكاديمي مكلف بعمل إداري	18	3.41	95	0.588	0.558
	أكاديمي مدرس	79	3.31			

يتضح من الجدول (13) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين متوسطات درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير نوع الوظيفة، وذلك على مستوى الريادة والإبداع (الأداة الكلية)، إذ بلغ مستوى الدلالة له (0.558)، وهذه القيمة أكبر من (0.05)، أي أن درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية لا تختلف لدى أعضاء هيئة التدريس باختلاف نوع وظيفتهم.ويفسر الباحثان ذلك حسبما ورد أيضا في المتغير ذاته (نوع الوظيفة) بخصوص التمكين الجامعي، إذ لا فرق بين آراء الأكاديميين المكلفين بأعمال إدارية، وآراء زملائهم المدرسين، ذلك أن النوعين على إطلاع بالخطط والبرامج التدريسية، وهم على معرفة بالطلبة الخريجين، حيث إن بعض الأكاديميين الإداريين مطلعون على أوضاع الخريجين من خلال متابعتهم لهم عبر مسؤولياتهم في هذه الكليات والجامعات.

- إجراء اختبار تحليل التباين الأحادي لفحص مستوى دلالة الفروق في الريادة والإبداع بحسب متغير تخصص عضو هيئة التدريس، حيث صيغت الفرضية الآتية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين إجابات أفراد العينة فيما يتعلق بدرجة الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين تعزى لمتغير التخصص.وكانت النتائج التي تم الحصول عليها كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجدول (14)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي، لاختبار مستوى دلالة الفروق بحسب متغير التخصص

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة «ف»	مستوى الدلالة
الريادة والإبداع (الأداة الكلية)	بين المجموعات	14.700	5	2.940	11.375	0.000
	داخل المجموعات	23.519	91	0.258		

يتضح من الجدول (14) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين متوسطات درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير تخصص عضو هيئة التدريس، وذلك على مستوى الريادة والإبداع (الأداة الكلية)، إذ بلغ مستوى الدلالة له (0.000)، وهذه القيمة أصغر من (0.05)، أي أن درجة توافر الريادة والإبداع لدى طلبة كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية تختلف لدى أعضاء هيئة التدريس باختلاف تخصصاتهم.

وللتعرف إلى مواطن الفروق في الريادة والإبداع (الأداة الكلية) بين مستويات متغير تخصص عضو هيئة التدريس، وتحديد وجهتها، فقد أُجري اختبار أقل فرق دال إحصائيا (LSD) للمقارنات البعدية، حيث كانت النتائج كما هو موضح في الجدول الآتي:

الجدول (15)

اختبار أقل فرق دال إحصائيا (LSD) للمقارنات البعدية للريادة والإبداع تعزى لمتغير تخصص عضو هيئة التدريس

تخصص عضو هيئة التدريس	إدارة أعمال المتوسط (3.25)	اقتصاد المتوسط (2.82)	إدارة موارد بشرية المتوسط (2.53)	إدارة مالية المتوسط (4.00)	محاسبة المتوسط (3.53)	تسويق المتوسط (3.17)
إدارة أعمال المتوسط (3.25)	----------	×0.42947	×0.72577	× – 0.74645 –	– 0.27423 –	0.08688
إقتصاد المتوسط (2.82)		-------	0.29630	* - 1.17593 -	* - 0.70370 -	- 0.34259 -
إدارة موارد بشرية المتوسط (2.53)			-------	* - 1.47222 -	* - 1.00000 -	* - 0.63889 -
إدارة مالية المتوسط (4.00)				-------	*0.47222	*0.83333
محاسبة المتوسط (3.53)					-------	0.36111
تسويق المتوسط (3.17)						-------

يشير الجدول (15) إلى أن الفروق بين إجابات أفراد العينة فيما يتعلق بالريادة والإبداع، حسب متغير تخصص عضو هيئة التدريس، كانت بين تخصص الإدارة المالية من جهة، وتخصص إدارة الأعمال والاقتصاد وإدارة الموارد البشرية والمحاسبة والتسويق من جهة أخرى، وذلك لصالح تخصص الإدارة المالية، بمتوسط حسابي (4.00)، مقابل متوسط إجابات تخصص إدارة الأعمال والاقتصاد وإدارة الموارد البشرية والمحاسبة والتسويق البالغ على التوالي (3.25، 2.82، 2.53، 3.53، 3.17)، وكانت الفروق أيضاً بين تخصص إدارة الأعمال من جهة، وتخصصي الاقتصاد وإدارة الموارد البشرية من جهة أخرى، وذلك لصالح تخصص إدارة الأعمال، بمتوسط حسابي قدره (3.25)، مقابل متوسط تخصصي الاقتصاد وإدارة الموارد البشرية البالغ على التوالي (2.82، 2.53)، كما كانت الفروق بين تخصص الاقتصاد وبين تخصص المحاسبة، وذلك لصالح تخصص المحاسبة، حيث بلغ متوسط إجاباتهم (3.53)، مقابل متوسط إجابات تخصص الاقتصاد البالغ (2.82)، كما كانت الفروق أيضا بين تخصص إدارة الموارد البشرية من جهة وتخصصي المحاسبة والتسويق من جهة أخرى وذلك لصالح المحاسبة والتسويق، حيث إدارة الموارد البشرية بمتوسط حسابي قدره (2.53) مقابل متوسط تخصصي المحاسبة والتسويق البالغ على التوالي (3.53، 3.17). ويفسر الباحثان هذه النتائج بأن التخصصات التي لصالحها وفي مقدمتها الإدارة المالية ويتبعها على الترتيب حسب متوسطاتها الحسابية هي كل من: المحاسبة وإدارة الأعمال والتسويق، بأنها الأكثر فرصا وظيفية لدى القطاع الخاص في السوق الفلسطينية عن غيرها من التخصصات الأخرى، ومن الواضح أن آراء المدرسين حيال هذه التخصصات جاءت بناء على معرفتهم بالسوق، وكذلك معرفتهم بطلبتهم من الخريجين وما يتمتعون به من قدرات للشروع بمشاريع ريادية.

نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. محدودية دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية وتواضعه في التمكين الجامعي بأبعاده الثلاثة: (خلق المعرفة، وبناء المهارات الريادية، تعزيز الاتجاهات الإيجابية)، والتي جاءت بدرجة متوسطة، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة كل من (العابدين، 2016) و (Said etal, 2015) و (Zhou & Xu, 2012).

2. وجود نقص في خصائص الريادة والإبداع لدى خريجي كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية، حيث جاءت النتيجة بدرجة متوسطة، إذ ينقص الخريجين مهارات التحكم الذاتي والثقة بالنفس، ومهارات توليد الأفكار الجديدة، والقدرة على دراسة المخاطر، وكذلك مهارات العلاقات العامة، واتفقت هذه النتيجة مع دراسات كل من (الحمالي والعربي، 2016) و (ماس، 2007).

3. وجود أثر ذي دلالة إحصائية لدرجة إسهام كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية بالتمكين الجامعي: (خلق المعرفة، وبناء المهارات الريادية، وتعزيز الاتجاهات الإيجابية) في درجة الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة (سلطان، 2016).

4. وجود أثر ذي دلالة إحصائية لبعدي بناء المهارات الريادية وتعزيز الاتجاهات الإيجابية على الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين من كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية، بينما يبقى أثر بعد خلق المعرفة الأضعف على الريادة والإبداع لديهم، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة (Izodonmi & Okafor, 2010).

5. عدم وجود فروق ذات مغزى بين آراء أعضاء هيئات التدريس في كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية حول درجة الريادة والإبداع تُعزى إلى متغيرات الجامعة، والمؤهل العلمي، ونوع الوظيفة.

6. وجود فروقات ذات مغزى بين آراء أعضاء هيئات التدريس في كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في الجامعات الفلسطينية حول دور هذه الكليات بالتمكين الجامعي، وإسهامها في درجة الريادة والإبداع لدى الطلبة الخريجين تُعزى إلى متغير تخصص المدرس، وكانت لصالح أعضاء هيئات التدريس من تخصص الإدارة المالية مقابل التخصصات الأخرى.

توصيات الدراسة

توصي الدراسة بما يأتي:

1. إعادة النظر في الخطط الإستراتيجية للجامعات، وخاصة الخطط الدراسية لكليات العلوم الإدارية والاقتصادية، آخذة بالحسبان تعزيز الاتجاهات الإيجابية الريادية لدى الطلبة، وتزويدهم بالمعارف والمهارات الريادية، وتشجيع الميل إلى المخاطرة المحسوبة، وتنمية صفة الاستقلالية، والاعتماد على الذات، وثقافة العمل الحر، والثقة بالنفس، وتحمل المخاطرة، وصولا إلى الأسباب الحقيقية لتحقيق النجاح المطلوب.

2. العمل على تطوير المساقات التعليمية وتضمينها فصولاً خاصة بالريادة والإبداع باستخدام أدوات التمكين الجامعي، وبخاصة خلق المعرفة الريادية، وبناء المهارات الريادية، وتعزيز الاتجاهات الريادية لدى الطلبة الخريجين.

3. الاهتمام أكثر بأساليب تدريس الريادة والإبداع لدى المدرسين، وإشراكهم في دورات تدريبية متخصصة، وتنظيم ورش عمل ودورات تدريبية خاصة، لتعزيز قدراتهم على كيفية تمكين الطلبة بمهارات توليد الأفكار واقتناص الفرص، وكذلك بناء المهارات الإدارية والتسويقية والسلوكية نحو إدارة مشاريعهم المستقبلية.

4. بناء علاقة من الشراكة بين الجامعات والقطاع الخاص، آخذين في الحسبان طبيعة عمل القطاع والكلية المعنية صاحبة الاختصاص في الجامعة، وتعزيز دور الجامعة الاستشاري لهذا القطاع بالتركيز على البحث العلمي، ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

المصادر المراجع العربية:

1. أبو طيبة، فيصل (2009). تحديات إصلاح التعليم العربي (دروس مستفادة من تجربة كوريا الجنوبية)، مجلة مستقبل التربية، مج. 16، ع. 60، الجزائر. ص: 154 – 176.
2. إدريس، جعفر وأحمد، أحمد. (2016). دور ريادة الأعمال في الحد من مشكلة البطالة بمنطقة الطائف: دراسة استطلاعية، مجلة أماراباك، الأكاديمية العربية الأمريكية للعلوم والتكنولوجيا، مصر، مجلد7، ع. 21، ص: 125 – 142.
3. باسردة، توفيق، (2009). العلاقة بين الإبداع والريادة في منظمات الأعمال: دراسة ميدانية في عدد من شركات الصناعات الغذائية اليمنية، مجلة العلوم الإدارية والاقتصادية، اليمن، مجلد ص: 62 – 96.
4. حامد وارشيد. (2007). نحو سياسات لتعزيز الريادة بين الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، رام الله، فلسطين.
5. الحسيني، عزة أحمد محمد (2015). تعليم ريادة الأعمال بالمدرسة الثانوية في كل من فنلندا والنرويج وإمكانية الإفادة منها في مصر، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، مج. 21، ع. 3. مصر، ص: 1253 – 1301.
6. الحمالي، رائد بن محمد. والعربي، يوسف علي (2016). واقع ثقافة ريادة الأعمال بجامعة حائل وآليات تفعيلها من وجهة نظر أعضاء الهيئات التدريسية، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، عدد. 76، السعودية. ص: 387 – 442.
7. سلطان، سعدية محمد شاهر (2016). مستوى توفر الخصائص الريادية وعلاقته ببعض المتغيرات الشخصية: دراسة تطبيقية على طلبة البكالوريوس تخصص إدارة الأعمال في جامعات جنوب الضفة الغربية. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، غزة، فلسطين، مج. 24، ع. 2، ص: 102 – 123.
8. السيد، لمياء، وإبراهيم، محمد. (2014). سياسات وبرامج التعليم الريادي وريادة الأعمال في ضوء خبرة كل من سنغافورة والصين وإمكانية الإفادة منها في مصر، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، السعودية، مجلد ع. 53، ص: 275 – 349.
9. العابدين، عبدالفتاح (2016). الوعي بثقافة ريادة الأعمال لدى طلبة السنة التحضيرية في جامعة الملك سعود واتجاهاتهم نحوها: دراسة ميدانية، مجلة البحث العلمي في التنمية، مجلد 17، ج. 3، مصر، ص: 623 – 654.
10. عيد، أيمن عادل. (2015)، اتجاهات الطلاب والعوامل المؤثرة عليها نحو ريادة الأعمال: دراسة تطبيقية على بعض الجامعات العربية، المجلة العلمية للبحوث التجارية، كلية التجارة، مجلد ع. 2، جامعة المنوفية، مصر، 187 – 241.
11. غانم، فتح الله (2014). دور كليات العلوم الإدارية والاقتصادية في مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني في الحد من مشكلة البطالة للخريجين، تصور مقترح: نموذج مشروع التخرج البديل، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، عدد 33 (1)، فلسطين، ص: 355 – 388.
12. محمد، عوض الله، ومحمود، أشرف. (2014) قياس مستوى ريادة الأعمال لدى طلاب جامعة الطائف ودور الجامعة في تنميتها، مجلة البحث العلمي في التربية، مصر، ع. 15، ج. 1، 549 – 599.
13. مطاوع، ضياء الدين، وأبو الخيل، آمنة. وإبراهيم، منى (2017) تصور مقترح لتفعيل الابتكار والإبداع وريادة الأعمال في برامج التجربة التكاملية للجامعات الخليجية، دراسة مقدمة إلى مؤتمر الجامعات ورؤية المستقبل، جامعة المجمعة، 18 – 20/ 12/ 2017، السعودية.
14. معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، (2007). نحو سياسات لتعزيز الريادة بين الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة، فلسطين.
15. النشمي، مراد محمد (2017). أثر الخصائص الريادية في النية لإنشاء المشروعات الريادية لدى طلبة تخصصات العلوم الإدارية بجامعة العلوم والتكنولوجيا اليمنية. المجلة العربية لضمان الجودة في التعليم الجامعي، اليمن، مج. 10، ع. 31، ص: 103 – 119.

المصادر المراجع الأجنبية

1. *Boumedien, Youcef. & Bouhededjeur, Rachid (2017). Entrepreneurial Intention Determinants of University Students, Faculty of Economic Commerce & Management Sciences Students Chlef University, Economics Magazine of North Africa, Algere, VOL 02 - No. 17. p: 27 - 42.*
2. *Dahleez, Khalid, &Migdad, Mohammed, (2013). Entrepreneurial Characteristics of Undergraduate Students in Deteriorated Economies, the case of Gaza Strip, Dirasat, Administrative Sciences, Jordan, Volume 40, No. 2, p: 534 - 554.*
3. *Daniels, T. , David. (2012). Entrepreneurial Academies - Myth or Realty? The Perceptions of Senior Academy Leaders, Doctoral Thesis, Bermingham University search Archive.*
4. *European Commission & OECD. , (2014). A Guiding Framework of Entrepreneurial Universities, p: 1 - 53, from: www. oecd. org. seen September 2018.*
5. *Izodonmi, P. , & Okafor, C. , (2010). The effect of entrepreneurship Education on Students Entrepreneurial Intentions. Global Journal of Management and Business Research, 10 (6) , p: 49 - 60.*
6. *Lall, Mahurima. &Sahi, Shikha. (2011). Entrepreneurship. 2ndEition, Excel Books, New Delhi, India.*
7. *Morris, M. H. , Shirokova, G. and Tsukanova, T. (2017) 'Student entrepreneurship and the university ecosystem: a multi - country empirical exploration', European J. International Management, Vol. 11, No. 1, pp. 65–85.*
8. *Purcarea, Irina (2012). Entrepreneurship and higher education. An outlook on some best practices in entrepreneurship education, Romanian Distribution Committee Magazine, 2012, vol. 3, issue 4, 20 - 26.*
9. *Said Et al. (2015). Assessing the role of Higher Education in developing Social Entrepreneurship in Malaysia: A review of Literature, Mediterranean Journal of Social Sciences, Rome - Italy, p: 582 - 587.*
10. *Saleh,. A. Abbas, (2014). The Perception of Lebanese Studnts of choosing their Career in Entrepreneurship, Jordan Journal of Business Adminstration, Vol. 10, No. 2. p: 333 - 364.*
11. *Samuel, Y. , Ernest, K. , & Awuah, J. , (2013). An Assessment of Entrepreneurship Intention among Sunyani Polytechnic Marketing Students. International Review of Management & Marketing , 3 (1) , p: 37 - 49.*
12. *Zain, Z. , Akram, A. , & Ghani, E. , (2010). Entrepreneurship Intention among Malaysian Business Students, Canadian Social Science, 6 (3) , p: 34 - 44.*
13. *Zhou, Manshen, & Xu, Haixia. (2012). A Review of Entrepreneurship Education for college students in China, Administrative Sciences, 2, p: 82 - 98.*

العمل الاجتماعي بوصفه نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع: نموذج مقترح؟

Social Action as a Method of Community Organization: A Proposed Method.

Dr. Mahmoud Mohammad Al -Kafawin
Assistant Professor/ University of Jordan/ Jordan
alkafawin@yahoo. com

د. محمود محمد الكفاوين
أستاذ مساعد/ الجامعه الأردنية/ عمان/ الأردن

Received: 27/ 3/ 2019, **Accepted:** 18/ 6/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547499
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 27/ 3/ 2019م، **تاريخ القبول:** 18/ 6/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

ملخص:

تعد طريقة تنظيم المجتمع من طرق مهنة الخدمة الاجتماعية الرئيسة و تعتمد في تدخلها المهني على عدة نماذج من ضمنها: التخطيط الاجتماعي، التنمية المحلية ، العمل الاجتماعي. وبالرغم من أن نموذج (العمل الاجتماعي: Social Action) يعد نموذجًا من نماذج تنظيم المجتمع لكنه لم يحظ بالاهتمام اللازم في أدبيات الخدمة الاجتماعية في العالم العربي عموما و في الأردن على وجه الخصوص. لذا هدفت هذه الدراسة للتعرف إلى واقع العمل الاجتماعي بوصفه نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع في الأردن على الصعيد الأكاديمي والعملي سعيا للوصول لنموذج مقترح لممارسة العمل الاجتماعي منهجا من مناهج تنظيم المجتمع. ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة فقد استخدم المنهج النوعي وذلك من خلال التعرف إلى آراء مجموعة من الأخصائيين الاجتماعيين حول مفهومهم للعمل الاجتماعي ووجهة نظرهم في استخدامه، حيث أُجريت الدراسة الميدانية على عينة تكونت من (30) من الأخصائيين الاجتماعيين الممارسين في عدد من مجالات الخدمة الاجتماعية، وقد تم جمع البيانات من خلال المقابلة المفتوحة، كما تم تحليل مضمون مساقات ومقررات الخدمة الاجتماعية التي تدرس لطلبة الخدمة الاجتماعية (البكالوريوس والماجستير) في الجامعة الأردنية، بالإضافة لمراجعة الأدبيات ذات الصلة بالموضوع وخبرة الباحث العملية والأكاديمية. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتي كان من أهمها: غياب مفهوم العمل الاجتماعي عن الأخصائيين الاجتماعيين على الصعيد الأكاديمي والممارسة العملية بالرغم من قناعتهم بأهمية وإمكانية استخدامه في الممارسة المهنية. وخلُصت الدراسة لمجموعة من التوصيات كان من أهمها: ضرورة تطوير مناهج الخدمة الاجتماعية لتشتمل على معارف ومهارات وأخلاقيات أكثر عمقا عن العمل الاجتماعي وسبل ممارسته بالإضافة للحاجة لإجراء المزيد من الدراسات المتعمقة حول الموضوع، وقد قدمت الدراسة نموذجا مقترحا لممارسة العمل الاجتماعي كمنهج من مناهج تنظيم المجتمع في الأردن.

الكلمات الدالة: العمل الاجتماعي؛ الخدمة الاجتماعية؛ تنظيم المجتمع؛ نماذج تنظيم المجتمع.

Abstract

Community Organization is one of the main methods of social work professions. It uses several models, including social planning; local development and social action. Although social action as a model of community organization has not received the attention required in the literature of social work in the Arab world in general and in Jordan in particular. This study aimed to identify the reality of social action as a model of community organization in Jordan at the academic and practical levels.

The researcher used a qualitative methodology, data were collected through identifying the views of a group of social workers about their concept of social action and their perspective on its use, The field study was conducted on a sample consisting of 30 social workers, academics and practitioners in a number of areas of social work. Open interview, and the content of courses and social work courses taught to students of social service (bachelor and master) at the University of Jordan was analyzed, as well as the literature review.

The study reached aset of results, the most important of which were: the absence of the concept of social action s academically and practically. Participants expressed their conviction of the importance and feasibility of using the social action method in professional practice. The study concluded with a set of recommendations, the most important of which was the need to develop social work curricula to include deeper knowledge, skills and ethics about social action and methods of practicing it, in addition to the need for more in - depth studies on the subject.

***Keywords**: Social Action; Social Work; Community Organization; Community Organization Models.*

مقدمة:

لقد حظيت مهنة الخدمة الاجتماعية باهتمام واعتراف دولي باعتبارها مهنة إنسانية تُعنى برفاهية الإنسان وتحقيق العدالة الاجتماعية وتستند إلى فلسفة تؤمن بكرامة الإنسان وقيمته وحقه في الحياة الكريمة. وبالرغم من أن بداياتها كانت تركز على الخدمات الفردية إلا أنها أخذت في التطور عبر العقود، حيث ظهرت طريقة خدمة الفرد في البداية وتلتها طريقة العمل مع الجماعات ثم طريقة تنظيم المجتمع (Pathare, 2010; Bosco, 2010) وقد اهتمت طريقة تنظيم المجتمع بإحداث التغيير الاجتماعي في المجتمعات من أجل تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة مع التركيز على حقوق الإنسان وتحقيق العدالة الاجتماعية وقد استخدمت هذه الطريقة عدة مناهج للممارسة، لعل من أشهرها نماذج روثمان في تنظيم المجتمع والتي اشتملت على نماذج: التخطيط الاجتماعي والتنمية المحلية والعمل الاجتماعي (Rothman,1968;Stockdale,1976 ;Bliss, 2015) ومن الملاحظ أن التخطيط الاجتماعي والتنمية المحلية قد تم تناولهما من قبل كثير من المهتمين بشكل أو بآخر في حين أن العمل الاجتماعي (Social Action) كمنهج من مناهج تنظيم المجتمع لم يحظ بنفس القدر من الاهتمام سواء على الصعيد الأكاديمي أو الممارسة (Tan, 2009).

أما الخدمة الاجتماعية في الأردن، فمن الملاحظ بأنه وبالرغم من مرور أكثر من خمسين عاما على نشأتها إلا أنها لا زالت تدرس وتمارس بشكل تقليدي بل ويكاد يطغى على أدبياتها وتدريسها وممارستها مفهوم الرعاية الاجتماعية و الخدمات الفردية كما هو واقعها في معظم الدول العربية، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في واقعها الأكاديمي والعملي لتوضيح هويتها المهنية وبناء وظيفة محددة لها وكذلك تحديد أدوار واضحة للأخصائيين الاجتماعيين

كي تحظى باعتراف رسمي (الكفاوين،2017؛ 2018) ولعل من بين المجالات التي تحتاج للتطوير سواء على صعيد الإعداد الأكاديمي أو الممارسة المهنية (طريقة تنظيم المجتمع بنماذجها المختلفة).

لقد شهد العالم – ولا يزال يشهد – أزمات ومشاكل معقدة ومتداخلة، أدت إلى حدوث تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، ولعل من أبرزها تلك الأحداث والثورات التي بدأت تسود عددا من الدول العربية منذ العام 2011 والتي أطلق عليها (الربيع العربي) حيث حظيت تلك الثورات والاحتجاجات والمطالبات الشعبية باهتمام الخبراء والسياسيين والباحثين؛ لما نجم عنها من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية (ابوصعب،211؛ بدرخان،2013)، كما شهد العالم انتشار ما أطلق عليه "الارهاب" والذي نجمت عنه آثار مدمرة على الصعيد العالمي بشكل عام والشرق الأوسط بشكل خاص بالإضافة إلى مشاكل الفقر والهجرات القسرية وانتشار الجرائم. ولذلك برزت دعوات من سائر المختصين للاهتمام بالقضايا الكبرى كالفقر والبطالة والعدالة الاجتماعية والعناية بالمهشمين وتعزيز دور الشباب وإعادة صياغة للعقد الاجتماعي واستثمار رأس المال الاجتماعي والإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي ومكافحة التطرف والإرهاب. وهو الأمر الذي يتطلب تعبئة واستثمار جميع الطاقات والموارد والإمكانيات المادية والبشرية والتقنية والاجتماعية في المجتمعات وتوجيهها لحل المشكلات وإشباع الاحتياجات، وبالرغم من ذلك كله فانه من الملاحظ غياب المهتمين بالعمل الاجتماعي عن الساحة وضعف دور الخدمة الاجتماعية في التعامل مع تلك القضايا (الكفاوين،2018؛ السروجي ،2012).

لقد بات في حكم اليقين بأنه لم يعد من الممكن قبول بقاء الخدمة الاجتماعية في ثوبها التقليدي، سواء على الصعيد الأكاديمي أو البحثي أو الممارسة المهنية وإنما يجب على القائمين عليها العمل على تطوير قاعدتها المعرفية والمهارية والأخلاقية والاهتمام بالأبحاث العلمية كي تتمكن الخدمة الاجتماعية من التفاعل مع القضايا المجتمعية المستجدة. لذلك فإن هذه الدراسة تنطلق من القناعة بأن الخدمة الاجتماعية بإمكانها ومن خلال (العمل الاجتماعي) كنموذج من نماذج تنظيم المجتمع أن تسهم بفاعلية في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة. ونظرا لعدم وجود دراسات سابقة حول هذا الموضوع في الأردن فإن هذه الدراسة هدفت للتعرف على واقع (منهج العمل الاجتماعي) و الحيز الذي يحتله في أدبيات وتدريس وممارسة الخدمة الاجتماعية في الأردن وصولا لنموذج مقترح للممارسة المهنية من قبل الاخصائيين الاجتماعيين.

إشكالية الدراسة ومبرراتها:

تنطلق هذه الدراسة من القناعة بأن التغيرات المتسارعة والأحداث الجارية والمشكلات الاقتصادية وآثار الربيع العربي والظواهر الاجتماعية المتفاقمة لا بد أن تحظى باهتمام كاف من قبل العلوم والمهن الانسانية وتحديدا الخدمة الاجتماعية، من خلال دراستها وفهمها والتعامل معها واستشراف المستقبل ، الأمر الذي يستوجب إحداث نقلة نوعية في أدبيات وممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية مع ضرورة التركيز على إعداد الموارد البشرية الكفؤة والقادرة على ابتداع أفكار وآليات جديدة للتعامل مع المستجدات العالمية والإقليمية والمحلية (Jones & Truell, 2012). وحيث إن العمل الجمعي والمشاركة الشعبية الجادة والاهتمام بالشباب والمرأة ورفع الظلم وتحقيق العدالة الاجتماعية من أهم مطالب التحول في المجتمعات العربية، لذلك لا بد أن تكون هذه القضايا من أولويات الأخصائيين الاجتماعيين من خلال تحريك المجتمعات المحلية و نشر العدالة الاجتماعية و تفعيل رأس المال الاجتماعي وتعزيز دور المجتمع المدني لمواجهة الاحتياجات المستجدة للمجتمعات العربية عموما و للمجتمع الأردني على وجه الخصوص (الكفاوين، 2018). لذا فإن الدراسة انطلقت من الإيمان بأهمية استخدام نموذج العمل الاجتماعي من أجل تمكين أفراد المجتمع واستخدام قوتهم الجمعية لنشر الوعي والاهتمام بالقضايا المجتمعية وتوحيدهم حول القضايا المشتركة، وبالتالي فإن مشكلة الدراسة تتمثل في التعرف على واقع العمل الاجتماعي (Social Action) كنموذج من نماذج تنظيم المجتمع في الأردن وصولا لنموذج مقترح للممارسة المهنية.

تساؤلات الدراسة

من أجل تحقيق أهداف الدراسة فقد سعت إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الاخصائيين الاجتماعيين للعمل الاجتماعي باعتباره نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع من خلال إعدادهم المهني (أكاديميا وممارسة)؟
- ما موقع نموذج « العمل الاجتماعي" في مهنة الخدمة الاجتماعية في الأردن أكاديميا؟ (من خلال مناهج الخدمة الاجتماعية التي تدرس في الجامعات) وعمليا من خلال الممارسة المهنية من وجهة نظر الاخصائيين الاجتماعيين؟
- ما مدى إيمان وقناعة المشاركين في الدراسة بالدور الذي يمكن أن يؤديه نموذج العمل الاجتماعي في التعامل مع القضايا والمشكلات التي تواجه المجتمع الأردني؟ .
- ما النموذج المقترح لممارسة العمل الاجتماعي في المجتمع الأردني؟

أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية دور الخدمة الاجتماعية كمهنة وخصوصا طريقة تنظيم المجتمع **لذا تكمن أهمية الدراسة نظريا وعمليا فيما يلي:**

- نظراً لنقص الأدبيات والدراسات والأبحاث المتعمقة حول العمل الاجتماعي بوصفه نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع في الأردن فإن الباحث يأمل أن تسهم هذه الدراسة في سد هذه الفجوة.
- الحاجة الماسة للتأصيل لمفهوم العمل الاجتماعي باعتباره نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع بالاستفادة من النظريات والأدبيات والتجارب العالمية ذات الصلة، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمع الأردني وبالتالي الإسهام في تطوير مهنة الخدمة الاجتماعية في الأردن فكرا وممارسة.
- من المأمول أن تسهم نتائج الدراسة في تحسين العملية التعليمية لدارسي الخدمة الاجتماعية وتحديدا طريقة تنظيم المجتمع ونماذجها في التدخل المهني سواء من خلال إثراء الأدبيات

والمناهج الدراسية أو التدريب الميداني.

- تزويد واضعي السياسات والبرامج الاجتماعية بتصور عن دور العمل الاجتماعي في التعامل مع القضايا المجتمعية.
- إتاحة الفرصة للباحثين لإجراء مزيد من الدراسات المتعمقة حول دور العمل الاجتماعي في تنمية المجتمعات وتنظيمها.

أهداف الدراسة

هدفت هذه الدراسة للتعرف على الحيز الذي يشغله «منهج العمل الاجتماعي» في تعليم وممارسة الخدمة الاجتماعية في الأردن **ومن المأمول أن يتم ذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:**

- التعرف إلى مفهوم الأخصائيين الاجتماعيين للعمل الاجتماعي باعتباره نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع من خلال إعدادهم المهني.
- معرفة موقع نموذج « العمل الاجتماعي" في مهنة الخدمة الاجتماعية في الأردن أكاديميا (من خلال مناهج الخدمة الاجتماعية التي تدرس في الجامعات)؛ وعمليا من خلال ممارسة المهنة من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين.
- التعرف إلى مدى إيمان المشاركين في الدراسة وقناعتهم بالدور الذي يمكن أن يؤديه نموذج العمل الاجتماعي في التعامل مع القضايا والمشكلات التي تواجه المجتمع الأردني.
- التوصل لنموذج مقترح للعمل الاجتماعي في المجتمع الأردني.

الإطار النظري

الخدمة الاجتماعية: Social Work

لقد نشأت مهنة الخدمة الاجتماعية كاستجابة للحاجة إلى نوع من التغيير الاجتماعي (Ross, 2011) ورغم الاختلاف على بدايات الخدمة الاجتماعية إلا أن هناك اتفاقًا على أن الأفراد والمجتمعات بحاجة وباستمرار لمساعدة الآخرين وأن الحاجة لإقامة مجتمع أكثر عدلا وأمنا ما زالت قائمة مثلما كانت الحاجة عند بدايات الخدمة الاجتماعية (Barsky, 2010). وبالتالي فإن الخدمة الاجتماعية في المحصلة، مهنة مبنية على الممارسة وتستند إلى قاعدة معرفيه وتسعى لإحداث التغيير الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي، وتمكين وتحرير الأشخاص واحترام حقوق الإنسان وكذلك احترام الفروق بين الأشخاص (IFSW, 2014). وبالرغم من الاختلاف على التعريف إلا أن هناك خصائص عامة للخدمة الاجتماعية كمهنة ولعل من بينها (الكفاوين، 2017)

1. أنها مهنة إنسانيه من حيث الهدف ووحدة العمل وتعتمد في أدبياتها على قاعدة من العلوم والمعارف الإنسانية والمهارات الفنية والقواعد الأخلاقية وتؤمن باحترام الإنسان والحفاظ على كرامته، والعمل على تخفيف الأعباء التي يواجهها نتيجة الفقر والاضطهاد والتهميش وتعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية.

2. أنها مهنة مؤسسية أي تُمارَس من خلال مؤسسات اجتماعية شرعية تحظى بالاعتراف المجتمعي و تُمارَس من خلال أخصائيين اجتماعيين مُؤهلين ومُدربين علميا وعمليا وتتوافر فيهم صفات وخصائص ومهارات تمكنهم من ممارسة عملهم الإنساني بكفاءة وفعالية كما تملي عليهم المهنةُ ضرورةَ الالتزام بالميثاق الأخلاقي في كل مراحل العمل.

3. تعمل مع الأفراد والأُسر والمنظمات والجماعات والمجتمعات، ومن خلال برامج إنشائية ووقائية وعلاجية. وتعمل في مجالات متعددة و تعنى بتنمية وتنظيم المجتمع والإسهام في رسم السياسات والدفاع عن المهمشين وتحقيق العدالة الاجتماعية. وتمارس من خلال عدة طرق (العمل مع الأفراد العمل مع الجماعات، تنظيم المجتمع) وتستخدم اساليب ومناهج من بينها العمل الاجتماعي.

العمل الاجتماعي Social Action

تعتبر طريقة تنظيم المجتمع من طرق الخدمة الاجتماعية الرئيسة وقد تم الاعتراف بها رسميا 1946 وتهدف إلى إحداث التغيير الهادف في المجتمعات، وتهتم بمشاركة وتمكين الأفراد والجماعات والمنظمات والمجتمعات (Bosco, 2010) ويمارسها أخصائيون مؤهلون يستخدمون نظريات واستراتيجيات متعددة (Parmar, 2014) ولعل من بينها ما طرحه روثمان حول نماذج تنظيم المجتمع والتي تتكون من التنمية المحلية والتخطيط الاجتماعي والعمل أو الفعل الاجتماعي (Rothman, 1968)

في ضوء ذلك فإن العمل الاجتماعي (Social Action) يعد منهجا من مناهج تنظيم المجتمع يهدف لإحداث تغيير هادف في المجتمعات ووقايتها من التغيرات السلبية وتمكين المحرومين والمهمشين والفقراء من خلال إحداث تغيير في البناءات والأوضاع الاجتماعية لتحقيق أهداف المجتمع (Harrison, 2014; Parmar, 2014) ويقوم نموذج العمل الاجتماعي على فرض أساسي يتمثل بأن هناك جماعات داخل المجتمع تتعرض لاضطهاد وتهميش نتيجة خلل في البناء الهيكلي للمجتمع وعدم المبالاة وعدم فهم للاحتياجات ولذلك يقوم أخصائي تنظيم المجتمع بمساعدة الناس والجماعات للتعاون من أجل حل هذه المشكلات وإشباع الاحتياجات باستخدام نموذج العمل الاجتماعي باعتباره نشاطا منظما يحظى بشرعية يتضمن تحريك الرأي العام من خلال التشريعات والسياسات والإدارة العامة من أجل إيجاد رأي عام للاتفاق على المشكلات والأهداف المجتمعية المطلوب تحقيقها والعمل على مواجهتها وتوفير الحلول المناسبة لها (Beena and Archana, 2010)

الدراسات السابقة:

لعل من محددات الدراسة عدم التمكن من الوصول إلى دراسات سابقة كافية حول الموضوع ولذلك حاول الباحث الاستفادة من الأدبيات المتاحة حول منهج العمل الاجتماعي وقد تمكن الباحث من الرجوع لبعض هذه الدراسات «

فقد أجرى (**Radian, 2000**) دراسة نوعية للتعرف على واقع منهاج العمل الاجتماعي ومدى الاهتمام الذي حظي به في تدريس الخدمة الاجتماعية في كندا حيث أجريت الدراسة على عينة من خريجي الخدمة الاجتماعية مكونة من (58) طالبا وقد تم

استخدام المقابلة المفتوحة للحصول على البيانات بالإضافة إلى تحليل محتويات المقررات الدراسية للخدمة الاجتماعية التي تدرس لهم، وأشارت النتائج إلى أن الاخصائيين الاجتماعيين المشاركين في الدراسة على علم بنموذج العمل الاجتماعي ولكن مساق العمل الاجتماعي كان هامشيا في مناهج تدريس الخدمة الاجتماعية كما أشارت النتائج انه وبالرغم من أن معظمهم مارس أنشطة ذات علاقة بالعمل الاجتماعي إلا أنها في غالبيتها كانت من خلال العمل مع الأفراد والجماعات الصغيرة وليس على مستوى المجتمع.

وفي دراسة (**Cherian & Thomas, 2018**) والتي استندت إلى أن العمل الاجتماعي كمنهج من مناهج الخدمة الاجتماعية وممارستها يهدف إلى تحريك الناس لإحداث التغيرات الجوهرية بعيدة المدى من خلال الحركات الاجتماعية والإصلاح السياسي والتشريعات والعدالة الاجتماعية. فقد أجريت الدراسة من خلال لقاءات مع نشطاء اجتماعيين في مدينة (Kerala) في الهند وكان السؤال المحوري: لماذا لم يتدخل الأخصايون في الحركات الاجتماعية في المدينة؟ وخلصت الدراسة التي أجريت في ست جامعات تدرس الخدمة الاجتماعية في المدينة إلى أن تدريس الخدمة الاجتماعية في المدينة أولى اهتماما لجميع نماذج الخدمة الاجتماعية باستثناء العمل الاجتماعي، كما تبين من الدراسة أن العمل الاجتماعي كنموذج لحل المشكلات قد أضيف حديثا إلى مقررات تعليم الخدمة الاجتماعية ولكن دون اهتمام به بنفس القدر الذي حظيت به نماذج الخدمة الاجتماعية الأخرى حيث يدرس كأداة من ادوات تنظيم المجتمع وليس كمنهج كما أن تلك النماذج تدرس في كل الفصول ولكن نموذج العمل الاجتماعي ليس كذلك كما تبين بأن المنظمات غير الحكومية في المدينة أتاحت الفرصة للطلبة لتعلم العمل الاجتماعي وممارسته.

الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة فقد استخدم المنهج النوعي على اعتبار أنه المنهج الذي ربما يكون الأنسب لذلك (Creswell, 2007) حيث إن الحصول على البيانات اللازمة حول الموضوع تطلب شرحا مفصلا للأخصائيين الاجتماعيين عن نموذج العمل الاجتماعي وحوارا متعمقا حول موضوع الدراسة.

مجتمع الدراسة وعينتُها

تمثل مجتمع الدراسة في الأخصائيين الاجتماعيين الحاصلين على درجة علمية في الخدمة الاجتماعية (بكالوريوس أو ماجستير) و يعملون في مؤسسات اجتماعية مختلفة. وقد تم اختيار عينة قصديه مكونه من (30) أخصائي اجتماعي (15) من الذكور و (15) من الإناث روعي فيها أن يكون الأخصائي/ الأخصائية، حاصل على مؤهل في الخدمة الاجتماعية وممارس لها، من أجل إثراء الدراسة بمعلومات تعكس خبراتهم وتجاربهم الميدانية المتنوعة بالإضافة إلى رغبتهم بالمشاركة في الدراسة طوعيا (Battaglia, 2008.) وقد تضمنت العينة 24 من حملة البكالوريوس وستة من حملة الماجستير والذين يعملون في مؤسسات اجتماعية مختلفة بخبرات تراوحت بين أربع وثمان سنوات.

أدوات الدراسة

نظرا لأن الدراسة استخدمت المنهج النوعي لذلك فقد تم جمع بيانات الدراسة من خلال المقابلات المتعمقة مع الأخصائيين الاجتماعيين والخبراء باعتبارها الأداة التي تتيح المجال للنقاش المفتوح وتبادل الآراء والخبرات بين المشاركين (Flick, 2009) كما تم تحليل مضمون مساقات الخدمة الاجتماعية التي تدرس في كليات الخدمة الاجتماعية في الأردن وقد استغرقت الدراسة الميدانية أربعة أشهر.

نتائج الدراسة

لقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتي تجيب عن أسئلة الدراسة وسيتم عرضها على النحو التالي: مفهوم المشاركين للعمل الاجتماعي وموقع العمل الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية في الأردن من وجهة نظرهم و القناعة لديهم بأهمية دور العمل الاجتماعي في الأردن.

مفهوم العمل الاجتماعي لدى المشاركين في الدراسة:

لقد كانت البداية بسؤال المشاركين عن مفهومهم لمصطلح العمل الاجتماعي، فقد تبين في البداية بأن لدى بعض المشاركين عدم وضوح في فهم المصطلح حيث اعتبروا مصطلح العمل الاجتماعي مرادفا للخدمة الاجتماعية (Social Work) على اعتبار ن تخصص الخدمة الاجتماعية يسمى في الجامعة الأردنية بالعمل الاجتماعي، في حين أشار البعض إلى أن العمل الاجتماعي يعني كل مجالات العمل ذات العلاقة بالقضايا الاجتماعية أي حقل العمل (الخدمات الاجتماعية) وقد تبين أن ثلاثة فقط من المشاركين الذين أشاروا إلى العمل الاجتماعي (Social Action) باعتباره نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع دون إعطاء أي تفاصيل حوله. وقد أشار بعض المشاركين إلى أنهم لم يسمعوا من قبل بأن العمل الاجتماعي هو نموذج من نماذج تنظيم المجتمع " لم أسمع بأن العمل الاجتماعي منهجا من مناهج تنظيم المجتمع «. أما بخصوص مشاركتهم في أعمال وأنشطة ذات صلة بالعمل الاجتماعي فقد أشار الأغلبية العظمى منهم إلى أنهم لم يشاركوا إطلاقا بأي نشاط من أنشطة العمل الاجتماعي، في حين أن بعض المشاركين ذكروا بأنهم قاموا ببعض الأعمل والتي يمكن اعتبارها من مكونات العمل الاجتماعي دون علمهم بأنها من مقومات العمل الاجتماعي « لقد شاركت في برامج توعية للمواطنين».

موقع العمل الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية في الأردن من وجهة نظر المشاركين

أما حول موقع العمل الاجتماعي في أدبيات الخدمة الاجنماعية التي تدرس في الجامعات الأردنية فقد تم الاستفسار من المشاركين عن مضمون مساقات الخدمة الاجتماعية التي درسوها وأساليب تدريسها لهم وتدريبهم الميداني أثناء الدراسة وعما إذا كانت قد أسهمت في تكوين مفهوم لديهم حول العمل الاجتماعي. لقد أشاروا جميعا إلى أن المناهج الدراسية تضمنت كما من المعلومات حول عدة مواضيع اقتصادية واجتماعية ومواد تخصص مثل خدمة الفرد والجماعة وتنظيم المجتمع ولكنها معلومات نظرية

فقط « تلقينا كما كبيرا من المعلومات النظرية. . . ولكنها تبقى معلومات نظرية». كما ذكروا بأنهم تخرجوا دون أن تكون لديهم مهارات تطبيقية حيث لم تتكون لديهم معرفة حول كيف يمكن تطبيق ما تعلموه ، كما أشاروا إلى مواجهتهم عمليا لبعض التناقضات بين النظرية والتطبيق» إن ما درسناه يختلف عن الواقع العملي كثيرا». أما بخصوص مواد الخدمة الاجتماعية التخصصية فإنها تشمل مساقات عن خدمة الفرد والجماعة وتنظيم المجتمع إلا أنها درست لهم مثل بقية المواد دون التركيز عليها باعتبارها من أساسيات الخدمة الاجتماعية. وبخصوص أساليب التدريس فقد اتفق المشاركون على أن أساليب التدريس كانت تقليدية حيث يغلب عليها أسلوب التلقين مع بعض الاستثناءات «في الغالب أسلوب التدريس تقليدي. » كما أن التدريب الميداني حسب رأيهم كان في الغالب روتينيا ويتعامل مع القضايا التقليدية و التركيز على العمل مع الأفراد وليس على مستوى السياسات والمجتمعات» التدريب الميداني صوري ولا فائدة منه «.

ولدى الاستفسار منهم عما إذا كانت مساقاتهم قد تضمنت أي دور للخدمة الاجتماعية – وتحديدا من خلال طريقة تنظيم المجتمع في تناول القضايا الاجتماعية الكبرى من مثل العدالة الاجتماعية وعلاقتها بالخدمة الاجتماعية أو قضايا المجتمع المدني أو غير ذلك من القضايا التي أصبحت من أولويات الخدمة الاجتماعية اشار معظمهم إلى « أن ذلك لم يكن من أساسيات ما تلقونه من معلومات إلا كمصطلحات متناثرة من خلال المساقات، وقد أشاروا بأن ليس لديهم معرفة حول دور الخدمة الاجتماعية أو الممارسة المهنية أو كيفية العمل والتعامل مع هذه القضايا وبالتالي فإنهم لم «يتلقوا أية معلومات عن العمل الاجتماعي باعتباره نموذجا من نماذج تنظيم المجتمع». وفيما يتعلق بممارستهم المهنية من خلال الوظائف التي يشغلونها فقد تبين أنهم جميعا يمارسون الخدمة الاجتماعية من منظور الخدمات الفردية وليس على مستوى المجتمع وبالتالي فإنهم لم يمارسوا العمل الاجتماعي.

قناعة المشاركين بأهمية دور العمل الاجتماعي في الأردن:

ولدى استعراض مكونات ودور نموذج العمل الاجتماعي معهم و مناقشتهم حول مدى قناعتهم بالدور الذي يمكن للعمل الاجتماعي أن يؤديه في تحريك الجماهير وتعزيز العدالة الاجتماعية وتفعيل رأس المال الاجتماعي، فقد أشاروا إلى أن الواقع الحالي للمجتمع الأردني يتطلب تفعيل دور العمل الاجتماعي وذلك « لأن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وانتشار الفساد يتطلب العمل الجمعي والدفاع عن الفقراء والمهمشين وتفعيل العمل التطوعي واستثمار رأس المال الاجتماعي»، كما اتفق المشاركون على أن تدريس وممارسة الخدمة الاجتماعية في الأردن لا زال تقليديا وأنهم يرون أنها بهذا الشكل غير مقنعة لأصحاب القرار لذلك فإن المعنيين ينظرون إلى الأخصائي الاجتماعي بصفته مقدم خدمات وليس عامل تغيير أو محرك للجماهير « النظرة الحالية للخدمة الاجتماعية نظرة تقليدية «

إن تحليل مضمون مساقات الخدمة الاجتماعية التي تدرس في الجامعات الأردنية يؤيد هذه النتائج حيث يتبين بوضوح بأنها: تتضمن مواد متعددة مثل مهارات الخدمة الاجتماعية ومدخل ونظريات وسياسة وتخطيط وخدمة فرد وجماعة. كما أن طريقة تنظيم المجتمع تدرس للطلبة ولكن العمل الاجتماعي كمنهج من مناهج تنظيم المجتمع لم يحظ بالاهتمام اللازم ضمن مساقات الخدمة الاجتماعية. وبالتالي فإن المساقات تقتصر على الجوانب النظرية سواء فيما يتعلق بالمواد التخصصية أو المواد العامة ولذلك يكاد يكون هدف المناهج الدراسية مقتصرا على العمل مع الأفراد والأسر فقط من خلال تقديم الخدمات المباشرة وحتى تلك المواد التي تتناول قضايا اجتماعية وكسب التأييد فإن الإشكالية لديهم تمثلت في عدم معرفة كيف يمكن تطبيقها بالإضافة إلى عدم الربط بينها وبين العمل الاجتماعي.

مناقشة النتائج

لقد تبين من نتائج الدراسة بأن مفهوم العمل الاجتماعي كنموذج من نماذج تنظيم المجتمع لدى المشاركين ليس واضحا بالشكل المطلوب بل وفيه التباس، ويمكن أن يعزى ذلك للمساقات التي تدرس لهم فبالرغم من أنها تتضمن (معلومات) عن الخدمة الاجتماعية وطرقها ومجالاتها بالإضافة إلى معارف أخرى متنوعة إلا أنها لا تتناول العمل الاجتماعي باعتباره منهجا من مناهج تنظيم المجتمع بشكل مفصل ومباشر. كما أن مناهج الخدمة الاجتماعية لا تحتوي على مواضيع ذات علاقة بالقضايا العامة كالعدالة الاجتماعية أو رأس المال الاجتماعي أو المجتمع المدني أو تحريك الجماهير أو رفع صوت المهمشين وفي حال وجودها يتم المرور عليها بشكل عابر وهي من مبررات ومقومات العمل الاجتماعي، علما بأن تحليل المقررات التي يدرسونها تؤيد هذه النتيجة وهو الأمر الذي يؤكد بأن الخدمة الاجتماعية في الأردن لا زالت تدرس وتمارس بشكل تقليدي (الكفاوين ، 2018) حيث إن المناهج والمقررات الدراسية تركز على تزويد الدارس بالمعلومات النظرية أكثر من تكوين مهارات الممارسة كما أنها تركز على العمل مع الأفراد والأسر فقط من خلال تقديم الخدمات المباشرة وهو الأمر الذي يتفق ونتائج مشابهه توصلت إليها دراسات أخرى (Weiss, 2006).

وبالتالي يتضح بأن العمل الاجتماعي كنموذج من نماذج تنظيم المجتمع لا يحتل موقعا مهما في إطار تدريس وممارسة الخدمة الاجتماعية ولا يحظى بالاهتمام اللازم، وقد أكد المشاركون ذلك من خلال قناعتهم بغياب أي دور للخدمة الاجتماعية في ضايا العدالة الاجتماعية وتقوية رأس المال الاجتماعي (Muh-kerjee, 2007) وذلك بالرغم من أن أدبيات الخدمة الاجتماعية تهتم بالعلاقة بين الخدمة الاجتماعية والعدالة الاجتماعية كقيمة أخلاقية ووظيفة أساسية للمهنة (Reisch, 2002; 2007) وهو الأمر الذي أشارت إليه دراسات سابقة أجريت في الأردن (الكفاوين، 2018) وهو الوضع السائد للخدمة الاجتماعية في كثير من البلدان العربية، بل إن بعض المهتمين في الدول الأوروبية أشاروا إلى أن الخمة الاجتماعية في أزمة (Asquith et al., 2005).

وفيما يتعلق برؤية المشاركين للدور الذي يمكن أن يقوم به العمل الاجتماعي فقد أكدوا أن واقع المجتمعات العربية واحتياجاتها ومشكلاتها و التغيرات الحاصلة في معظم أقطار الوطن العربي وما نتج عن الربيع العربي وتزايد المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يتطلب من الخدمة الاجتماعية

أن تقوم بدور يتناسب وهذه التغيرات وأن تثبت وجودها (بدرخان 2013؛ السروجي ،2012) الأمر الذي يتطلب أن تعمل على تطوير أدبياتها وسبل الممارسة لتسهم في رسم السياسات المدافعة عن حقوق الفقراء والمهمشين والمحرومين وإصلاح التشريعات، والعمل الاجتماعي يعتبر المنهج المناسب للعمل على مستوى السياسات والمجتمعات و إشراك المواطنين في جميع القرارات التي تخصهم (Jacobson، 2001).

نخلص مما سبق بأن موقع العمل الاجتماعي في مهنة الخدمة الاجتماعية في الأردن تدريسا وممارسة بحاجة إلى إعادة نظر ولعل ذلك يسهم في النقاشات الجارية بين المختصين في الخدمة الاجتماعية حول الدور المنوط بمهنة الخدمة الاجتماعية وأهدافها وفيما يتعلق باهتمامها وهل يجب على الأخصائيين الاجتماعيين التركيز على العميل على (المستوى الأصغر أو ما عرف بخدمة الفرد) أم أن التركيز يجب أن يكون على سبب المشكلات الاجتماعية وبالتالي يكون التدخل المهني على المستوى الأكبر من خلال تنظيم المجتمع (Solas, 2008). وهو الأمر الذي يقود للتساؤل حول استراتيجية عمل مهنة الخدمة الاجتماعية في الأردن: فهل عليها العمل من خلال الإصلاح الاجتماعي الذي يركز على التغيير في الإطار المجتمعي القائم بثقافته وقيمه ومعتقداته أم يجب أن تعمل على إحداث التغيير والتحول الكلي في المجتمعات والذي يهدف لتغيير بناء ومكونات وقيم المجتمع بالكامل. وانطلاقا مما سبق فإن هذه الدراسة سعت للوصول لتصور مقترح (للعمل الاجتماعي) كمنهج من مناهج تنظيم المجتمع على أمل أن يكون البداية لمزيد من الدراسات والتصورات التي يمكن أن تثري مهنة الخدمة الاجتماعية.

التصور المقترح: العمل الاجتماعي كمنهج من مناهج تنظيم المجتمع

تمهيد

لقد بات من الواضح أن المجتمعات العربية تواجه مشكلات متعددة ولعل من بينها: اختلال التوازنات وانعدام العدالة وشيوع الفساد بجميع أشكاله وضعف العمل التطوعي وانكماش رأس المال الاجتماعي وتراجع دور الأسرة وفشل أنماط التنمية الأمر الذي استدعى المطالبة بإعادة النظر في أنماط التنمية وسبل مواجهة الاحتياجات (محمود،2017). كما أن أحداث وثورات الربيع العربي والتي شكلت مفاجأة للكثير من السياسين والمثقفين في داخل الدول العربية وخارجها أدت إلى بروز طروحات جديدة حول عدد من المفاهيم و القضايا المجتمعية ومن بينها: العلاقة بين الدولة ومواطنيها أو ما أطلق علية العقد الاجتماعي، ودور المجتمع المدني ورأس المال الاجتماعي ومفهوم المواطنة ودور المواطن وتحديدا مشاركة المواطنين في القرارات التي تخص حياتهم (شانتيا ومتقي ،2015). وبالرغم من كل الأحداث فقد لوحظ غياب الخدمة الاجتماعية عن الأحداث الكبرى التي شهدها العالم العربي وفقدان بوصلتها في الأردن (السروجي 2012؛ الكفاوين،2017) لذلك فإن على المهتمين بالخدمة الاجتماعية مواجهة تحد يتمثل في كيفية إثبات وجودهم من خلال توفير أطر مناسبة لممارسة المهنة بما يتناسب واحتياجات المجتمعات العربية مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات العالمية والإقليمية والمحلية (Harrison، 2014). لذلك فإن التصور المقترح ليس اختراعا للعجلة من جديد وإنما محاولة تستدعيها الضرورة وتقوم على الاستفادة من الأدبيات ذات الصلة وخبرات الممارسة ومراعاة ثقافة المجتمع الأردني واحتياجاته.

مفهوم العمل الاجتماعي في ضوء الإطار المقترح

يعد العمل الاجتماعي منهجا أو نموذجا تستخدمه طريقة تنظيم المجتمع لإحداث التغيير الهادف والمقصود في البناءات المجتمعية المختلفة أو الحد من التغييرات السلبية أو توجيه التغيير و يمكن استخدامه مع سائر فئات المجتمع مثل: الأطفال والشباب و ذوي الاحتياجات الخاصة و المسنين، الخ (Dunham ,1970; Asha, 2013) وبالتالي يعد أداة قوية لإحداث هذا التغيير من خلال تجميع الجهود ورفع الوعي وتمكين الأفراد في المجتمعات (Beena and Archana 2010) ويستخدم للتعامل مع مشكلات المجتمعات العربية والتي من بينها: عدم العدالة الاجتماعية والظلم والفساد والتهميش والفقر والبطالة وذلك من خلال إعادة توزيع السلطة والثروة في المجتمعات و بين الجماعات المهيمنة وتحقيق العدالة للاقليات والجماعات المحرومة والمهمشة والمستبعدة مع مراعاة أن يتم ذلك كله بمشاركة الناس في سائر الجهود والقرارات التي تمس حياتهم حيث إن مشاكل الأفراد وإن بدت فردية ولكنها في النهاية اجتماعية مع الإدراك بأن هذا التصور يستمد شرعيته ومبرراته من فلسفة مهنة الخدمة الاجتماعية القائمة على الإيمان بضرورة الدفاع عن حقوق الإنسان وتحديدا الفئات المهمشة من خلال العمل الجمعي والتشاركي (IFSWK, 2014; Brown et all. , 2015).

مبررات النموذج المقترح

ينطلق التصور المقترح من عدة مبررات تتعلق بواقع وظروف واحتياجات ومشكلات المجتمعات العربية ومنها المجتمع الأردني حيث تسعى المجتمعات وباستمرار لتحسين أوضاعها والوصول إلى أعلى درجات التقدم على اعتبار أن الاحتياجات متجددة ، كما أن التعامل مع المشكلات الكبرى كالفقر والبطالة والعنف والجريمة والانحراف يتطلب فهما وأسلوبا ملائما بعيدا عن النظرة التقليدية بالإضافة إلى أن العدالة الاجتماعية ومكافحة الفساد وحقوق الإنسان أصبحت من أولويات المجتمعات ودفعت الكثير من المواطنين في معظم الدول العربية للتعبير عن ذلك بشتى السبل لأن العدل والمساواة أساس المواطنة (الكفاوين 2016)، وبالتالي فإن إحساس الناس بالظلم وعدم العدالة والغربة في أوطانهم، سيفقدهم الحماس للعمل من أجل مجتمعهم، وبالتالي يعزفون عن المشاركة المشاركة السياسية أو في أي جهد مجتمعي حتى لو كان من أجل تحسين أوضاعهم (Meyer, 2007) ولعل من الأمثلة الواضحة على ذلك ما أطلق عليه الربيع العربي الذي برهن على أن الإحساس بعدم العدالة والظلم والتهميش كلها تشكل حطبا لإشعال نار الثورات وقد تكون من أهم أسباب خروج الناس للشارع (شبكة المنظمات غير الحكومية 2015). وقد لا نبتعد عن الحقيقة إذا ما قلنا بأن من أبرز العوامل التي أسهمت في أحداث الربيع العربي الإحساس بعدم العدالة وانتشار الفساد لذلك أصبحت مكافحة الفساد والمساءلة والشفافية من أهم مطالب الشعوب والدول والحركات الشعبية والاحتجاجات حيث إن معظم الدول العربية لم تلتزم بالحكم الرشيد (UNDP, 2009).

كما أن شح الموارد المادية في الأردن يتطلب استثمار سائر الطاقات المتاحة لتعويض شح الموارد ومن بينها رأس المال الاجتماعي باعتباره موردا هاما وينظر إليه باعتباره الطريق المباشر للتعامل مع القضايا والاحتياجات والمشكلات المجتمعية (Edwards, et al, 2003) لأنه يُمكّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الوصول للموارد ذات القيمة بالنسبة إليهم (Catts and Ozaga, 2005) حيث أصبح من المدرك بأن نجاح التنمية يُقاس بمدى مشاركة أفراد المجتمع والثقة بالآخرين وبالمؤسسات الحكومية والعاملين فيها والتسامح والتفاؤل لأن التنمية بحاجة إلى شروط اجتماعية، فهي بحاجة إلى فاعلين على درجة عالية من الثقة والشفافية وقيم ومعايير وشبكات اجتماعية وأهداف مشتركة، وهي مكونات رأس المال الاجتماعي (WB: 1999)

لذلك فإن مهنة الخدمة الاجتماعية لا يمكن ولا يجوز أن تكون حيادية نحو الأحداث الإنسانية و جمود الأوضاع في المجتمعات ولا الظلم والقهر والتهميش بل إن الأخصائي الاجتماعي حين يقوم بأدواره من خلال تنظيم المجتمع (المحفز، والمدافع، والوسيط الخبير. . .) إنما هو في حقيقة الأمر يعمل على تقوية واستثمار طاقات المجتمع وتعزيز الرأسمال الاجتماعي باستخدامه لجميع نماذج واستراتيجيات تنظيم المجتمع والتي من بينها (نموذج العمل الاجتماعي) للتعامل مع الحاجات والمشكلات المجتمعية نظرا لأن المشكلات وإن كانت فردية في ظاهرها إلا أن لها أسبابا اجتماعية وبحاجة إلى حلول جمعية (Checkoway, 1997) لذلك فإن القول بأن نموذج العمل الاجتماعي مناسب للقيام بذلك يستند إلى أنه النموذج الذي يعمل مع الناس بشكل جمعي لفهم مشكلاتهم واحتياجاتهم ووضع الأولويات لها وتحريك الرأي العام وإشراك المواطنين و المنظمات الأهلية و التطوعية في إدارة شؤون المجتمع والعمل على تعزيز الشفافية والحاكمية الرشيدة واحترام سيادة القانون و تحقيق المساواة ومكافحة الفساد وإتاحة منطلقا بأن من حق الناس المشاركة في سائر الأمور التي تخصهم (Edwards,. et al 2003;,). بل إن نموذج العمل الاجتماعي باعتباره من مناهج الخدمة الاجتماعية يمكن اعتباره ليس فقط منهجا وإنما فلسفة توجه جهود الخدمة الاجتماعية (Parmar, 2014; IFSW, 2014)

أهداف العمل الاجتماعي في ضوء التصور المقترح

نظرا لإن المجتمعات تواجه تغيرات ومشكلات كثيرة من مثل الحروب والكوارث والإرهاب والفقر والبطالة والانحراف والجريمة (Rwomire and Radthlhokwa, 1996) لذلك فإن مهنة الخدمة الاجتماعية تعمل على الوقاية من التغيير السلبي أو توجيه التغيرات للصالح العام وإحداث التغيير الإيجابي سواء على الصعيد الفكري أو العملي من أجل التأثير في البناءات الفكرية والثقافية والتعامل مع نتائج التغيير السلبي من أجل الحد من إثارة. ومع القناعة بأن التغيير ليس بالأمر الهين إلا أن الأساس في التغيير هو العمل على تغيير أفكار ومفاهيم ومعتقدات الناس السلبية، لذلك فإن العمل الاجتماعي بما يمتلكه من قدرة على تجميع الموارد والجهود واستثمارها بفاعلية يمكنه مساعدة الناس لإحداث التغيير الهادف لإشباع هذه الاحتياجات و مواجهة المشكلات والعمل على تحرير المظلومين والمحرومين والفقراء وتحقيق العدالة الاجتماعية ولذلك فإن هناك حاجة لبناء نموذج جديد للتنمية يتناسب وظروف المجتمعات العربية بحيث يكون للعمل الاجتماعي دور فيه وصولا لعقد اجتماعي جديد (شبكة المنظمات غير الحكومية،2005) وخصوصا أن من ميزات العمل الاجتماعي إيمانه بأن لدى الناس طاقات وأن إطلاقها يتطلب العمل معهم وليس نيابة عنهم (Beena and Archana 2010).

لذلك فإن مهنة الخدمة الاجتماعية مطالبة أن تترك دور المتفرج أو العمل بسياسة ردة الفعل والانكفاء بل عليها أن تُسهم في التدخل و التأثير في رسم أو تعديل وتقييم السياسات الاجتماعية والتشريعات، مع التركيز في كل الأحوال على احترام حقوق الإنسان و ضمان العدالة الاجتماعية (SWPI, 2012) و لعل التحدي الذي يواجه الدول العربية الإجابة عن سؤال حول: ما هو النموذج الأمثل لتحقيق التنمية ومواجهة الاحتياجات المستجدة؟ حيث جربت عدة نماذج للتنمية وربما باءت معظمها بالفشل وقد ازدادت معدلات البطالة وغاب الحس والشعور بالمسؤولية من قبل غالبية المواطنين (محمود، 2017) الأمر الذي أدى إلى عزوف المواطنين عن المشاركة القضايا التي تخصهم وبالتالي الغربة بين المواطن والدولة (الحكومات) ولذلك فإن هناك حاجة ماسة للوصول لنماذج تنمية شاملة تشرك المواطن في سائر القرارات التي تخصه وتحترم حقوق جميع فئات المجتمع بدون تمييز وتعزز دور المرأة بحيث يصبح المواطن (مالكا وليس مستأجرا في وطنه). ولعل نموذج العمل الاجتماعي بما يملك من آليات مناسب للإسهام في تحقيق ذلك لأنه نموذج قائم على جمع الجهود وتوجيه الطاقات واستثمار الموارد والإمكانيات من خلال بناء الوعي بين الناس وبناء سياسات من شأنها إحداث التغيير والتعامل مع الحاجات والمشكلات المجتمعية وباعتباره نموذجا يستند في عمله إلى مبادئ و فلسفة مهنة الخدمة الاجتماعية والتي تؤمن بأن الناس ليسو سلبيين ولا بد من الاستفادة من طاقاتهم المختلفة ومن خبراتهم لإعادة الانتاج الفكري وطريقة التفكير بشراكة ليصلوا للقول (لا لأي قرارات تخصنا بدوننا).

خطوات نموذج العمل الاجتماعي المقترح:

قد تختلف الآراء حيال خطوات العمل الاجتماعي تبعا للاختلاف بين المجتمعات (سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا) ولكن واستنادا لفلسفة وقيم الخدمة الاجتماعية فإن العمل الاجتماعي منهج يقوم على عدة مبادئ من أهمها بناء المصداقية والثقة مع المجتمع وبين مكونات المجتمع لأن الثقة هي الأساس لتمكين الأخصائي الاجتماعي من القيام بعمله عمله، ويتطلب ذلك احترام الآخر و اتخاذ مواقف إيجابية نحو المعارضين وإعطاء الأمثلة الإيجابية واختيار المشكلات والاحتياجات المشتركة لأكبر عدد ممكن من الناس وتقديم نماذج للنجاحات للوصول في النهاية لتكوين صورة إيجابية عن القيادات والمنظمات بالإضافة إلى كسب الشرعية والتي تعني إقناع الناس والرأي العام بأن أهداف التحرك أخلاقية استنادا للقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية والقوانين الدولية والمحلية مثل (الدفاع عن حقوق المرأة والطفل و ذوي الاحتياجات الخاصة) وحتى يتمكن الأخصائي الاجتماعي من القيام بذلك فإنه بحاجة للمعرفة والقيم الأخلاقية و المهارات المهنية (المهارة في تكوين العلاقات و مهارات الاتصال والتواصل و المهارات التحليلية والبحثية) (Beal and Hobbs, 1986) **لذلك فإن ممارسة منهج العمل الاجتماعي تتم وفقا لخطوات متتالية**

ومتداخلة ولعل من بينها:

- أولا: تحديد المجتمع المستهدف واحتياجاته ومشكلاته: إن تحديد المجتمع المستهدف (وحدة العمل) بكل مقوماته الفيزيقية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية خطوة في غاية الأهمية، وحيث إن المجتمع ليس مجرد أفراد على رقعة جغرافية بل أفراد تربطهم وتجمعهم أفكار ومشاعر وقيم واحتياجات مشتركة لذلك فإن الأمر يتطلب معرفة دقيقة بكل مقومات المجتمع وموارده وإمكانياته المادية والبشرية والإنسانية ونقاط القوة والضعف والفرص والتحديات وكذلك تحديد القوى المؤثرة في المجتمع وأوزانها ودور العوامل الدينية والقيمية في تشكيل المجتمع. كما لا بد من رسم خارطة توزيع القوة والثروة في المجتمع تشمل كافة القطاعات والقيادات المجتمعية وتتضمن كذلك تحديد وتحليل الانظمة القائمة والأوضاع السابقة، وفي ضوء ذلك يتم تحديد الاهتمامات والاحتياجات المشتركة مع مراعاة تحليل الوضع الاجتماعي السابق في المجتمع حيث يوجد مشاريع وخبرات سابقة لا بد من البناء عليها والاستفادة منها وليس البدء دائما من نقطة الصفر. وكذلك يلزم تحديد الأنظمة الاجتماعية ذات العلاقة سواء أكانت أنظمة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية مع ضرورة الانتباه إلى بعض القوى التي تسيطر على المجتمع وتأثيرها وسبل التعامل معها وتحديد معيقات العمل وقوى الشد العكسي وأصحاب المصالح، ويمكن للأخصائي الاجتماعي استخدام استراتجية الإقناع أو الضغط من أجل الوصول لأكبر قدر من الاتفاق.

- ثانيا: تكوين المجموعات وبناء التحالفات وتمكين الناس: نظرا لتعدد العوامل المؤثرة في المجتمعات سواء سلبا أم إيجابا فإنه من الطبيعي وجود مجموعة من الأفراد والجماعات والمنظمات التي قد تتعارض مصالحها مع المصلحة العامة للمجتمع وبالتالي فإن أصحاب هذه المصالح قد يعرقلون العمل الجمعي ويصبحون من قوى الشد العكسي يضاف إلى ذلك وجود بعض الأفراد الذين يتصفون بالسلبية أو الفردية. وحيث إن نموذج العمل الاجتماعي في أساسه يقوم على العمل الجماعي (تحريك المجموع و العمل بروح الجماعة وبشكل منظم) لذلك تبرز أهمية تشكيل المجموعات وبناء التحالفات المؤثرة بالاستفادة من منظمات المجتمع المدني والقيادات الشعبية ووسائل الإعلام وبإشراك المهمشين والمحرومين أنفسهم لتشكيل الرأي العام ومجموعات الضغط التي تتبنى الدفاع عن حقوق الإنسان والمرأة والطفل والفئات المستضعفة وبالتالي تكون هذه المجموعات أو الجماعات قادرة على تحريك المجتمعات في الاتجاه السليم.

- ثالثا: اتخاذ القرارات والالتزام بالعمل: في ضوء كل ما سبق تصبح الأهداف المجتمعية وأولوياتها واضحة للجميع ومتفق عليها وبالتالي يتم التخطيط (بمشاركة المواطنين) لوضع وتنفيذ المشاريع والبرامج اللازمة لإشباع الاحتياجات وحل المشكلات من خلال المواءمة بين الحاجات والإمكانيات ولا بد أن تتم سائر الجهود والمشاريع بالتعاون مع المواطنين حيث إن ما يميز هذه المرحلة أن جميع القرارات التي تتخذ يجب أن تكون بمشاركة المواطنين . وفي العادة تختلف وتتعدد تلك المشاريع تبعا لاحتياجات المجتمعات وقد تتطلب اقتراح التشريعات اللازمة واتخاذ قرارات سياسية تستلزم وعيا وقناعة وتأييد بمساندة وسائل الإعلام والتواصل المختلفة وجماعات الضغط ولا بد من أن تتسم بالشفافية والمكاشفة و ترافق كافة الخطوات عملية تقييم بأسلوب منهجي من خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة من مثل: هل تم إنجاز ما هو مطلوب؟ ما افضل الوسائل المستخدمة؟ هل تم استثمار الموارد المادية وغير المادية بكفاءة؟ ما الذي كان يمكن القيام به لتحقيق نتائج أفضل؟ ما الدروس المستفادة والتي يمكن مراعاتها عند القيام بأعمال أخرى. إن كل ما سبق يتفق مع القناعة بأن على الخدمة الاجتماعية إثبات قدرتها بالعمل على مستوى المجتمعات من خلال رسم السياسات (Fisher, 1995) . وهو الدور الذي يمكن لطريقة تنظيم المجتمع أن تقوم به من خلال مناهجها المختلفة وتحديدا نموذج العمل الاجتماعي.

ملاحظات ختامية

إن هذه الدراسة انطلقت من القناعة بضرورة تطوير أدبيات وممارسة الخدمة الاجتماعية لتتمكن من مواكبة التغيرات والاحتياجات المجتمعية بما يتناسب والمجتمعات العربية عموما والمجتمع الأردني خصوصا. ورغم القناعة بأن عملية التطوير يجب أن تكون شاملة ومتكاملة إلا أن هذه الدراسة تناولت نموذج العمل الاجتماعي تحديدا، ومع الإدراك بأن عمليات التطوير والتحديث هذه قد تواجه بعقبات كثيرة لدرجة قد تشعر البعض باليأس والإحباط والإعياء المهني، إلا أنها تستحق المحاولة والعمل الجاد ولعل من محددات الدراسة الحالية اصطباغ (العمل الاجتماعي) كما تم توضيحه بمصطلحات ومفاهيم قد تكون أقرب للمفاهيم السياسية الأمر الذي قد يشكل عزوفا لدى البعض وخصوصا بأن كلمة (سياسة) احتلت موقعا غير مرغوب به في العقل العربي يتراوح ما بين الخوف والاشمئزاز، كما أن التغيير بحد ذاته ليس بالأمر الهين، ولذلك فإن النموذج المقترح ما هو إلا بداية لقرع الجرس، ومن المامول استكمال الجهد من قبل المهتمين والأخصائيين الاجتماعيين وتحديدا الأكاديميين.

التوصيات

1. ضرورة الاهتمام بنموذج العمل الاجتماعي في تخصص الخدمة الاجتماعية على الصعيد الأكاديمي والممارسة العملية،
2. ضرورة تبني هذا النموذج من قبل المنظمات الاجتماعية غير الحكومية على مختلف مسمياتها والمؤسسات المعنية بالشباب وتنمية المجتمعات والإدارة المحلية،
3. الحاجة إلى مزيد من الأبحاث الجادة والمتعمقة للوصول لخدمة اجتماعية معترف بها وتمارس من قبل أخصائيين اجتماعيين لديهم الكفاءة والقدرة على ممارسة أدوارهم المهنية المطلوبة بما يتلاءم والمجتمع الاردني،
4. إجراء مزيد من الدراسات النقدية لتطوير النموذج المقترح والخروج بأفكار إبداعية حول ممارسة الخدمة الاجتماعية عموما ونموذج العمل الاجتماعي خصوصا.

ملخص (دليل استرشادي مقترح للعمل الاجتماعي كمنهج من مناهج تنظيم المجتمع)

نموذج مبني على: أدبيات الخدمة الاجتماعية العالمية مع مراعاة الخصوصية الأردنية استنادا للقيم الدينية والأخلاقية وخبرات الممارسة في المجتمع الأردني	
مفهوم العمل الاجتماعي Social Action	منهج من مناهج تنظيم المجتمع يهدف لإحداث التغيير الإيجابي بعيد المدى على مستوى الأفراد و المجتمعات والسياسات والمنظمات والمؤسسات لمواجهة المشكلات والحاجات المجتمعية والوقاية من التغيرات السلبية بهدف إعادة التوازن للمجتمع والتوزيع العادل للقوى والموارد بين سكان المجتمع بعدالة مع التركيز على تمكين الفئات المهمشة والمحرومة والفقراء والمرأة والطفل . . .
المبررات	فشل نموذج التنمية من الاعلى للأسفل وبالتالي الحاجة إلى مشاركة المواطنين في جميع الجهود التي تتعلق بشؤونهم، تزايد الاحتياجات المجتمعية و الحاجة لتضافر سائر المنظمات والقطاعات والمؤسسات، الحاجة إلى ترسيخ ونشر وتحقيق العدالة الاجتماعية، ازدياد الثورات والاحتجاجات الشعبية ،،، تقلص دور الدولة، تفعيل دور الخدمة الاجتماعية لتواكب المستجدات وتحقق فلسفتها ومبادئها بالعمل على كافة المستويات وتحديدا على مستوى السياسات والمجتمعات ،،،
الاهداف	مواجهة الاحتياجات والمشكلات، تحسين الظروف العامة وخصوصا تلك التي تخص العدد الأكبر من الناس، التأثير في السياسات والقرارات التي تتخذها المؤسسات، تقديم برامج وآليات عمل جديدة، إعادة بناء السلطة وتوزيع الثروة والموارد، التأثير في البناءات الفكرية وتحسين الأوضاع الصحية والتعليمية والرعاية والخدمات الاجتماعية
الادوات والوسائل	بلورة احتياجات ومشكلات المجتمع وإمكانياته وطاقاته وتجميع الجهود بمشاركته من خلال الإعلام، الاحتجاجات والمسيرات والمظاهرات وسائر وسائل الضغط الشعبي بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني وجماعات المتطوعين والقيادات الشعبية وسن خلال التشريعات ورسم السياسات
الاستراتيجيات	باستخدام عدة استراتيجيات: 1 – تقوية الشراكة بين أعضاء المجتمع ومؤسساته 2 – تحديد مشكلات واحتياجات المجتمع بالتشارك 3 – تعزيز دور المجتمع بكل فئاته في حل المشكلات 4 – ربط الاحتياجات والمشكلات بالإمكانيات لحلها 5 – استخدام الاستراتجيات الملائمة (مواجهة، عمل مباشر، نفاوض صراع وتوافق) استراتيجية التعليم الاقناع التسهيل القوة والسلطة
المبادئ	1 – بناء المصداقية ما بين المجتمع والأخصائيين الاجتماعيين ومع فئات المجتمع مع بعضها البعض 2 – إعطاء الأمثلة العملية على نجاح استراتيجيات العمل الاجتماعي
دور الاخصائي	من أجل تمكين أفراد المجتمع وتحفيزهم للعمل الجماعي وتحريك الطاقات والقيادات المحلية وبناء التحالفات والعمل بتوازن بين مستويات الخدمة واستثمار الموارد باستخدام الاستراتيجية المناسبة يقوم الأخصائي الاجتماعي: بنشر الوعي واستخدام القوة المجتمعية وتوحيد الناس حول القضايا المشتركة وبالتالي القيام بدور المعلم والمدافع والوسيط والخبير والاستشاري والمحلل والباحث ومنظم الجماعات.
المهارات	مهارة : إقامة العلاقات الإنسانية/ التواصل/ التحليل التفاوض/ حل المشكلات/ حل الصراعات/ مهارات بحثية/ تدريبية/ إدارية/ التفاوض/ إدارة الأزمات / الخ
الخطوات	1 – تحديد مجتمع العمل (جغرافيا أو/ و وظيفيا) وفهمه وتحليله وتحديد النظم القائمة والفاعلة فيه والقوى والإمكانيات. . . والجماعات وخبرات النجاح والفشل وتحقيق الاعتراف المجتمعي و بناء التحالفات 2 – بناء الوعي والإدراك وبالتالي تحديد الاحتياجات والمشكلات الأكثر إلحاحا والأكثر تأثيرا في المجتمع بالمشاركة وتحديد وسائل تحقيق الأهداف ووضع الخطط 3 – تنظيم وتحريك جهود الافراد والمنظمات والقيادات وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف المشتركة بكل السبل ما عدا العنف 4 – تطوير استراتيجيات وخطط وبرامج التحرك والأهداف وسبل تحقيقها 5 – مباشرة التنفيذ للبرامج والأنشطة بمشاركة سائر مكونات المجتمع 6 – متابعة وتقويم جميع الإجراءات والخطوات والمخرجات واتخاذ ما يلزم من إجراءات
المحاذير	1 – قد تكون هناك مقاومة لعدم وجود الإدارة السياسية والخوف من العمل الجماعي وخصوصا أن العلاقة بين الدولة (النظام) والمواطن في معظم الدول العربية تتسم بانعدام الثقة أو التشكيك وبالتالي فإن مفهوم العمل الاجتماعي قد يبدو مفهوما سياسيا أكثر من كونه اجتماعيا وقد يفهم على أنه تحريض وليس تفعيلا أو تمكينا 2 – قد لا تكون ثقافة العمل الجمعي أو حتى ثقافة الأحزاب أو الثقافة السياسية قد ترسخت لدى الانسان العربي وبالتالي لا زالت المصلحة الفردية أو الجهوية أو العشائرية تسيطر على اتجاهات وسلوكيات الناس 3 – نقص الكوادر البشرية المؤهلة: الحاجة إلى كوادر بشرية مؤهلة تأهيلا جيدا وتحديدا في مجال الخدمة الاجتماعية (تنظيم المجتمع) 4 – تقليدية الخدمة الاجتماعية وجمودها: لا بد من الخروج من نفق التقليدية سواء في دراسة أو تدريس أو ممارسة الخدمة الاجتماعية التقليدية

المراجع العربية

1. أبو صعب ، فارس. (2011). التحولات العربية في عالم متغير مثلث القوة في الشرق ألأوسط، مجلة المستقبل العربي ، (389)
2. بدرخان ، عبد الوهاب. (2013). عالم عربي بين تيه سياسي وخواء استراتيجي مجلة شؤون عربية (154)
3. شبانتا ديفارجان و متقي ليلى. (2015). »نحو عقد اجتماعي جديد: المرصد الاقتصادي لمنطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا (نيسان) البنك الدولي ، واشنطن العاصمة.
4. السروجي ، طلعت. (2012). االربيع العربي وتحديات الخدمة الاجتماعية –رؤية في مستقبل الخدمة الاجتماعية العربية – مجلة القاهرة : المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، القاهرة.
5. شبكة المنظمات غير الحكومية للتنمية. (2015). اعادة النظر في نموذج التنمية ، تأملات من المجتمع المدني في المنطقة العربية حول اجندة ما بعد 2015 وخطة تمويل التنمية ، بيروت. لبنان.
6. كفاوين ، محمود. (2016) معتقدات طلبة الخدمه الاجتماعية حول اسباب الفقر في الأردن» دراسة ميدانيه على طلبة الخدمه الاجتماعية في الجامعه الأردنية «،مجلة دراسات: العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعه الاردنية 43، (6): 2623 – 2638
7. كفاوين ، محمود. (2017). مهنة الخدمة الاجتماعية وراس المال الاجتماعي – تصور مقترح ، (مجلة جامعة النجاح للأبحاث) ، مجلد31 (4) : ص ص: 587 – 618
8. كفاوين، محمود. (2018). العلاقة بين الخدمة الاجتماعية والعدالة الاجتماعية في الأردن من وجهة نظر الاخصائيين الاجتماعيين الممارسين، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات (سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية) مجلد33 عدد (5) ،ص ص: 178 – 218
9. محمود. مجمد. (2017) . التنمية المستدامة في الوطن العربي –المعوقات والمتطلبات ، االمجلة الليبية العالمية عدد 25 (لعام) 2017 جامعة بنغازي ليبيا.

English Reference:

1. *Asha. P. R. (2013). Community Organization & Development: An Indian Perspective. New Delhi. PHI Learning Pvt. LtdPp 156 - 161.*
2. *Asquith, S. , Clark, C, and Waterhouse, l. (2005). The Role of Social Workers in the 21st Century - A Literature Review. Edinburgh: Scottish Executive.*
3. *Barsky, A. E. (Ed.) (2010). Ethics and Values in Social Work. New York: Oxford University Press.*
4. *Battaglia, M. (2008). " Non Probability Sampling. " Encyclopedia of Survey Research Methods. Sage Publication. London.*
5. *Beal,G. M &Hobbs,D. J. (1986) the process in community area development: Cooperative extension service: Lowa State University.*
6. *Beena, A & Archana, K. (2010). BSW Study material IGNOU, Block 3, Chapter 15: "In Gracious Thomas (Eds) Social Work Intervention with Communities and Institutions, Vol, 1, Indiraa Gandhi National Open University: New Delhi.*
7. *Bliss, D (2014). Using the social work advocacy practice model to find our voices in service of advocacy, leadership and governance, DOI: 10. 1080/ 23303131. 2014. 25,pp1 - 12*
8. *Bosco, C. J. . . . (2010). community organization as a method of social work, Block 1, Chapter 3: "In Gracious Thomas (Eds) Social Work Intervention with Communities and Institutions, Vol, 1, Indira Gandhi National Open University: New Delhi.*
9. *Brown, M. L & Ball, A. (2015). Social Work Advocacy: professional self - interest and social justice. Journal of Sociology and Social Welfare, 2015, Vol XLII, N3*
10. *Catts, R. & Ozga, J. (2005). What are Social Capital and How Might it be used in Scotland's Schools? No 36.*
11. *Checkoway, B. (1997). Core concepts for community change. Journal of Community Practice, 4, 11.*
12. *Cherian, J &Tomas, L (2018) Social Action as a Method of Social Work: Challenges in Teaching and Practice: International journal of Research, V7, Issue VIII, August/ 2018 pp: 240 - 247*
13. *Creswell, J. W. (2007). Qualitative inquiry and research design (2nded.) Thousand Oaks, CA: Sage Publications.*
14. *Dunham, A (1970) the New Community Organization, Tomas Y. Crowell Company. INC. N. Y.*
15. *Edward, R. Franklin, J. & Holland, J. (2003). Families and Social Capital: Exploring the Issues, South Bank University: London.*
16. *Fisher, R. (1995). Political Social Work, Journal of Social Work Education, 31, pp. 194 - 203.*
17. *Flick, U. (2009). an Introduction to Qualitative Research (4thed). Sage Publications. London.*
18. *Harrison, M (2014) ideas and outcomes of social action: social action studies. 9*
19. *International Federation of Social Workers (2014). Global definition of Social Work, Available at http: // IF SW. Org/ get involved/ global - definition –of - social - work/ accessed at January 2015.*
20. *Jacobson, W. (2001). Beyond Therapy: Bringing Social Work Back to Human Services Reform. Social Work, 46 (1) , 51 - 61.*
21. *Jones, D and Truell, k (2012) The Global Agenda for Social Work and Social Development: A place to link together and be effective in a globalized world, international social work, 55 (4): 454 - 472 · July 2012*
22. *Meyer, DS (2007) "Building Social Movement "In S. Moser and I. Dilling (Eds) creating a climate for change: communicating alienates change and facilitating social change. Cambridge University Press, Cambridge.*
23. *Muhkerjee, D. (2007). Researching the Social Environment: A network Approach to Human Behavior, Advances in Social Work, 8 (1) , pp. 208 - 217.*
24. *Parmar ,A (2014) Methods of social work and its role in understanding team climate and development: journal of Sociology and Social Work ,March 2014, Vol. 2, No. 1, pp. 303 - 318*
25. *Pathare, S (2011) community organization: concepts and principles, Block 1, Chapter 1*
26. *Radian, E (2000) Social Action and Social Work Education in Canada: A Thesis for Doctor of Philosophy: Faculty of Social Work, University of Calgary, Canada.*
27. *Reisch, M (2007). " Social Justice and Multiculturalism: Persistent Tensions in the history U. S. Social Welfare and Social Work". Studies in Social Justice. 1 (1) , 67—92.*
28. *Reisch, M. (2002). " Defining Social Justice is a Socially Unjust World, Families in Society: The Journal of Contemporary Human Services, 83 (4) , 343 - 354.*
29. *Ross, A. (2011). Justice in Action? (Social Work and Social Justice in the 21 Century) Master Thesis, Massey University, New Zealand.*
30. *Rothman, J. L. , (1968). Three models of community organization practic, In Fred M. Cox, John L. Erlich, Jack Rothman and John E. Tropman, Editors, Strategies of*

Community Organization.

31. *Rwomire, A. & Radthlokwa, L. (1996). Journal of Social Development in Africa, 11 (2) , p. 5 - 19.*
32. *Solass, J. (2008). " What kinds of Social Justice Does Social Work seek?" International Social Work, 51 (6) , 813 - 822*
33. *Stockdale, J (1976) "Community Organization Practice: An Elaboration of Rothman's Typology, "The Journal of Sociology & Social Welfare: Vol. 3: Iss. 5, pp: 540 - 551.*
34. *SWPT, (2012): Critical Conversation Brief in flouncing social policy: Social Work Policy Institute, Washington DC.*
35. *Tan, A (2009) Community Development and Practice: bridging the divide between "Micro" and "Macro": level of social work. North American Association of Christian is social work. Botsford, CT 06404 - 79*
36. *The World Bank. (1999). What is Social Capital! Poverty Net, http// www. World bank. Org.*
37. *UNDP (United Nations development programs). (2009) Arab Human Development Report, New York (2009).*
38. *Weiss, I. (2006). Factors Associated with Interest in Working with the Poor Families in society , 87 (3) , pp. 385 - 394.*

مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم في ضوء مطلع سورة المزّمّل

The Pillars of the Spiritual Construction of the Muslim Preacher in the Light of Surat Al Muzzammil

د. عبد الله أحمد الزيوت
أستاذ مشارك/ الجامعة الأردنية/ الأردن

Dr. Abdallah Ahmad Alzyout
Associate prof. - University of Jordan - Jordan
dr.alzyuot@gmail. com

تاريخ الاستلام: 13/ 5/ 2019م، **تاريخ القبول:** 18/ 8/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

Received: 13/ 5/ 2019, **Accepted:** 18/ 8/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547508
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

تُحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس: ما مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم التي تضمنها مطلع سورة المُزّمِّل؟ وتهدف إلى الوقوف على المعنى المفرد والمركب لمرتكزات البناء الروحي للداعية وتحديد تلك المرتكزات، وإبراز المحور الرئيس الذي تدور حوله سورة المُزّمِّل، وذلك من خلال استخدام المنهج الوصفي القائم على التحليل مع الإفادة من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، كان من أبرزها أن المراد بمرتكزات البناء الروحي للداعية الدعائم والأسس التي يتحصّل من ضمِّ بعضها إلى بعض تقوية صلة الداعية بربه تعالى، وتثبيته في دعوته، وتمكينه من تبليغ الإسلام للناس، وحثّهم على تطبيقه في الحياة على الوجه الأكمل. وقد انحصرت هذه المرتكزات بقيام الليل، وترتيل القرآن، واستدامة ذكر الله تعالى، والتبتل والانقطاع إليه في كلِّ قول أو عمل، والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، إضافة إلى الصبر مع الهجر الجميل للمخالفين، وهذه المرتكزات مرتبطة بعضها ببعض، ولا يُغني أحدها عن الآخر.

الكلمات الدالة: البناء الروحي، الداعية المسلم، الدعوة إلى الله تعالى، سورة المُزّمِّل.

Abstract

This study tackles the pillars of the spiritual constructions of the Muslim preachers in the light of Surat Al Muzzammil. The study aims at identifying the pillars of spiritual construction and their complex and singular meaning, in addition to identifying the focus of Surat Al Muzzammil. To achieve the objectives of the study, the descriptive, inductive and deductive approaches were used.

This study concludes a number of important results. The pillars of the spiritual constructions of the preachers are the foundations that promote the connection between the preacher and Allah, resulting in the empowerment of the preacher to help deliver the message of Islam to the people and apply it in the real life. Those spiritual pillars are mainly, the practice of night prayers, recitation of the Qur'an, constant remembrance of Allah, devotion to Allah in every act and word, reliance on Allah, patience and avoiding those who contravene the provisions of Islam kindly. All these spiritual pillars are interconnected and integrated.

***Keywords**: Spiritual Construction, Preacher, Preaching, Allah, Surat Muzammil*

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على مَنْ أرسله ربُّه شاهدًا ومُبشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا، نبينا محمد بن عبدالله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الدعاة والمصلحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد؛

فإن الدعوة إلى الله تعالى، والقيام لتبليغ الدِّين، وتعليمه للناس مُهمة الأنبياء والمرسلين، ووظيفة مَنْ اتبعهم وسار على دربهم، وهي شرف عظيم لمن وفقه الله تعالى للقيام بها على علْمٍ وحجة بيِّنة واضحة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: 108].

ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى أشرف المقامات وأجلها، كان حاملها في أعلى المنازل وأرفعها و أحسنَ الناس قولاً وأفضلهم عملاً، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: 33].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للدعوة إلى الله في كل عَصْرٍ ومِصْرٍ أعداء يُحاربونها، ويسعون إلى تشويه صورتها، ويؤذون حملتها بشتى أنواع الأذى، ويقاومونهم بكل قوة؛ لأنهم يدعون إلى عبادة الله تعالى، والتزام حدوده فيما أمر به ونهى عنه وزجر، ويحثّون على التحرر من أهواء النّفس والتخلي عن شهواتها.

ومما لا شك فيه أن ثبات الدعوة إلى الله تعالى وتحقيق الغاية منها مرهون بوجود دعاة مؤهلين يحملون همَّ الدعوة ويحرصون عليها أشدَّ الحرص، ولا يتحصّل ذلك إلا بتعميق صلة الداعية بالله سبحانه وتعالى، فهو ضرورة لا غنى لداعية عنها، بل لا يُتصور أن ينهض بالدعوة بدونها لا سيما في هذا الزمان الذي ابتعد فيه أكثر الناس عن المنهج الذي ارتضاه الله لهذه الأمة بعد أن تكالبت عليها الأمم، واستعملت في صدِّ المسلمين عن دينهم القويم وسائل متعددة، وطرق متنوعة.

وقد رأيت أن من حقِّ الدعاة إلى الله تعالى أن يكون لهم نصيبٌ من الدراسات والأبحاث العلمية المُستمدة من نبع القرآن الكريم الصافي، ذلك النّبع الذي استقى منه إمام الدعاة وأسوتهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة الكرام من بعده، فاستقاموا على أمر الله تعالى، وأخلصوا نيّاتهم له، ولن يكتمل العمل الدعوي إلا بالبناء الروحي للداعية المسلم المُستمد من ذلكم النّبع الذي استقى منه سيّد الدعاة وإمامهم صلى الله عليه وسلم.

إن القرآن الكريم حافل بكلِّ ما يحتاجه الداعية خاصة والمسلم عامة؛ إذ تطرق في سور عديدة وآيات متفرقة إلى البناء الروحي.

لكنّ مطلع سورة المُزّمل من أوائل ما أمر به صلى الله عليه وسلم قبل أن ينهض بتبليغ ما أرسله الله تعالى به، وقد تضمن هذا الأمر الإعداد الروحي من أجل التحرك بالدعوة والتبليغ، وتنمية القدرة على الاستمرار وتجاوز ما يعترضه من عقبات.

وتحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على مطلع هذه السورة الكريمة لاستنباط مرتكزات البناء الروحي للداعية، وما لها من الأثر الكبير في تشكيل شخصيته وفق المنهج الرباني الذي التزمه الداعية الأول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده ممن قاموا بالدعوة على أتم وجه وأكمله.

وقد بدأت بتحديد التعريف المفرد والمركب لمرتكزات البناء الروحي للداعية، وبيّنت شخصية سورة المُزَّمِّل ومحورها الرئيس، ثم ذكرت مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله تعالى التي تضمنها مطلع السورة الكريمة.

مشكلة الدراسة:

لعلّ من المعروف بداهة أن استقرار الحياة وصلاحها مرتبط باستمرار الدعوة إلى الله تعالى، وأنّ تحقيق الغاية منها مُرتبط بوجود دعاة مؤهلين لحملها على أكمل وجه. وإن الناظر بعين البصيرة يلحظ كثرة الدعاة في هذا العصر وَضَعفَ تأثيرهم رغم تقدم الوسائل وتوافرها وتنوعها. وانطلاقًا من أهمية الدعوة، وضرورة الإعداد للقيام بها جاءت هذه الدراسة للتعرف على الطريق الأمثل في الإعداد والاستعداد الروحي قبل حمل الدعوة وأثناء التحرك بها، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: **ما مرتكزات البناء الروحي للداعية إلى الله تعالى، والتي ينبغي على الداعية أن يلتزمها قبل تحركه في الدعوة وفي أثنائها؟** ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

- ما المراد بمرتكزات البناء الروحي للداعية؟
- ما المحور الذي تدور حوله سورة المزّمِّل؟
- ما مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم التي تضمنتها آيات مطلع سورة المزمل؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- الوقوف على معنى مرتكزات البناء الروحي للداعية.
- محاولة بيان المحور الرئيس الذي تدور سورة المزّمِّل حوله.
- إبراز مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله تعالى التي تضمنتها آيات مطلع سورة المزّمِّل.

أهمية الموضوع:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال الآتي:

- إن الوقوف على المعنى مرتكزات البناء الروحي، وإبراز هذه المرتكزات في ضوء آيات مطلع سورة المزّمِّل يفيد المسلمين عامة، والدعاة إلى الله تعالى خاصة، وربما يفيد المراكز والمعاهد المتخصصة بإعداد الدعاة.
- إن هذا الموضوع لم يحظ فيما اطلع عليه الباحث بدراسة علمية مستقلة؛ ولذلك يرجو أن يقدم إلى المكتبة الإسلامية إضافة علمية ولو يسيرة في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

لم يحظ هذا الموضوع فيما اطلع عليه الباحث بدراسة علمية مستقلة، غير أنه وجد دراسات ذات صلة بموضوعه العام، منها: دراسة عصام زهد (2005م، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر في الجامعة الإسلامية بغزة) بعنوان: أصول الدعوة الإسلامية في سورة نوح. ودراسة عبدالله الزيوت (2018، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية) بعنوان: أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر. وتختلف هذه الدراسة عن الدراستين المذكورتين من حيث السورة مدار البحث، ومن حيث الموضوع الكلي لهذه الدراسة؛ فهي تنحصر في تناول البناء الروحي للداعية ولا تتعرض لموضوع الدعوة، ولا للمدعوين.

منهج الدراسة:

إن الوصول إلى النتائج المروجة من هذه الدراسة اقتضى استخدام المنهج الوصفي القائم على التحليل مع الإفادة من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول: معنى مرتكزات البناء الروحي مفردًا ومركبًا

- **أولاً: المرتكزات**: وهي جمع مرتكز، وهي اسم مفعول من الفعل ارتكز، وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي رَكَزَ، وهذه المادة تدل في الأصل على إثبات شيء في شيء، يقال: رَكَزَ الرُّمح يَرْكُزه رَكْزًا، إذا غَرَزَه في الأرض، ومَرْكَزُ الجُنْد: الْمَوْضِعُ الَّذي أمروا أن يَلزَمُوه وأن لَا يَبرَحُوه، يُقَال: أَخَلَّ فلانٌ بمركزه. وارتكز إلى الشَّيء، وارتكز على الشَّيء، إذا اعتمد عليه واستند إليه، وارتكز الشَّيءُ في الشَّيء: ثبَت واستقرّ في محلّه، وعليه اعتمد. ومُرْتَكَزَاتُ العَمَلِ أو البِنَاء: أُسُسُهُ، دَعَائِمُهُ. [1]

مما سبق يتبين أن مادة (رَكَزَ) في اللغة تستعمل للدلالة على تثبيت الشيء واستقراره، والاعتماد عليه، سواءٌ أكان هذا الشيء حسيًّا أم معنويًّا، وأن الارتكاز على الشيء يُعين على تحمل المشاق والأعباء البدنية والنفسية.

- **ثانيًا: البناء**: وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي (بني)، وهو يدل في الأصل على بناء الشيء بضَمِّ بعضه إلى بعض؛ يقال: بَنَيْتُ أَبْني بِنَاءً وبِنْيَةً وبِنًى وبِنيانًا. والبناء: وضع شَيْء على شَيْء على صفة يُرَاد بهَا الثُّبُوت. وَاسْتعْمل مجَازًا في معَان كَثِيرَة تَدور حول التأسيس والتنمية، يُقَال: بنى مجده، وَبَنَى الرِّجَال، وَبنى الطَّعَام جِسْمه، وَبنى على كَلَامه؛ إذا احتذاه وَاعْتمد عَلَيْهِ. [2]

يظهر مما سبق أن مادة (بني) تدل في أصل الوضع على ضمِّ أجزاء مادية أو معنوية بعضها إلى بعض على وجه مخصوص يراد به الثّبوت، فمثلاً «الأمر الذي يربيه الإنسان من دينٍ واعتقاد إنما يربيه على نظرٍ وتأملٍ ووضع شيءٍ فشيءٍ. » [3]

- **ثالثًا: الروح**: وهي لغة مشتقة من الفعل (روح) ، وهذه المادة تدل في الأصل على سَعَة وفُسْحَة واطّراد، ومن معانيها: ما به حياةُ الأجسام، وجمعها أرواح، [4] وهي سرٌّ من أسرار الله تعالى في خلقه، ولا يدرك حقيقتها ولا يدرك كنهها غير خالقها سبحانه وتعالى، ولذلك لمّا سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عنها أُمر أن يَجيب:) قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ([الإسراء: 85]. ومع أنها مجهولة في كنهها، إلا أنها حقيقة، ونتائجها ليست مجهولة، ولا محجوبة عن الإدراك، وهي مركز الكيان البشري، وأكبر طاقات الإنسان، وهي الموجه إلى النّور، ووظيفتها الكبرى هي الاتصال بالله تعالى؛ [5] فهي تربط المؤمن بخالقه تعالى، وتُعمِّق صلته الداخلية به سبحانه وتعالى.

♦ **رابعًا: الداعية**: وهو في اللغة اسم فاعل من دعا يدعو دعوة، فهو داعٍ، وجاءت الهاء في آخره للمبالغة، يقال: رجُلٌ داعيَةٌ إِذَا كَانَ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى بِدْعة أَو دين. والجمع دُعاة، وهم قَومٌ يدعون إلى بيعة هدى أَو ضَلالة. [6] وبالرجوع إلى معجمات اللغة العربية ظهر أن لفظ الداعية يُطلق ويراد منه الداعية إلى الحقّ والخير والهدى، ويُطلق ويراد منه الداعية إلى الباطل والشر والضلال. والإطلاق الأول هو المراد هنا؛ أعني الداعية إلى الحقّ وعبادة الله تعالى وتوحيده وتحكيم شرعه في واقع الحياة، وبهذا المعنى نودي إمام الدعاة وأسوتهم، وبه أُرسل خاتم المرسلين: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾ [الأحزاب: 45، 46]. وعلى هذا؛ فالمراد بالداعية في هذه الدراسة: هو المُسلم الذي يميل بالناس إلى الإسلام، ويحثهم على تعلُّمه وتعليمه، وتطبيقه في واقع حياتهم.

وبعد بيان معنى كلّ من المرتكزات، والبناء، والروح، والداعية يمكن القول: إنّ مرتكزات البناء الروحي للداعية هي الدعائم والأسس التي يتحصّل من ضمِّ بعضها إلى بعض تقوية صلة الداعية بالله تعالى، وتثبيته في دعوته، وتمكينه من الاستمرار في تبليغ الإسلام للناس، وحثهم على تعلُّمه، وتعليمه، وتطبيقه، على الوجه الأكمل.

المطلب الثاني: شخصية سورة المُزَّمِّل ومحورها الرئيس

سورة المُزَّمِّل هي السورة الثالثة والسبعون في ترتيب المصحف، جاءت بعد سورة (الجنّ) وقبل سورة (المُدّثر)، وليس لهذه السورة إلا هذا الاسم، وجاءت تسميتها به في كلام ابن عباس رضي الله عنهما فقد نُقل عنه أنه قال: نزلت سُورَة المُزَّمِّل بمكة، [7] وذكر ابن عاشور أنه ليس لها إلا هذا الاسم، وأنها عُرفت بالإضافة للفظ (المُزمل) الواقع في أولها. [8]

وهي من السور المكية عند جمهور المفسرين، ووقع الخلاف في الآية الأخيرة منها، فقد نَسَبَ ابن عطية وأبو حيان إلى الجمهور قولهم: إنها مكيّة إلا آخر آية منها فإنها مدنيّة. [9] وأورد ابن عاشور الخلاف في ذلك، ثم ذكر أن الروايات تظاهرت على أن آخر آية من السورة نزلت منفصلة عما قبلها، بمُدّة مختلف في قدرها، ثم رجّح قول من قال بأن هذه الآية مدنية، مستأنسًا بما جاء فيها من قوله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [المزمل: 20]، إن لم يكن إخبارًا عن غيب. [10]

وسواء أكانت السورة مكيّة كلها أم مكية إلا آية منها مدنية فإن مطلع السورة مكيّ باتفاق العلماء، وهو من أوائل ما نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم قال الآلوسي: "والجمهور على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاءه الملك في غار حراء بما حاوره رجع إلى خديجة رضي الله تعالى عنها فقال: "زملوني". فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ [المدثر: 1]، وعلى أثرها نزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾. [11]

وعلى هذا يمكن القول إن التوجيهات القرآنية الموجهة للدعاة بدأت منذ فجر الدعوة، وكان النبي صلى الله وعليه وسلم أول المخاطبين بها، وأول العاملين بها، وعلى كلّ داعية من بعده أن يعمل بها، وأن يلتزم بمضمونها؛ لتُعينه على الاستمرار بالدعوة، وتُقوّيه على تحمّل متاعبها ومشاقها، حتى تُحقّق دعوته هدفها المرجو له ولأمته الإسلامية.

ولعلّ ترتيبها في المصحف قبل سورة المدثر يدلُّ على أن الاستعداد الروحي، والحرص على تعميق الصلة بالله تعالى قبل الولوج في الدعوة ضرورة لا غنى عنها، بل لا تقوم الدعوة بدونها.

والمحور الرئيس الذي تدور السورة حوله هو الزاد الروحي للداعية إلى الله تعالى والذي يُعمِّق صلته بالله تعالى؛ ليقوم بحمل أمانة الدعوة على الوجه الأكمل. يقول البقاعي: "مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال والأثقال، ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليال. . واسمها (المُزَّمِّل) أدل ما فيها على هذا المقال". [12]

ولسيد قطب نظرة عميقة لمحور هذه السورة وشخصيتها، واتصال مقاطعها ببعضها البعض، حيث قدّم لها بقوله: وشطر السورة الأول يمضي على إيقاع واحد. ويكاد يكون على روي واحد. هو اللام المطلقة الممدودة، وهو إيقاع رخي وقور جليل يتمشى مع جلال التكليف، وجدية الأمر، ومع الأهوال المتتابعة التي يعرضها السياق؛ هول القول الثقيل. . وهول التهديد المروّع. . وهول الموقف الذي يتجلى في مشاهد الكون وفي أغوار النفوس. . . فأما الآية الأخيرة الطويلة التي تمثل شطر السورة الثاني. . . فذات نسق خاص، فهي طويلة. . وفيها هدوء واستقرار، وقافية تناسب هذا الاستقرار؛ وهي (الميم) وقبلها مدّ (الياء):) غَفُورٌ رَحِيمٌ (. . السورة بشطريها تعرض صفحة من تاريخ هذه الدعوة، تبدأ بالنداء العلوي الكريم بالتكليف العظيم، وتصور الإعداد له والتهيئة بقيام الليل، والصلاة، وترتيل القرآن، والذكر الخاشع المتبتل، والاتكال على الله وحده، والصبر على الأذى، والهجر الجميل للمكذبين، والتخلية بينهم وبين الجبَّار القهار صاحب الدعوة، وتنتهي بلمسة الرفق والرحمة والتخفيف والتيسير، والتوجيه للطاعات والقربات، والتلويح برحمة الله ومغفرته: ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾. " [13]

وفذلكة القول أن محور هذه السورة وموضوعها الرئيس هو البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله بغض النظر عن جنسه أو لونه، أو عصره، وزاده الذي يوثّق صلته بالله تعالى، ويضمن له الاستمرار في دعوته، ويؤمن له سلامة سيره فيها، ويقيه من المخاطر، ويعينه على تجاوز ما يعترضه من عقبات، ويحفظه من الوقوع في الزلات، أو النكوس عنها مهما تعددت المُغريات، وتنوعت التهديدات.

المبحث الثاني: مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة إلى الله تعالى

إن أول ما نزل من التوجيهات المتعلقة بالبناء الروحي للداعية إلى الله تعالى هو مطلع سورة المُزَّمِّل، وقد اشتملت آيات هذه الآيات على المرتكزات الروحية التي تُعين حامل الدعوة إلى الله تعالى على مسيرته الدعوية، وتوضيح هذه المرتكزات من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: قيام الليل:

المُرتكز الأول من مرتكزات البناء الروحي هو الحرص على قيام الليل بجد واجتهاد، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾ [المزمل: 1 – 4]

فقد افتُتحت السورة بنداء إمام الدعاة صلى الله عليه وسلم

نداء ارتفاق وتحبُّب وتأنيس وملاطفة، وفيه دلالة على الاعتناء بالكلام المُلقى على المُخاطب، والتنبيه على أهميته؛ حيث جاء النداء بحالته صلى الله عليه وسلم وعُبِّر عنه بصفته) الْمُزَّمِّلُ (، وفيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوّة على حمل أعباء ما يراد به، [14] سواءٌ أكان المراد من هذا الوصف معناه الظاهر، وهو المتلفِّف بثيابه المتغطي بها، أم كان مجازًا عن كونه حَمْله صلى الله عليه وسلم النبوّة والرسالة والتشمير لها، والجِدَّ في أمرها. [15]

والمُزَّمِّل لغة: اسْمُ فَاعِل، من تَزَمَّلَ إذا تلفَّف وتغطى، وأَصله المُتَزَمِّل، فأُدغمت التَّاء في الزَّاي لقربها منها، يُقَالُ: تَزَمَّل فُلَانٌ إِذا تَلَفَّف بثيابه وتغطّى، وزَمَّل الشيء حمَلَه. [16]

والنداء في الآية الكريمة وإن كان موجهًا للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه نداء شامل لكلّ مُتأسٍ به، ولكلّ حامل للعلم، ومُشتغل بالدعوة إلى الله، ودعوة عامة وشاملة لكل مَنِ تلفَّفَ بثوب وتغطى به، فَرَقَدَ ليله، أو تهاون بقيامه، فهو نداء لكلّ واحد من هؤلاء) قُمِ اللَّيْلَ (، ولعلّ في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء والأمر دلالة على أهمية قيام الليل في تعميق الصلة بالله، وتقوية الاستعداد للدعوة من جهة، ورفعة شأن القائم به من جهة أخرى.

والمراد بـ) قُمِ اللَّيْلَ (: اليقظة التامة فيه لأداء الصلاة، وخصَّ الليل بالقيام؛ لأنهَ وقت الخفية، والستر، والسكون، "والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه. . وهذا هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير. " [17]

ولقيام الليل بالصلاة والتوجه إلى الله تعالى أثر بالغ ومضمون في بناء الروح إن أُتي به على الوجه الأتم والأكمل؛ ذلكم أنها وسيلة إعداد ربانية، ولا ريب أن خالق الروح وموجدها أعلم بما يصلح لها، وبما يُعمق صلتها به جلّ في عُلاه. ولعلّ التعبير عنها بفعل القيام [قُمْ] يُشير إلى هذا؛ حيث يحمل في طياته معنى اليقظة الكاملة، والواعية، لصلاة الليل، والعزيمة والانتصاب لها، والإتيان بها على أتم وجه وأكمله؛ فالقيام في اللغة ضد الجلوس، ويأتي بمعنى العزم على الشيء، يقال: قام يفعل كذا؛ أي: عزم على فعله، ويأتي بمعنى المحافظة والإصلاح، ومنه قوله تعالى:] **إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا** [[آل عمران: 75]؛ أي: ملازمًا محافظًا، ويأتي أيضًا بمعنى الوقوف والثبات، يقال للماشي: قف لي؛ أي: تحبَّس مكانَك. [18]

وليس المطلوب قيام الليل كله؛ لأن العبادة مبنيّة على اليُسر، وقدر الاستطاعة، والتوازن، والجسم له نصيبه من الراحة، وإنما المطلوب القليل من كلّ ليلة، وذلك بحسب راحة الجسم وقوة الاستعداد، فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ **مُجمَل، فسّره ما بعده، وهو قوله تعالى**: ﴿**نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾ [المزمل: 3، 4] والمعنى: إلا قليلاً من الليل وهو النِّصف، أو انقص من النصف قليلاً، بحيث يزيد عن الثلث، أو زد على النصف إلى الثلثين. [19] وبهذا تكون صلاة الليل على التخيير بين ثلثه ونصفه وثلثيه سواء أكان ذلك في الليلة الواحدة أم في ليالٍ متعددة، كأن يقوم مرة نصف الليل، ومرة الثلثين، وأخرى الثلث، وذلك بحسب القدرة والاستطاعة.

وقد أخذ الشنقيطي من هذه الآية أن عدد ركعات صلاة الليل غير محدد بعدد ثماني ركعات أو أكثر، وإنما هو على التخيير بين هذه الأزمنة من الليل، وذلك متروك لنشاط القائم واستعداده وارتياحه، ولا يمكن التّعبد بعدد لا يصح دونه ولا يجوز تعديه. [20]

وإذا كانت الصلاة المفروضة هي عنوان الصلة بين العبد وربه ورمز خضوعه له والالتجاء إليه، فإن صلاة الليل تزيد على ذلك بأنها تقطع صاحبها عن ملذّات الدنيا، وعزله عن شهواتها، وبذلك تجعله أقرب إلى الإخلاص، وتنأى به عن أي شبهة من سُمعة أو رياء، ومن هنا جاءت في صدارة مرتكزات البناء الروحي للداعية، ولذلك رغّب القرآن الكريم فيها، وحثَّ على القيام بها في غير ما آية من الآيات، وسلك في ذلك مسالك متعددة، ومن ذلك مثلاً: يذكر أنها طريق نيل المقام المحمود يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء: 79]، ويُبين في سياق أنها من صفات عباد الرحمن: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: 64]، ويذكر في سياق أنها من أحوال المؤمنين الذين لا يرجون إلا رحمة الله: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر: 9]، ويؤكد في سياق آخر أنها من أعمال المتقين وصفات المحسنين، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ [الذاريات: 15 – 17].

ولا يعني ما تقدم أن صلاة الليل مطلوبة من الداعية فحسب، بل هي مطلوبة منه ومن غيره، ولكن خُصّ الداعية بها لسمو رسالته، ورفعة مهمته التي تميّز بها عن غيره، هذا من جانب، ولتكون عونًا له على تحمل المشاق والمتاعب التي تواجهه في طريق الدعوة من جانب آخر، وليكون أسوة لغيره في التقرب إلى الله تعالى من جانب ثالث.

المطلب الثاني: ترتيل القرآن

المرتكز الثاني من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة قراءة القرآن الكريم بتمهل وتأنٍ؛ ليتمكن من تدبره وفهم معانيه، وهو مأخوذ من قوله تعالى:] **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**[[المزمل: 4]، والتّرتيل مصدر الفعل الرّباعي رتَّل، يقال: رتّل ورتَّلَ فعل رباعي متعد، يُقال: رتَّل، يُرتِّل ترتيلاً، وهو في الأصل يدل على إرسال الكلمة من الفم بسهولة على اللسان، ويوصف به الكلام إذا كان حَسن التناسق والتأليف؛ يقال: رتّل الكلام، إذا أحسن تأليفه وأبانَه وتمَهَّلَ فيه، والتَّرْتيل، ضدُّ العجلة، وهو في القراءة التَّرسُّل فيها من غير بغي. وترَتَّلَ في الكلام: تَرَسَّل، وَهُوَ يَتَرَتَّلُ في كلامه ويترسَّل. [21]

والترتيل المأمور به في هذه السورة هو قراءة القرآن قراءة تَبْيين حروفها، والتأني في أدَائِهَا ليكون ذلك أدعى إلَى فهم معانيها، [22] وقد جاء الفعل (رَتِّل) مؤكدًا بالمصدر (تَرْتِيلًا) للدلالة على المبالغة، وأنه لا بد للقارئ منه، لتقع قراءته عن حضور القلب، والتأمل والتفكر في حقائق الآيات ومعانيها؛ فعند الوصول إلى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله، وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، وعند ذكر القصص والأمثال يحصل الاعتبار. [23]

ولا غرو أنّ مثل هذه القراءة تبني روح الداعية، وتقوي صلته بربه، وتجعله على بصيرة من أمره، وتكسبه أساليب دعوية متعددة، ومهارات متنوعة، تُعينه على توصيل رسالته، وتحصيل ما يحتاجه في التعبير عن فكرته، والتغلب على الصعوبات التي تواجهه والعوائق التي تعترضه، كيف لا وفي القرآن الكريم من القصص والأمثال والتوجيهات والأحكام ما يرسم للداعية طريقته، ويضبط منهجه في تبليغ دعوته وتوصيل رسالته على الوجه الأحسن والأنفع.

هذا؛ وقد ورد لفظ الترتيل في القرآن الكريم أربع مرات في موضعين؛ أحدهما في هذه السورة، مرة بصيغة فعل الأمر، وأخرى مصدرًا. وثانيهما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: 32]، حيث ورد مرة بصيغة الفعل الماضي (رَتَّلَ) وأخرى مصدرًا (تَرْتِيلًا). [24]، وذُكر في المراد من الترتيل أحد احتمالين؛ الأول: أن القرآن الكريم مُنسقًا تنسيقًا حسنًا في ألفاظه ومعانيه.

والثاني: أن يكون المراد الأمر بقراءته مُرتلاً على ما جاء بصيغة الأمر في الموضع الأول. [25]

وسواء ترجح الاحتمال الأول أم الثاني فإن القرآن الكريم حَسَن التناسق والتأليف، وقد أمر الله تعالى بتلاوته تلاوة تُعين على تدبره وفهم معانيه، وذلك ببيان جميع الحروف والحركات، ولكن على الاحتمال الثاني يكون القرآن الكريم متواترًا بلفظه وترتيله، قال أبو زهرة عند تفسيره لقوله تعالى:]وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا[: "الترتيل هو قراءة القرآن الكريم على نسق منسق مصور للمعاني الجليلة في التلاوة، فيتلقاه النبي مُرتلاً، ثم يقرؤه لغيره من القُراء من أصحابه كذلك، وبذلك يتواتر القرآن مرتلاً، كما أقرأه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم، وكما قرأه النبي على أصحابه، فالقرآن الكريم ليس متواترًا بلفظه فقط، بل بلفظه وترتيله". [26]

وبعد الأمر بقراءة القرآن على أتم الوجوه وأكملها يأتي وصفه بالقول الثقيل، قال تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ [المزمل: 5]، والإلقاء يدل في الأصل على طرح الشيء، ثم صار في التّعارف اسمًا لكلّ طرح، يقال: ألقه من يدك وألق به من يدك، وألقى إليه المودة. [27] فهو يُستعمل في الحقيقة وفي المجاز، وقد استعير هنا للدلالة على الإبلاغ والإيحاء.

والقول الثّقيل هو القرآن الكريم، وللعلماء في وصفه بالثّقل عدة أقوال، منها:

- أولاً: أنه كان يثقُل تلقيه على النبي صلى الله عليه وسلم إذا أُوحي إليه.
- ثانيًا: إنه يثقل موازين الأعمال يوم القيامة.
- ثالثًا: إن الثّقل في العمل بما فيه من فروض وأحكام. [28]

وهذه المعاني متقاربة، وجميعها في القرآن الكريم، وكلٌّ منها ثابت فيه. ولا يعني هذا أنه ثقيل في مبناه فهو كما وصفه الله تعالى مُيسَّر للذكر: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: 17]، «ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب. وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه، لثقيل. وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.» [29]

أما عن موقع الآية مما قبلها فذكر غيرُ واحد من المفسرين أن هذه الآية معترضة بين ما قبلها وما بعدها، وأن فائدة هذا الاعتراض هي تسهيل الأمر بقيام الليل، فهو بالنسبة إلى ما سيوحى إليك من التكاليف سهل. [30]

فيما نفى الشيخ السايس الحاجة إلى جعلها معترضة، وذهب إلى أنها مما قبلها بمنزلة العلة من المعلول، وأن المعنى: قُم اللَّيْلَ وتجرد للعبادة، وأعد نفسك لما سيلقى عليك، لأنّ الله تعالى سَيوحي إليك بأمور عظيمة، وتكاليف ثقيلة تقتضيها طبيعة الرسالة. [31]

وذكر القاسمي أنها مُبيِّنة لعلَّة الأمر بترتيل القرآن، فقال ما نصه: «الجملة معللة للأمر بالترتيل، وأن ثقله مما يستدعيه.» [32]

ولعلّ هذا هو الأقرب إلى الصواب، لأن الله تعالى يأمر بترتيل القرآن الكريم؛ أي: بتلاوته تلاوة تُحرّك القلب، وتُعين على التفكر والتدبر، وفهم المعاني، ولا ريب أن التلاوة بهذه الكيفية يتحصل منها الثواب الجزيل، وإدراك حِكَم وأسرار التنزيل، والعلم العمل بما فيه أحكام.

ثم يأتي بيان حكمة اختيار فترة الليل: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ (المزمل: 6)؛ فوقت الليل فيه مجاهدة للنفس، والعبادة في ساعاته كالصلاة وتلاوة القرآن فيها إعلان السيطرة على النفس، وإظهار تغلُّبها على شهواتها، هذا من جانب، وهي من جانب آخر أعمق أثرًا في بناء الروح وتربيتها لاحتمال التكاليف عامة وتحمّل أعباء الدعوة خاصة، وأعظم مصادفة للخشوع، وموافقة بين القلب واللسان، وأتمُّ إخلاصًا، وأبعد عن السّمعة والرياء، وأشدُّ نشاطًا وثبوتًا ورسوخًا، وأكثرُ بركة، وأبلغُ في الثواب. [33]

ففي الليل ينقطع الإنسان عن أعمال الدنيا ومشاغل طلب المعيشة، ويستريح من الأعمال التي أتعبته في النهار، ولذلك كان من رحمة الله تعالى وحكمته أن جعل الليل وقتًا للسكون والراحة، وجعل النهار وقتًا للسعي في طلب الرزق وتحصيله، ومن هنا كانت المشاغل فيه كثيره، ومتنوعة، وكانت الخلوة بالنفس نادرة، والانقطاع التام للعبادة متعذر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾ [المزمل: 7]، والسَّبح مصدر سَبَحَ، وهو يدل في الأصل على المرِّ السّريع في الماء، ثم استعير للدلالة على سرعة العمل واستمراره. [34]

والمعنى كما قال أبو السعود وغيره: إن لك في النّهار تقلبًا وتصرفًا في مهمَّاتك، واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغَ للعبادة فعليكَ بها في الليل، وهذا بيانٌ للداعي الخارجي إلى أعمال عبادة الليل بعدَ بيان ما في نفسه من الدَّاعي. [35] وليس هذا فحسب، بل إن عبادة الليل تُقوي الرّوح، وتضبط مشاغل النهار، وتُعين على تحمّل ما فيه من متاعب ومشاق.

المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله

المرتكز الثالث من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة هو ذكر الله تعالى على كلِّ حال، في الليل والنهار، وهو مأخوذ من قوله تعالى:]وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ [[المزمل: 8]، والذِّكر في اللغة ضد النسيان، وهو يُطلق ويراد به هيئة للنفس بها يتمكن الإنسان من حفظ ما يقتنيه من المعارف، وهو كالحفظ؛ إلا أن الفرق بينهما أنّ الذِّكْر يقال باعتبار حضوره بالقلب وباللسان، ومنه قيل: الذّكر ذكران:

ذكر بالقلب، وذكر باللّسان. وكلّ واحد منهما نوعان: أحدهما: ذكر عن نسيان. والثاني: ذكر لا عن نسيان، بل يُقال باعتبار إدامة الحفظ. (36)

والمطلوب من الداعية إدامة حفظ اسم الله تعالى، والدوام على ذكره في جميع الأوقات، وفي كل الأحوال، بالقلب واللسان، كما قال تعالى في وصفه لأولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، وقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: 25]، وقال آمرًا بكثرة ذكره: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41]، وقد روى الإمام الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في تفسيره لقوله تعالى:] وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا [[الأنفال: 45]: "لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: 103] بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسرِّ والعلانية، وعلى كل حال. " (37)

فالذِّكر ليس له حدّ، ويُقتدر عليه في كل الحالات، ولا عُذرَ لأحد بتركه، وهو يتناول كلَّ ما يُذكَر به، من «ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثّناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتمّ إلّا بتوحيده؛ فذكره الحقيقيّ يستلزم ذلك كلّه، ويستلزم ذكر نِعَمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه. » (38)

والذِّكر بهذا المعنى أعون ما يُعين على تقوية الصلة بالله تعالى، والتوجه إلية في السراء والضراء، والمحنة والمنحة.

المطلب الرابع: الانقطاع إلى الله تعالى والإخلاص له

أما المُرتكز الرابع من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة فهو الانقطاع التام إلى الله تعالى بالعبادة والتجرد له عن كلِّ ما سواه، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8]، والتبتل مأخوذ من بَتَلَ، وهذه المادة تدل في الأصل على إبانة الشيء من غيره، يقال: بتَلْتُ الشيءَ، إذا أبَنْتَهُ من غيره، والبَتْل: القَطْع، والبتول والبتيل والبتيلة من النّخل: الفسيلة المنقطعة عن أمّها المستغنية عنها، والتّبتّل: الانقطاع عن الدّنيا إلى الله تعالى، وكذلك التّبتيل: يقال للعابد إذا ترك كلّ شيء أو أقبل على العبادة، قد تبتّل؛ أي: قطع كلّ شيء إلّا أمر الله وطاعته. (39)

ولأئمة التفسير في المراد من التبتُّل في الآية الكريمة عدة أقوال، منها: التَّعبّد، والإخلاص، والانقطاع، والتضرع. (40)

وهذه الأقوال متقاربة، ولا تخرج عن المعنى الأصلي الذي أفادته الكلمة، ولكلٍّ منها دور في البناء الروحي، لكنّ يجمعها الإخلاص لله تعالى والانقطاعُ إليه في كل ما يُؤتى وما يُترَك من الأقوال والأعمال، وعلى هذا يمكن القول إن التبتل والانقطاع لا يتحقق إلا بشرطين:

- أحدهما: قطع النَّفْس عن شهواتها وعن هواها. فلا يأتي صاحبها من الأقوال والأعمال إلا بما يوافق الكتاب والسنة
- والثاني: قطع النَّفْس عن إرادة غير الله تعالى، وعن إشراك غيره سبحانه وتعالى معه، وحصر الباعث على القول أو العمل بمرضاة الله تعالى، وابتغاء الأجر منه. والبناء الروحي لا يتم إلا بالتزام ذلك وتطبيقه في الحياة العملية.

وليس المراد من هذا انقطاع الداعية عن الأعمال الدنيوية، وإنما المراد ألا تُشغله أعمال الدنيا عن عبادة الله تعالى، ولا عن العمل الدعوي، وأن يُعطيها القدر الذي لا بدّ منه، مع وجوب تحقق الشرطين السابقين؛ أعني الموافقة للكتاب والسنة، والإخلاص لله تعالى.

وفي إيثار ما في النظم الجليل] تَبْتِيلًا[على (تبتلاً) حتى يكون الفعل موافقًا لمصدره فائدة ذكرها ابن القيم، ونص عبارته: " ومصدر بَتَّلَ تَبَتُّلًا كالتَّعلم والتَّفهُم، ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف فإنّ في هذا الفعل إيذانًا بالتّدريج والتَّكلف والتّعمُّل والتكثر والمُبالغة، فأتى بالفعل الدّالّ على أحدهما، وبالمصدر الدّالّ على الآخر فكأنه قيل: بَتِّلْ نَفْسَكَ إلى الله تبتيلاً، وتَبَتَّلْ إليه تَبَتُّلًا، ففُهم المعنيان من الفعل ومصدره. . . وهو من أحسن الاختصار والإيجاز. " (41)

فهو يُشير إلى أن هذه الجملة القرآنية جمعت بين الفعل] تَبَتَّلْ[ومصدر فعل آخر (بَتِّلْ)، فدل الفعل على تكلُّف الانقطاع إلى الله تعالى والتدرج فيه، ودل المصدر] تَبْتِيلًا[على المبالغة والتكثير والزيادة منه، حتى يحصل أثر التبتيل؛ وهو التبتل أي: تعويد النفس على الطاعة، وترويضها على العبادة، وهذا مما يجب مراعاته، والأخذ به، وهو التدرج في العمل، بحيث تكون البداية بالقليل، فإذا ترسخ زاد منه واستكثر، وفي ذلك ضمانٌ لدوام العمل، وعدم انقطاعه، وعدم حصول السآمة والملل.

ولعلّ في التعبير باسم الرّب تنبيه على استحقاقه سبحانه وتعالى التبتل والانقطاع، وأنه لا يليق إلا به تعالى؛ فهو خالق جنس المشارق والمغارب كلها، والمتفرّد بتدبيرها، والقائم على إصلاح أمورها،] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ[؛ فلا معبود بحقٍّ إلا هو، ولا تنبغي الألوهية إلا لعظمته، ولا مخلوق يستحقُّ أن يُخصَّ بالخضوع والتذلل سواه.

المطلب الخامس: الاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمر إليه

المرتكز الخامس من مرتكزات البناء الروحي لحامل الدعوة هو تفويض أمره إلى الله تعالى والتوكل عليه في سائر الأعمال، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9]، والوكيل مأخوذ من الفعل الثلاثي وَكَلَ، وهذه المادة تدل في أصل الوضع على اعتماد على الغير في أمر ما، ومن ذلك التوكل، وهو إظهار العَجْز في الأمر والاعتماد على غيرك، وواكل فلان إذا ضيّع أمره متّكلاً على غيره، وسُمِّي الوكيلُ لأنّه يُوكَلُ إليه الأمر. (42)

وذكر الراغب الأصفهاني أن التَّوَكُّلُ يقال على وجهين:

أحدهما: المتولي، يقال: تَوَكَّلْتُ لفلان؛ أي: تولّيت له.

والثاني: المعتمد والملجأ، يقال: وَكَّلْتُهُ فَتَوَكَّلَ لي، وتَوَكَّلْتُ عليه؛ أي: اعتمدته. (43)

والوكيل في أسماء الله الحسنى: هُوَ الموكول إِلَيْهِ كل الْأُمُور، ويسْتَحق بذاته أَن تكون الْأُمُور موكولة إِلَيْهِ والقلوب متوكلة عَلَيْهِ، والوكيل المطلَق هو الذي الأمور موكولة إليه وهو مليّ بالقيام بها وَفِي بإتمامها وذلك هو الله تعالى فقط. (44)

والأمر باتخاذه سبحانه وتعالى وكيلاً يتضمن التسليم إليه، والاعتماد في قضاء الحوائج عليه، واللجوء في كل الأحوال إليه، وتفويض كل أمر إليه، ولا شك أن الالتزام بهذا الأمر يقوي صلة الداعية بربه، فيطمئن بذلك قلبه، وتشتدّ عزيمته، ويثق ثقة مطلقة بأن الله تعالى يُمدّه بالحول والقوة، ويصرف عنه الموانع، ويُسهل له الأسباب، ويذلل له العقبات.

ومما يُدلِّل على أهمية التوكل على تعالى وكونه ضرورة لازمة لبناء روح الداعية وتقوية صلته بالله تعالى – على وجه الخصوص – مجيء الأمر به في آيات متعددة، وسياقات مختلفة، ومن ذلك مثلاً: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 81]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: 123]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]. وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 3].

فكما يجب إفراد الله تعالى بالعبادة يجب إفراده بالتوكل؛ لأنه لا نافع ولا ضار، ولا كافي إلا هو وحده تبارك اسمه، وليس معنى التوكل ترك الأسباب وتعطيلها، وإنما من تمام التوكل على الله تعالى وكمال الاعتماد عليه الأخذ بالأسباب، وللبقاعي عبارة لطيفة في هذا المعنى، حيث يقول في سياق حديثه عن التوكل: «وليس ذلك بأن يترك الإنسان كلّ عمل، فإن ذلك طمعٌ فارغ، بل بالإجمال في طلب كلّ ما نُدب الإنسان إلى طلبه، ليكون متوكلاً في السبب لا من دون سبب، فإنه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة، وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الأسباب. » [45]

وذكر صاحب المنار أن ترك الأسباب بدعوى التوكل لا يكون إلا عن جهل بالشرع أو فساد في العقل، فالتوكل محله القلب، والعمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح، وأن الإنسان مسوق إليه بمقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومأمور به في الشرع، واستدل لذلك بعدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: 15]، وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71]، وبعد ذلك ذكر أن الإنسان إذا توكل ولم يأخذ بالأسباب يقع في الحسرة والندم عندما يخيب ويفوته غرضه. [46]

ولا ينحصر التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب في جانب دون آخر، وإنما هو عامٌ وشامل لكل شأن من شؤون الداعية؛ الدينية والدنيوية، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها.

المطلب السادس: الصبر

المرتكز السادس من مرتكزات البناء الروحي هو الصبر على المخالف، وعلى أذاه، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، والصّبر لغة مأخوذ من الفعل الثلاثي صَبَرَ وهو يدل في أصل الوضع على الحَبْس، يقال: صَبَرَ فلانٌ فلانًا عن الشَّيء يَصْبِرُه صَبْرًا إذا حَبَسَه، وصبر نفْسَه: حبسها ومنعها. ومنه: قُتل فلانٌ صَبْرًا، إذا حُبس، وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه. والصَّبر: حَبْس النَّفْس عِنْدَ الجزَع. والتَّصَبُّرُ: تكلُّف الصَّبْر. ويقابل الصّبر الجزَع، يقال: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا إذا تجلد ولم يجزع. [47] ومن هذا التقابل قول الذين كفروا يوم القيامة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: 21].

وللعلماء في المعنى الاصطلاحي للصبر عدة تعريفات، من أوجزها وأجمعها قول مَنْ قال: هو حبس النَّفْس على احتمال ما تكره. [48]

فهذه العبارة الموجزة المختصرة شملت أنواع الصبر، حيث إنه على ضربين: أحدهما: نفسي، وهو حبس النّفس عن مُشتهيات الطبع ومُقتضيات الهوى. والثاني: بدنيٌ، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة من العبادات أو من غيرها، أو بالاحتمال كالصَّبر على المرض الشديد، والآلام العظيمة والجراحات الهائلة، [49] سواء أكانت مادية عن طريق الضرب أو التعذيب أم كانت معنوية عن طريق القول كالسخرية والاستهزاء والقبيح من الكلام.

وبناء على ما سبق يمكن القول إنه لا يمكن لداعية ولا لغيره أن يصل إلى بناء الروح، وتعميق الصلة بالله تعالى إلا بالصبر، ولا يقوى على أداء الطاعات ولا تجاوز ما يعترضه من عقبات إلا بالصبر؛ لأن أداء الطاعات، والانتهاء عن المعاصي يفتقر إلى الصبر، ولعلَّ مما يؤكد هذا مجيء لفظ الصبر في القرآن الكريم في آيات متعددة وسياقات مختلفة، ومن ذلك مثلاً: قوله تعالى مخبرًا عن أهل العلم أنهم قالوا لمن فُتن من قومهم بقارون: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: 80] وقوله تعالى في سياق الحدث عن خصلة الدفع بالتي هي أحسن: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35]؛ فالإيمان والعمل الصالح الموصل إلى ثواب الله تعالى يفتقر إلى الصبر، واحتمال أذى الغير، ومقابلة الإساءة بالإحسان كذلك تفتقر إلى الصبر الذي لا يناله إلا مَن كان له عند الله النصيب الأوفر والحظ الأكبر.

والأمر بالصبر في الجملة القرآنية]وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ[جاء متعديًا بحرف الاستعلاء (على) ، ومُقيدًا بالقول بصيغة الفعل المضارع، وفي هذا التعبير القرآني عدة فوائد؛ أما حرف الاستعلاء فيُشير إلى عظمة الصبر وعلو مكانته، وأما تخصيص القول بالذكر ففيه إشارة إلى أن الأذى محصورٌ بالقول، وأما صيغة المضارع] يَقُولُونَ[ففيها دلالة على تجدد الأذى القولي واستمراره، [50] فهو لا يختص بزمان، ولا ينحصر في مكان، ولا يسلم منه داع إلى الله، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الأمر بالصبر على الأذىً القولي بهذا التعبير المعجز جاء في قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، وجاء مقرونًا بالتسبيح والحمد لله تعالى في قوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: 130]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39].

وإذا كان الصبر المأمور به هنا مقيدًا بالقول فقد جاء في مواضع أخرى مطلقًا من غير تقييد له بمعيَّن، فقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم إمام الدعاة وأسوتهم بالصبر في غير ما آية من آيات القرآن الكريم، ولم يُقيده بمعيّن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48]. وأخبر سبحانه وتعالى

أن الصبر هو العلاج الناجع الذي يواجه به حامل الدعوة إلى الله الأذى الذي يلقاه من مخالفه وعدوه، فقال: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12].

وبين في سياق آخر أن الصبر من صفات أئمة الخير والهدى، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

وفي هذه الآيات وأمثالها دلالة واضحة على أن الصّبر ضرورة لازمة لبناء روح الداعية على وجه الخصوص، وتوثيق صلته بربه سبحانه وتعالى، كيف لا وهو «الوصية من الله لكل رسول من رسله، مرة ومرة ومرة ولعباده المؤمنين برسله، ولا يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحدٌ إلا والصبر زاده وعتاده، والصبر جنته وسلاحه، والصبر ملجؤه وملاذه. فهي جهادٌ. جهادٌ مع النفس وشهواتها وانحرافاتها وضعفها وشرودها وعجلتها وقنوطها. وجهادٌ مع أعداء الدعوة ووسائلهم وتدبيرهم وكيدهم وأذاهم، ومع النفوس عامة وهي تتفصى من تكاليف هذه الدعوة، وتتفلت، وتتخفى في أزياء كثيرة وهي تخالف عنها ولا تستقيم عليها، والداعية لا زاد له إلا الصبر أمام هذا كله. » [51]

وبعد الوصية بالتزام الصبر يأتي التوجيه بمقابلة الأذى بالهجر الجميل، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، والهَجْرُ في اللغة: ضدُّ الوصل، يُقال: هَجَرَ فلان الشيءَ يَهْجُره هَجْرًا: تَرَكَه وأغفله وأعرض عنهُ، وهَجَرَه يَهْجُره هَجْرًا، وهِجْرانًا، قَطَعه وصَرَمَه، والتّهاجر: التّقاطع. والهَجْرُ والهِجْرَان: مفارقة الإنسان غيره، إمّا بالبدن، أو باللّسان، أو بالقلب. [52]

فالهجر لغة هو الإعراض والمقاطعة سواء أكان ذلك بالجسد، أم باللسان، أم بالقلب، أم بها جميعًا، والهجر المأمور به في الآية الكريمة ليس مطلقًا، وإنما هو الموصوف بالجميل؛ والجميل لغة وصف مشتقّ من جَمَل، وهذه المادة تدل في الأصل على الحُسن، ومنه الجمال وهو ضدّ القبح. وقيل: الجمال: كثرة الحسن، يُقال: رجلٌ جَميلٌ وجَمَال على التكثير، وجامله؛ أي: فعل معه الجميل، وأجمَلَ فلانٌ في كذا: أحسَنَ فيه. [53]

والهجر الج

والهوى، والمُخالفة في الأفعال مع المدارة، والإغضاء وترك المكافأة، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63]، وهو الأخذ بإذن الله تعالى فيما يكون أدعى إلى القبول. [54]

قال ابن عاشور في المراد من الهجر الجميل: هو الحَسَن في نوعه، وهو الذي يقتصرُ صاحبُهُ على حقيقة الهجر، وهو ترك المخالطة، فلا يقرنها بجفاء آخر أو أذى، ولما كان الهَجْر ينشأ عن بعض المهجور، أو كراهية أعماله كان معرّضًا لأن يعتلق به أذىً من سبٍّ أو ضَرْب أو نحو ذلك. فأمر الله تعالى بالهجر هجرًا جميلاً؛ أي: بالهجر الذي لا يزيد على هجرهم سبًّا أو انتقامًا. [55]

إنّ حامل الدعوة إلى الله تعالى ربّما يواجه أثناء تبليغ الدعوة، وتعليم الناس الخير، أو إرشادهم إلى الحق الإيذاء من بعض المدعويّن، فيكون الصبر المقرون بالهجر الجميل هو المُتعين، دفعًا لضررهم ورفعًا لقدره عن مجاوبتهم، لكن دون قطع للتبليغ، ولا ترك لدعوة الله تعالى، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلا مَنْ أخذ بحظ وافر من البناء الروحي، وقويت بذلك صلته بالله تعالى، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، فقد أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف وأمر بالإعراض عن أذى الجهلة السفهاء سواء أكانوا من مسلمين أم من غيرهم وعن مقابلتهم بمثل سفههم؛ والأمر بالإعراض عن الجاهلين كما يقول ابن العربي المالكي يتناول جانب الصفح بالصبر الذي يتأتى به للعبد كلّ مراد في نفسه وفي غيره.

نتائج الدراسة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وإعانته تكتمل الأمور، وبعد أن وفقني الله تعالى لإتمام هذه الدراسة لا بدّ من تسجيل النتائج التي توصلت إليها؛ وذلك على النحو الآتي:

1. إن وظيفة الداعية في هذا الزمان ليست مجرد تبليغ الإسلام، وإنما تشمل الميل بالناس إلى الإسلام، وحثهم على تعلّمه وتعليمه، وتطبيقه في واقع حياتهم.
2. إن مطلع سورة المُزّمّل من أوائل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا تكون المرتكزات التي تضمنتها هذه الآيات هي المنهج السليم، والطريق القويم لبناء الروح الذي لا يتغير بتغير الأزمان، ولا يتحول بتحول الأحوال.
3. إن البناء الروحي للداعية إلى الله تعالى ضرورة لا غنى لداعية عنه، بل لا يُتصور أن ينهض بالدعوة بدونها، ولا أن يحقّق الغاية المرجوة له ولأمته بعيدًا عنها.
4. المراد بمرتكزات البناء الروحي للداعية الدعائم والأسس التي يتحصّل من ضمِّ بعضها إلى بعض تقوية صلة الداعية بالله تعالى، وتثبيته في دعوته، وتمكينه من الاستمرار في تبليغ الإسلام للناس، وحثِّهم على تعلُّمه، وتعليمه، وتطبيقه، على الوجه الأكمل.
5. إن سورة المزّمّل تتمحور حول البناء الروحي للداعية إلى الله تعالى بغض النظر عن جنسه أو لونه، أو عصره، وزاده الذي يوثّق صلته بالله تعالى، ويضمن له استمراره في دعوته، ويعينه على تجاوز العقبات التي تعترضه.
6. إن مرتكزات البناء الروحي للداعية في مطلع سورة المزّمّل تنحصر بقيام الليل، وترتيل القرآن، واستدامة ذكر الله تعالى، والتبتل والانقطاع إليه في كل قول أو عمل، والاعتماد والتوكل عليه سبحانه وتعالى، والصبر مع الهجر الجميل للمخالفين.
7. إن مرتكزات البناء الروحي مرتبطة بعضها ببعض، ولا يُغني أحدها عن الآخر، وإن بناء الروح على الوجه الأكمل والأحسن لا يتحقق إلا بالأخذ بها جميعًا، وتطبيقها تطبيقًا عمليًا.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1. توجيه المؤسسات الدعوية، ومعاهد إعداد الأئمة الدعاة إلى عقد مُلتقيات دورية يتم خلالها التركيز على الجانب الروحي للداعية من الناحية النظرية، ومن ناحية التطبيق العملي.
2. تضمين مقرر مادة أصول الدعوة والخطابة المعتمدة في

كليات الشريعة مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم، وتوجيه الطلبة إلى الحرص عليها قبل الدعوة إلى الله وأثناءها.

3. عقد دورات تدريبية سنوية أو نصف سنوية للدعاة بحيث تكون متخصصة بالتربية الروحية للداعية قبل تحركه بالدعوة، وأثناء العمل بها.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، د. ط، 1979م)، 2/ 433، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414ه)، 5/ 355، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، بيروت ط1، 2008م)، 2/ 935، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (دار الدعوة، د. ت، ط)، 1/ 369.

2. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 302، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط. ت)، 241، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/ 250، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 1/ 72.

3. أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م)، 1/ 235.

4. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/ 454، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/ 956، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 1/ 380.

5. ينظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، (دار الشروق، القاهرة، ط14، 1993م)، 1/ 39 – 40.

6. علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م)، 2/ 325 – 326، محمد بن مكرم، لسان العرب، 14/ 258 – 259. وينظر: عبدالله أحمد الزيوت، أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (14)، عدد (3)، 2018م، 91 – 92.

7. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور، (دار الفكر، بيروت، د. ط، ت) ، 8/ 311، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، (دار الفكر، لبنان، ط1، 1996م)، 1/ 109 وما بعدها، محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ)، 5/ 377.

8. ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (الدار التونسية، تونس، د. ت، ط، 1984م)، 29/ 252.

9. عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ)، 5/ 386، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، (دار الكتب العلمية بيروت ط1، 2001م)، 8/ 352.

10. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 29/ 253.

11. شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، روح المعاني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 15/ 113.

12. إبراهيم بن عمر بن حسن البِقاعيّ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط. ت ط) ، 8/ 202، وله: مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، (الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1987م)، 3/ 131.

13. سيد قطب إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، (بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ) ، 6/ 3743.

14. ينظر: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ ط1، 2/ 422، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، 8/ 203، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (29/ 256).

15. ينظر: محمد بن عبد الله بن العربي، ، أحكام القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003م)، 4/ 323، محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب، (دار الكتب العلمية، بيروت ط1، ، 2000م)، 30/ 51، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، 2/ 422.

16. ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/ 25، محمد بن مكرم، لسان العرب، 11/ 311.

17. سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، 6/ 3745.

18. محمد بن مكرم، لسان العرب، 12/ 497.

19. ينظر مثلاً: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مصر، مطبعة مصطفى البابلى الحلبي، ط1، 1946م)، 29/ 111، وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط2، 1418هـ) ، 29/ 192.

20. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت، دار الفكر، د. ط، 1995م) ، 8/ 357.

21. علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 9/ 474، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1 ، 1412هـ) ، 341، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 2/ 70 ، محمد بن مكرم، لسان العرب، 11/ 265.

22. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، 1379هـ)، 9/ 89، محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط)، 20/ 53.

23. علاء الدين علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، 4/ 356، الشوكاني، فتح القدير، 5/ 379.

24. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 9/ 89، أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 20/ 53.

25. ينظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت)، 6/ 216، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 19/ 20.

26. محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ، زهرة التفاسير، (دار الفكر العربي، د. ط. ت)، 10/ 5276.

27. الحسين بن محمد، المفردات، 745، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ، 4/ 38، محمد بن مكرم، لسان العرب، 15/ 257.

28. ينظر: علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت)، 6/ 126، عطيه محمد سالم، تتمة أضواء البيان، (دار الفكر، بيروت، ط1، 1980م)، 1/ 612، 613، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة، ، دار نهضة مصر للطباعة، د. ط، 1998م)، 15/ 165.

29. سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، 9/ 3745.

30. ينظر مثلاً: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، 4/ 638، عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ)، 5/ 255.

31. محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، 2002م)، 817.

32. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ)، 9/ 341.

33. ينظر مثلاً: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م ط4)، 8/ 2548، علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 4/ 357، محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 29/ 113.

34. الحسين بن محمد، المفردات، 392، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 2/ 166.

35. العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم، 9/ 51، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني، 29/ 105.

36. الحسين بن محمد، المفردات، 328، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 2/ 43.

37. محمد بن جرير الطبري، ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، ، 2000م)، 9/ 164.

38. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1973م)، 128.

39. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 195، محمد بن مكرم، لسان العرب، 11/ 42.

40. ينظر: علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، 6/ 128، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ)، 4/ 355.

41. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م)، 2/ 30، 31.

42. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 6/ 136.

43. الحسين بن محمد، المفردات، 882.

44. محمد بن محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: سام الجابي، (الجفان والجابي، قبرص، ط1، 1987م)، 129.

45. إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر، 8/ 210.

46. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1990م)، 4/ 170، 171.

47. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3/ 329، محمد بن مكرم، لسان العرب، 4/ 438 – 439، سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، (دار الفكر، دمشق، ط3، 1988م)، 206.

48. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م) ، 1/ 501، محمد بن يوسف، البحر المحيط، 1/ 338، علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 1/ 93، محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 521.

49. الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، (جامعة طنطا، كلية الآداب، ط1، 1999م)، 210، محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة، د. ط. ت)، 4/ 66 – 67، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، 4/ 130، عبدالله أحمد الزيوت، أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (14)، عدد (3)، 2018م، 102 – 103.

50. ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر، 8/ 210.

51. سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، (6/ 3747).

52. أحمد بن فارس، معجم مقاييس، 6/ 34، الحسين بن محمد، المفردات، 833، محمد بن مكرم، لسان العرب 5/ 250 – 252، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، د. ط. ت) ، 14/ 396.

53. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 481، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ، 1/ 341.

54. ينظر: محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، 30/ 159.

55. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 29/ 269، بشيءٍ من التصرف.

المصادر والمراجع:

1. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422 ه)، مجلد4.

2. ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م)، مجلد4.

3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1973م).

4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م)، مجلد 2.

5. ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ)، مجلد 2.

6. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1379ه) ، مجلد9.

7. ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م)، مجلد 2، 9.

8. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (الدار التونسية، تونس، د. ط، 1984م) جزء 19، 29.

9. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ)، مجلد5.

10. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، د. ط. 1979م)، مجلد 1، 3، 6.

11. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ)، جزء 4، 5، 11، 14، 15.

12. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني الكليات، (مؤسسة الرسالة، بيروت).

13. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، مجلد6.

14. أبو جيب، سعدي، القاموس الفقهي، (دار الفكر، دمشق، ط1، 1988م).

15. أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، (دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2000م)، مجلد 1، 8.

16. أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، (دار الفكر العربي، د. ط. ت)، مجلد 10.

17. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، مجلد 15، 29.

18. الإمام الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، مجلد 9.

19. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م)، مجلد 8.

20. البِقاعيّ، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ط. ت)، مجلد8.

21. البِقاعيّ، إبراهيم بن عمر بن حسن، مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، (الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1987م) جزء3.

22. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ)، مجلد5.

23. الخازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ)، مجلد1، 4.

24. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، (جامعة طنطا، كلية الآداب، ط1، 1999م).

25. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، (دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1 ، 1412هـ).

26. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1990م)، جزء 4.

27. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، د. ط. ت)، مجلد14.

28. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط2، 1418هـ)، جزء 29.

29. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ)، مجلد4.

30. الزيوت، عبدالله أحمد، أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (14)، عدد (3)، 2018م.

31. السايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، 2002م).

32. السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م)، مجلد1، 2.

33. سيد قطب، إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، (بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ)، مجلد 6، 9.

34. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، (دار الفكر، بيروت، د. ط. ت)، مجلد8.

35. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، (دار الفكر، لبنان، ط1، 1996م)، مجلد1.

36. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت، دار الفكر، د. ط، 1995م)، مجلد8.

37. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ)، مجلد5.

38. عبد الحميد، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، بيروت، ط1، 2008م)، جزء2.

39. عطيه محمد سالم، تتمة أضواء البيان، (دار الفكر، بيروت، ط1، 1980م).

40. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت)، جزء 20.

41. الغزالي، محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: سام الجابي، (الجفان والجابي، قبرص، ط1، 1987م).

42. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة، د. ط. ت).

43. الفخر الرازي، محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م)، جزء30.

44. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ)، مجلد9.

45. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت)، مجلد9.

46. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (دار الدعوة، د. ت، ط.)/ مجلد1.

47. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، (دار نهضة مصر للطباعة، د. ط، 1998م) ، جزء 15.

48. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، (دار الشروق، القاهرة، ط14، 1993م).

49. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، (مصر، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي، ط1، 1946م)، جزء 29.

50. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م)، مجلد1.

تمكين الأسرة في المجتمع والنتائج المرجوة منه (بعض التجارب العالمية)

Family Empowerment in the Society and Its Desired Results: A Number of International Case Studies

نور حسين سلطان
طالبة دكتوراه/ جامعة حلب/ سورية

أ. د. محمد سمير أسعد دركزنلي
أستاذ دكتور/ جامعة حلب/ سورية

أ. د. أمل خليل كابوس
أستاذ دكتور/ جامعة حلب/ سورية

Ms. Nour Hussein Sultan
PhD. Student/ Aleppo University/ Syria
nourasultan29@gmail. com

Prof. Mohammad Samir Assad Darkazanli
Professor/ Aleppo University/ Syria
nourasultan29@gmail. com

Prof. Amal Khaleel Kabous
Professor/ Aleppo University/ Syria
nourasultan29@gmail. com

تاريخ الاستلام: 25/ 5/ 2019م، **تاريخ القبول:** 2/ 9/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

Received: 25/ 5/ 2019, **Accepted:** 2/ 9/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547512
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

ملخص:

هدف البحث إلى التعرف على أسباب اللجوء إلى تطبيق تمكين الأسرة. والتعرف على النتائج المرجوة من تطبيقه على أفراد الأسرة والمجتمع كافة، حيث وجدنا اختلافات واضحة بين قبل تطبيق التمكين وبعده. وتطرقنا إلى عرض بعض التجارب التطبيقية العالمية لتمكين الأسرة في مجتمعات تعرضت لظروف معينة كالحرب أو ثورات داخلية أو كوارث طبيعية كالفيضانات والزلازل. حيث تناولنا من خلال هذا البحث تجربة DEEP لتمكين الأسر المحرومة اقتصادياً في فلسطين، ومن ثم تعرفنا على تجربة تمكين الأسرة في مصر إبان ثورة 2011، وعرضنا تجربة بنغلادش للتمكين الأسري لمواجهة الفقر الناتج من الكوارث الطبيعية. وتعتبر تجارب مهمة يمكن الاستفادة منها في التمكين الأسري في سورية الذي نسعى لوضعه وتطبيقه بعد ما تعرضت له الأسرة خلال الأزمة السورية.

توصلنا بناءً على التجارب المدروسة إلى اقتراح رسم خطوات إجرائية لخطة عمل مهمة من أجل الوصول إلى إمكانية تطبيق تمكين الأسرة في سورية، يمكن أن يستفيد منها الباحثون والمهتمون في قضايا المجتمع وإعادة الإعمار في سورية.

الكلمات المفتاحية: التمكين، تمكين الأسرة، تجربة DEEP، نموذج الخروج من الفقر.

Abstract:

The purpose of this research is to identify the reasons for utilizing family empowerment, and identify the desired results of its application on the family and the society. The researchers found prominent differences before and after the implementation of empowerment. The study reviewed a number of international experiences of family empowerment in the societies that were exposed to certain conditions such as wars, revolutions, or natural disasters like floods and earthquakes.

The study shed the light on the DEEP experience to empower economically deprived families in Palestine. Also, it discussed the empowerment of the families in Egypt after the 2011 revolution and the Bangladesh's experience of family empowerment to limit poverty resulting from the natural disasters. The research attempts to apply these experiences to empower the families in Syria.

Based on the examined case studies, the research proposes procedures for an action plan to implement family empowerment in Syria. Researchers and those who are interested in community issues and the reconstruction of Syria can benefit from these steps and procedures.

***Keywords**: Empowerment, Family Empowerment, DEEP Experience, Out of Poverty Model.*

مقدمة:

اتسمت السنوات الأخيرة بتطورات وتحديات هائلة كان لها انعكاساتها على المجتمع. ولا شكّ أنّ الاهتمام بالعنصر البشري هو السبيل لمواجهة الظروف الصعبة، وذلك من خلال تمكينه. حيث يعتبر موضوع دراسة التمكين من الموضوعات الحديثة، والتي لم تحظ حتى الآن باهتمام الباحثين بالشكل الملائم. وعلى الرغم من تداول مفهوم التمكين للعاملين والمرأة والأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة في عدة دراسات عربية ودولية إلا أنّ أدبيات التمكين تنزع إلى وجهة نظر شاملة فيما يتعلق بالمفهوم وتعتبره ملائماً لجميع المنظمات والأفراد المكونة لها وفي مختلف الظروف (A. Mathews, 2003).

إنّ الخطوة الأساسية في تطبيق التمكين لأي منظمة بشكل فعلي، هي أن نفهم ما المقصود به، وكيفية تطور هذا المفهوم، والتعرف على بعض تجاربه التطبيقية.

بناءً على ما سبق، فإنّ البحث يتناول بالدراسة النقاط التالية:

- مفهوم التمكين بشكل عام، وأهميته وأسباب تطبيقه وأنواعه.
- النتائج المرجوة من تطبيق مفهوم التمكين وبرامجه.
- مفهوم تمكين الأسرة بشكل خاص، وأهميته في المجتمع، وأهم مجالات تطبيقه.
- بعض التجارب العالمية لتمكين الأسرة (فلسطين، مصر، بنغلادش).

حيث سيتم دراسة هذه النقاط بهدف محاولة الوصول للهدف الرئيسي للبحث وهو اقتراح خطة عمل لتمكين الأسرة السورية.

1. مشكلة البحث:

انعكست آثار الأزمة السورية التي مرت بها البلاد مؤخراً على الأسرة، فقد عانت الأسرة من ظهور مشكلات اقتصادية واجتماعية جديدة، ومنها ما كانت موجودة لكن تفاقمت جراء ظروف الأزمة والحرب، وتهدد هذه المشكلات تماسك الأسرة وقوة بنيانها. فلا بدّ من البحث عن سبل لتمكين الأسرة. وذلك من خلال عرض بعض التجارب في مجال تمكين الأسرة ومناقشتها والاستفادة من بعض إجراءاتها لرسم خطوط عريضة لخطة يمكن من خلالها تمكين الأسرة السورية.

انطلاقاً مما سبق، فقد تتبلور مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل التالي:

هل يمكن اقتراح خطة عمل لتمكين الأسرة السورية بعدما تعرضت له من أحداث خلال سنوات الأزمة، وذلك استناداً على التجارب العالمية المدروسة في هذا البحث في مجال تمكين الأسرة؟

2. أهمية البحث:

هناك شكوك حول واقعية تطبيق مفهوم التمكين، وصعوبة

تطبيقه، وعلى الرغم من هذه الشكوك فهنالك مؤسسات كبيرة وصغيرة بدأت تمارس هذا المفهوم، وتجد مردوداً إيجابياً ليس على المستويات المعنوية فحسب، بل على المستويات المادية [ملحم، 2009، 33]، وبالمقابل هنالك مؤسسات حاولت تطبيق المفهوم ولكنها فشلت، وأخرى لم تحاول بعد. هذه الجدلية على المستوى الأكاديمي والإداري، تعطي أهمية خاصة في تسليط الضوء على هذا المفهوم في هذا البحث، لمحاولة سبر أغواره بطريقة علمية.

قد يزيد من أهمية البحث ضرورة فهم ماهية التمكين للأسرة كمنظمة وعرض بعض التجارب الناجحة من أجل محاولة تطبيقها على الأسرة السورية لاحقاً لتفادي ما خلفته سنوات الأزمة عليها والحد من تفاقم المشكلات في الأسرة. إذ الفائدة المرجوة من هذا البحث هي وضع لبنة صغيرة في مجال التخطيط ورسم خطوط عريضة ارشادية لتمكين الأسرة السورية، والتي تصب في المحصلة التنموية الشاملة للمجتمع واستراتيجية إعادة الاعمار التي يسعى لها المجتمع السوري بعد الأزمة التي مرّ بها.

وعلاوةً على ذلك، تتجلى أهمية البحث بندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت أوضاع الأسرة في سورية وكيفية دعمها وتمكينها بعدما بدأت ذيول ظروف الأزمة السورية بالانتهاء.

3. أهداف البحث:

يهدف البحث بناءً على مشكلة البحث بشكل رئيسي إلى محاولة اقتراح خطة عمل لتمكين الأسرة السورية من خلال تمكين العنصر البشري بشكل أساسي، حيث يتفرع عن هذا الهدف للوصول للغاية المرجوة من هذا البحث الأهداف الفرعية التالية:

- تسليط الضوء على مفهوم التمكين بشكل عام، وأهمية التمكين وأنواعه، والأسباب التي أدت بالدول إلى تطبيق تمكين الأسرة في مجتمعاتها.
- التعرف على النتائج المرجوة من تطبيق مفهوم التمكين.
- التعرف على ما هو المقصود بمفهوم تمكين الأسرة بشكل خاص، وأهميته في المجتمع، وأهم مجالات تطبيقه.
- عرض ومناقشة بعض التجارب العالمية لتمكين الأسرة، كتجربة فلسطين ومصر وبنغلادش.

4. منهجية البحث:

اعتماد المنهج الوصفي، وذلك بالاعتماد على الدراسات المتوفرة والأبحاث والمقالات المتخصصة والكتب ومواقع الإنترنت. وذلك لتكوين إطار للبحث يظهر بوضوح ماهية التمكين بشكل عام، وتمكين الأسرة بشكل خاص، وكيفية تطبيقه في بعض الدول العالمية.

5. التطور التاريخي لمفهوم التمكين:

ترجع جذور مفهوم التمكين لأواخر الستينيات من القرن العشرين [Adams,2003,29]. ومنذ ذلك الحين استُخدم مفهوم التمكين بعدّة معانٍ ومجالات، كالاقتصاد، والمجال الاجتماعي والسياسي، وكذلك في التنمية. كما امتد مفهوم التمكين كمصطلح للتعبير عن عملية فردية يتحمل فيها الفرد المسؤولية على حياته ووضعه [الوادي، 2012، 30].

بدأ مفهوم التمكين يتبلور في أدبيات الإدارة وفي ممارسة بعض المؤسسات في البيئة الغربية في نهاية الثمانينيات، ولاقى شيوعاً ورواجاً في فترة التسعينيات من القرن العشرين[Jarczynska,2017,182]، وهكذا فالتمكين لم يظهر بشكلٍ مفاجئ، وإنما ظهر نتيجة عملية تراكمية وتطورية.

6. مفهوم التمكين:

سنتناول فيما يلي المقصود بالتمكين لغةً واصطلاحاً، وكيف تناوله خبراء الاجتماع والاقتصاد؟

6 – 1 مفهوم التمكين لغةً: نجد بالعودة إلى المعاجم أنّ الأصل اللغوي لكلمة تمكين هو مَكَنَ. ويعرّف التمكين حسب ما ورد في معجم محيط المحيط بمعنى جعل الفرد قادراً على فعل شيء معين[البستاني، 1997]. كما يشير قاموس Longman إلى التمكين Empowerment بمعنى إعطاء الشخص تحكماً أكثر في حياته [والي، 2010، 11].

وبذلك ترى الباحثة أنّ التمكين استُعمل بمعان متعددة متقاربة تحمل في طياتها معنى توكيد القدرة على الفعل أو السلوك.

6 – 2 مفهوم التمكين اصطلاحاً: تتعدد تعاريف التمكين اصطلاحاً وفقاً للمجال الذي يُستخدم فيه، واختلاف وجهات نظر الباحثين حسب المدارس الفكرية المنتمين إليها. ففي تقرير البنك الدولي أشير إلى التمكين بأنّه توسيع قدرات وإمكانات الأفراد في المشاركة والتأثير والتعامل [Wallerstein,2006,17]. كما عرّفه كل من Brown and Harvey بأنّه استراتيجية حديثة تهدف إلى إطلاق الطاقات الكامنة للأفراد في المنظمة، ومشاركتهم بتحديد الرؤية المستقبلية للمنظمة، وذلك لأن نجاح المنظمة يعتمد على كيفية تكامل حاجات أفرادها مع رؤية المنظمة وأهدافها [عريقات، 2011، 183].

كما حدّد المؤتمر الوطني الثاني لأهداف التنمية للألفية في سورية مفهوم التمكين بأنّه يقوم على امتلاك الفرد للقوة ليصبح عنصراً مشاركاً بفعالية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أي امتلاكه القدرة على إحداث تغيير في الآخر إن كان فرداً أو مجموعة أو مجتمعاً بأكمله [هيئة تخطيط الدولة، 2005].

إذن تستخلص الباحثة أنّ التمكين هو توسيع المسؤوليات المتعلقة بالمهام الحالية دون الحاجة لتغييرها، وتنمية قدرات الأفراد للقيام بأدوارهم وحل المشكلات من خلال مشاركتهم في اتخاذ القرارات مع دعم مهاراتهم بتوفير الموارد الكافية والمناخ الملائم وتأهيلهم مادياً ونفسياً وسلوكياً والثقة فيهم، ويكون التمكين بشكلٍ عام للمنظمات أو للأشخاص الذين لم يكن لديهم القدرة في السابق بسبب الظروف المحيطة أو الإنكار أو الفشل.

7. أهمية التمكين وأسباب اللجوء إليه:

إن تمكين منظمة أو فرد لا يمكن أن يتم دون الإيمان بأهمية هذا التمكين، ومعرفة أهم الأسباب التي تدفعنا للجوء إليه.

7 – 1 أهمية التمكين:

تكمن أهمية التمكين في كونه حجر الأساس لتنمية قدرة

العطاء والإبداع في الفرد تجاه ذاته والمنظمة التي ينتمي إليها وبالتالي تعود الفائدة للمجتمع كافةً، كما أنّه يعطي الإنسان الأقرب للمشكلة مسؤولية كاملة تجاهها لأنه أكثر الناس احتكاكاً بها وتأثيراً بمشكلته [ملحم، 2009]. فمثلاً عند ظهور مشكلة أسرية معينة فإنّ أفراد هذه الأسرة أكثر قدرة على تحليلها، وما علينا سوى تنمية بدائل لاجتيازها من خلال مشاركتهم ودعمهم.

كما تظهر أهمية التمكين في توفير فرصة تطوير مهارات الأفراد، فهو يعد طريقة جديدة لتغيير المنظمة والأفراد باتجاه مستقبل أكثر منافسة وأكثر تعقيداً من أي وقت مضى، كما أنه يجعل المنظمات أكثر مرونة وقدرة على التعلم والتكيف [علي، مطلك، 2012، 60].

7 – 2 أسباب اللجوء إلى التمكين:

إنّ تمكين الأفراد يؤدي إلى تحسين الأداء ورضا العاملين والتزامهم أكثر بما هو مطلوب منهم، وإدارة الأزمات بفعالية أكبر. وقد حُددت أهم أسباب اللجوء إلى التمكين كما يلي [أفندي، 2003، 41]:

- حاجة المنظمة إلى الاستجابة للظروف والمتغيرات الطارئة.
- عدم انشغال الإدارة بالأمور التقليدية وتركيزها على الأمور الاستراتيجية.
- أهمية الحد من التكاليف بجميع أنواعها، واتخاذ القرارات بالوقت المناسب.
- ضرورة الاستغلال الأمثل لجميع الموارد المتاحة، خاصة الموارد البشرية للحفاظ على المنظمة وتطورها وتماسكها.
- لتحقيق التنمية الشاملة لابدّ من التخلص من المشكلات التي تعيق تمكين الفرد، وبالتالي البحث عن استراتيجية تمكين تحقق مستوى معيشي أفضل.
- إطلاق قدرات الأفراد الإبداعية وتحفيزهم.

فيما سبق بيّنا أهمية التمكين للفرد والمنظمة، وتعرّفنا على أهمّ الأسباب المؤدية إلى تبني استراتيجية للتمكين. ولكن للتمكين أنواعٌ متعددة وذلك حسب الحاجة إليه كما سنرى في الفقرة التالية.

8. أنواع التمكين:

صُنّف التمكين من قبل بعض المختصين بعلم الإدارة في ثلاثة أنواع هي [Suomminen,2001]:

- التمكين الظاهري Virtual Empowerment: يشير إلى قدرة الفرد على إبداء رأيه وتوضيح وجهة نظره في الأعمال التي يقوم بها.
- التمكين السلوكي Behavioral Empowerment: يشير إلى قدرة الفرد على العمل في مجموعة من أجل حل المشكلات وتعريفها وتحديدها، وكذلك تجميع البيانات عن مشاكل العمل ومقترحات حلها.
- للتمكين المتعلق بالنتائج Empowerment on the Results: يشمل قدرة الفرد على تحديد أسباب المشكلات وحلها، وكذلك قدرته على إجراء التحسين والتغيير في طرق أداء العمل بالشكل الذي يؤدي إلى زيادة الفعالية.

مما سبق تستخلص الباحثة أنّ التمكين يؤثر بالفرد وينمّيه ذاتياً من خلال التمكين الظاهري، وبالتالي يستطيع الفرد أن يشارك بشكل فعلي وأن يحدث تغييراً في المجموعة التي ينتمي إليها من خلال التمكين السلوكي، وصولاً به إلى أن يكون قادراً على صياغة حلول للمشكلات نتيجة تمكينه المتعلق بالنتائج، وبالتالي صياغة القوانين وإدارة الأزمات التي تعترضه شخصياً، وبالتالي على نطاق الأسرة والمجتمع ككل.

9. أهم النتائج المرجوة من تطبيق التمكين:

أظهرت دراسة لكوفن دارجان وناتارجان ظهور آثار إيجابية وتطور في أداء الفرد الذي طُبقّت عليه استراتيجية التمكين إن كان عاملاً أو امرأةً أو منظمة بشكلٍ عام [Govendarajan,2007]، ولبيان هذه الآثار لا بّد من عرضٍ مقارنة بسيطة لمنظمات خضعت لاستراتيجية التمكين وإظهار الفروقات بين قبل وبعد التطبيق. مع التنويه إلى أنّه ورد في إحدى التعاريف سابقاً أنّ الأسرة هي منظمة، لذلك عند تناول مصطلح تمكين المنظمة نقصد به اصطلاحاً تمكين الأسرة.

الجدول رقم (1):

أهم نقاط المقارنة بين قبل وبعد تطبيق التمكين [Govendarajan,2007,161]

قبل التمكين	بعد التمكين
الخوف	التحدي والاختلاف
التعلم مسؤولية	التعلم مغامرة
الأفراد يقومون بمبادرات ضعيفة	الأفراد يحلون مشاكلهم بأنفسهم
التدريب والتطور ضئيل	التدريب والتطور مستمر
تجنب التغير	الترحيب بالتغير
التقييم يُرى على أنه نقد	التقييم يُرى على أنه ضرورة
التدريب والتطوير مسؤولية فردية	التدريب والتطوير مسؤولية كل فرد
تجنب المشاكل	حل المشاكل وابتكار البدائل المناسبة
نقص وضوح الرؤية	الرؤية مشتركة وقوية ومركزة
الاتصال المغلق	الاتصال المفتوح وتبادل الأفكار والمهارات
الشك	الثقة

إذن بعدما تعرّفنا على ماهية التمكين وأنواعه والنتائج المرجوة من تطبيقه بشكلٍ عام. علينا الخوض بشكلٍ أعمق في مفهوم تمكين الأسرة بشكلٍ خاص.

10. تمكين الأسرة في المجتمع:

أولت سورية اهتماماً كبيراً بقضايا الأسرة التي هي اللبنة الأساسية في بناء وتطوير المجتمع، وقد أصدر السيد الرئيس بشار الأسد القانون رقم/ 42/ لعام 2003 [www. ortas. gov.sy,2018] القاضي بإحداث الهيئة السورية لشؤون الأسرة. حيث من مهام هذه الهيئة تمكين الأسرة السورية للقيام بدورها في سبيل بناء الإنسان القادر على تنمية الوطن وتحقيق المشاركة الفاعلة للأسرة في عملية التنمية للمجتمع. وبيّنت السيدة أسماء الأسد أنّ تمكين الأسرة يحتاج إلى إعطاء القدر نفسه من التركيز والرعاية لجميع مكوناتها [الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان، 2018].

حيث تنص المادّة/ 44/ من الدستور السوري على أنّ الأسرة هي خليّة المجتمع الأساسية وتحميها الدّولة[السواح، 2013].

ولمعرفة ما المقصود بمصطلح تمكين الأسرة تمّ تناول عدّة دراسات ومراجع في هذا الموضوع تفيدنا بوضع الخطوط العريضة لهذا المصطلح.

11. مفهوم تمكين الأسرة:

يُنظر لمفهوم تمكين الأسرة على أنّه عملية يتم من خلالها وضع الأسرة في مستوى معيشي أفضل اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً، من خلال تقوية قدرة ودور كلّ فرد من أفراد الأسرة ليتمكن من المشاركة بفعالية في سائر المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية. ويرى بعض الباحثين أنّ غرس القيم الدينية الصحيحة والوسطية من العمليات الهامة الموجهة لسلوك الأفراد، حيث يرتبط بجميع ميادين الحياة ويتغلغل في نفوس الأفراد في شكل دوافع ومتطلبات [عبد الرزاق، حسن، 2012، 736].

أما ديفيد كاميرون David Cameron فقد عرّف تمكين الأسرة في عام 2011 بأنّه "دعم هذه العائلات للسيطرة على حياتها". وبيّن أنّ تمكين الأسر يحتاج إلى مزيد من التمحيص، حيث أنّ هناك طُرقًا لا تحصى للبحث في هذا المفهوم[Bond - Taylor,2015,3].

يُعرّف تمكين الأسرة حسب دورثي Dorothy على أنّه استراتيجية تزيد من قدرات الأفراد على التعامل مع العوائق، وتنّمي دورهم في تجزئة المشاكل إلى أجزاء يمكن حلّها بسرعة أكبر، وتزيد من قدراتهم على اتخاذ القرارات المجتمعية، وأيضاً القّرارات المتعلقة بحياتهم الخاصة [السكري، 2000، 360]

أما ما يُميّز مفهوم تمكين الأسرة كما جاء في رؤية عام 2030 لتمكين الأسرة السعودية هو تشجيع الأسرة على بناء ثقافة التخطيط بما يتناسب مع الإمكانات المتاحة لها، وبما يمكنها من توفير احتياجات أبنائها والعناية بهم[الغشيان، 2016]. حيث اقتُرن بناء ثقافة التمكين للأسرة بعبارة «بما يتناسب مع الإمكانات المتاحة لهذه الأسرة»، وفي هذا توجيه هادف يدفع الأسرة بالتفكير في المستقبل المقبل والتخطيط له بطموح متوازن يراعى فيه جوانب عديدة من أهمها الإمكانات المتاحة لها. فكثيرٌ من المشكلات الأسرية والخلافات تعود إلى الوضع الاقتصادي لتلك الأسرة والتي فرضتها الظروف المجتمعية الناتجة عن التغيّر السريع الذي يمرّ به المجتمع، ويؤثر في كل أجزائه بما فيهم الأسرة. حيث أنّ ارتفاع سقف عجز الأسرة عن إشباع رغبات أفرادها، يجعل كثيرًا من الأبناء يعيشون حالةً من الاكتئاب والشعور بالنقص وتدني تقدير الذات[الغشيان، 2016]. لذا سعوا لتمكين قدرة الأسرة.

أما مفهوم تمكين الأسرة كما جاء في وثيقة تمكين الأسرة المصرية فهو الإيمان بأهمية بناء الوعي لدى أفراد الأسرة، لكونه أول خطوة نحو الثورة على المفاهيم الخاطئة الشائعة بين الناس، والتي تستبد بحاضرهم وتفسد مستقبلهم. كما أنّ بناء القدرة المعرفية وامتلاك المعلومات الصحيحة والمعرفة الحقيقية بمشكلات الأسرة أمرٌ ضروري من أجل وضع البرامج والاستراتيجيات أولاً بأول لتحقيق وضع أفضل للأسر، ولا يمكن النهوض بالمرأة أو الطفل دون الرجل أو به دونهما، ودون التأسيس لواقع اجتماعي لتمكين الأسرة في ظل ثقافة مجتمعية وأسرية تحترم الإنسان [مدى للتنمية الإعلامية، المجلس القومي للسكان، 2013، 14].

وأشارت دراسة قُدّمت من قبل شركة كيب يورك إلى أهمية تمكين الأسرة بدلاً من التركيز على تنمية المجتمع، هذا المفهوم الذي كان متداولاً مع بداية القرن العشرين. وقد ركزت شركة كيب يورك York Partnerships Cape على أربعة مجالات أساسية لتمكين كلّ أسرة وهي: الدخل والتعليم والصحة والمسكن[Donna,2012]. وطرحت تساؤلاً عن كيفية دعم الأسر، وتوصلوا لابتكار مفهوم "منتجات الفرص"، مما يوفر مجموعة من الفرص التي تدعم الأسر فيما يتعلق بالمجالات الأربعة الأساسية، وذلك من خلال[– Bond Taylor,2015]:

- تأمين حوافز حقيقية مثل وظيفة، وفرصة امتلاك المنزل، والحصول على جودة تعليم عالية للأطفال.
- بناء القدرات من خلال نقل المعرفة والمهارات والمسؤوليات المضمنة.
- المحادثات الاستراتيجية التي تمكّن الأفراد والأسر لتخيّل مستقبلاً أكثر إشراقاً، والأدوات التي تمكّنهم من السيطرة على رحلتهم ودعمهم للوصول إلى هناك.
- تبادل الالتزامات المتوالية على الأفراد والأسر للمساهمة بأموالهم أو عملهم.

إذن من خلال ما سبق توصلت الباحثة إلى أن التمكين الأسري: هو تعزيز قدرة الأسرة ككيان واحد على تأمين وضع معيشي أفضل في مجالات الحياة كافة من خلال تحليل الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي لها، وإيجاد طرق مناسبة لتقويتها ضمن الإمكانات المتاحة في المجتمع المكوّن لهذه الأسرة. وزيادة القدرة على وضع استراتيجية للروتين اليومي للأسرة ومشاركة الأبناء في بنائه، مع مشاركتهم في وضع الميزانيات والخطط المستقبلية للأسرة وتشجيعهم على ممارسة التفكير المتوازن، وكأنّهم ينتمون لمنظمة. وذلك بهدف الحدّ من المشكلات والأزمات التي تعترض الأسرة والحفاظ على تماسكها وتوليد الطاقات فيها.

12. مجالات تمكين الأسرة ومؤشراتها:

استكمالاً لمفهوم تمكين الأسرة هناك عدد من المؤشرات يُستدل من خلالها على مستوى تمكين الأسرة في المجالات المختلفة كما سنرى فيما يلي.

- أولاً: مجال التمكين الاقتصادي: يتم تمكين أفراد الأسرة من التفكير إلى ما هو أبعد من البقاء اليومي والتأكيد على سيطرة أكبر على مواردهم وخيارات حياتهم، وخاصة القرارات المتعلقة بالاستثمارات في الصحة والسكن والتعليم من خلال تحسين المشاركة في النشاط الاقتصادي والترويج للعمل المنتج[Mokamane,2012,14]. كما أنّ هناك التمكين في مجال الإسكان يُستَدل عليه من نوع حيازة السكن، وحيازة الأدوات الكهربائية والمنزلية.

هناك مؤشرات اقتصادية لقياس التمكين كدخل الأسرة، ومدى كفاية هذا الدخل في الإنفاق على الأسرة، وفرص العمل المستقرة لأفراد الأسرة، وحيازة الأسرة للمشروعات الاقتصادية،

وفرصها في الحصول على تسهيلات ائتمانية [عامر، 2017].

- ثانياً: مجال التمكين الاجتماعي: يُعرف مستوى التمكين الاجتماعي للأسر في إطار رؤية الباحثين من خلال المشاركة المجتمعية لأفراد الأسرة في المشروعات التنموية وعضويتها في المنظمات الاجتماعية، ومدى المشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية، والحالة الصحية لأفراد الأسرة، والحالة الاجتماعية، والاستقرار الأسري وتماسكها.

كما تعد استراتيجيات التمكين النفسي للأسرة حيوية أيضًا في بناء ثقة الأسرة وقدرتها، ويجب أن نُعطي أهمية أساسية للرفاهية غير الملموسة[Bond - Taylor,2015,19]. والتي تتجلى بالعاطفة والصحة النفسية.

أما في المجال التعليمي فيُستَدل على مستوى التمكين الثقافي للأسرة بمستوى تعليم أفراد الأسرة، وانفتاحهم الثقافي، وطموحهم المهني، وتقبّلهم لما هو جديد[Mokamane,2012,15].

ثالثاً: مجال التمكين السياسي: يعرف من مدى مشاركة أفراد الأسرة في الانتخابات المختلفة، ودرجة مناقشاتهم فيما بينهم وبين الآخرين للقضايا السياسية وحضورهم اجتماعات أو ندوات سياسية، ودرجة متابعة الأخبار في وسائل الإعلام [عبد الرزاق، حسن، 2012، 730].

لكي يتمّ تمكين الأسرة في المجالات المختلفة سالفة الذكر فلابدّ من تكوين الأسرة أولاً في هذه المجالات بشكلٍ سليم قبل تمكينها.

نستخلص أنّه يوجد عدّة غايات لتمكين الأسرة حسب مجالات التمكين المذكورة، فقد يكون تمكين الأسرة للحدّ من الفقر أو العوز الغذائي، وقد يكون للوقاية من خطر فقدان الرعاية الصحية، أو تمكينها من أجل توفير الاحتياجات الأساسية والثانوية لها، وتوفير مستوى صحي وتعليمي أو للحدّ من العنف، أو لتمكين الأسر التي ترأسها الأم ويغيب الأب.

13. بعض التجارب التطبيقية لاستراتيجيات تمكين الأسرة في بعض الدول:

سيتمّ عرض تجربة فلسطين ومصر وبنغلادش في مجال تمكين الأسرة فيما يلي.

13 – 1 تمكين الأسرة في فلسطين DEEP: يعدّ برنامج ككين الأسر المحرومة اقتصادياً Deprived Families Economic Empowerment Program (DEEP)من أهم المشاريع التي تمّ تصميمها لمعالجة أوضاع الأسر الفقيرة، والتي تعاني من حرمان الكثير من الحاجات الأساسية لها في فلسطين، وتحويلها إلى أسرٍ منتجة ومعتمدة على ذاتها اقتصادياً. فضلاً عن دوره في تحسين الأوضاع الاجتماعية للفلسطينيين.

- أولاً: مفهوم برنامج DEEP: هو برنامج تمكين العائلات المحرومة اقتصادياً. وهو عبارة عن مشروع استطلاعي مدته 30 شهراً، ونظراً لأنّ هذا البرنامج موجه لإنقاذ حوالي 12000 أسرة تعاني من الفقر في فلسطين [الثلاثيني، 2013، 49]. فقد حُظي بالاهتمام الكبير من البنك الإسلامي للتنمية، وقد بادر إلى دعمه وتمويله تحت إشراف وتنفيذ برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP والسلطة الوطنية الفلسطينية [باحثون في دائرة الدراسات والاحصاء، 2011، 2].

- ثانياً: الهدف العام من برنامج تمكين الأسر الفلسطينية DEEP: إنّ هدف هذا البرنامج هو مكافحة الفقر في الأسر الفلسطينية من خلال توفير القدرة على الوصول إلى أنشطة شبكة الأمان الاجتماعي التعزيزية والخدمات المالية، أما الغاية التي يسعى لتحقيقها فهي: العمل على تمكين الأسر الفلسطينية التي تعاني من فقرٍ مزمن وصعوباتٍ اجتماعية، وتعزيز قدرة الأسر على الصمود أمام النزاعات الحاصلة. ومساعدتها على الخروج من حالة الاعتمادية الاقتصادية، وذلك من خلال تنمية رأس المال البشري والطبيعي والمالي [باحثون في دائرة الدراسات والإحصاء، 2011، 2].

- ثالثاً: مخرجات برنامج تمكين الأسر DEEP: لضمان التقدم باتجاه الغاية من البرنامج، سيتم تحقيق مخرجات المشروع التالية التي تركّز على مكوناته الأربعة [الثلاثيني، 2013، 51]:

– الوصول إلى أنشطة شبكة الأمان الاجتماعي التعزيزية: أي الوصول إلى الأسر التي لا يمكّنها الفقر من الاستفادة من برامج الإقراض الصغير التقليدية، والتي لديها رأس المال البشري فقط. وذلك من خلال مؤسسات أهلية محلية وسيطة، تقدّم لها أنشطة شبكة الأمان الاجتماعي التعزيز الذي يلبّي احتياجاتها، عن طريق زيارة الأسرة وتصميم الحرف المدرّة للدخل.

– الوصول إلى التمويل الصغير: أي تمكين الأسر الفقيرة المبادرة لإدارة مشاريع خاصة بها من الوصول إلى خدمات مالية عن طريق مؤسسات وبرامج الإقراض الصغير.

– بناء القدرات المؤسسية لدى الشركاء: أي تمتين قدرة المؤسسات الأهلية ومؤسسات الإقراض الصغير معاً من الوصول إلى الأسر وتلبية احتياجاتها.

– استمرار مكتب وحدة إدارة المشروع: إنّ الهدف من وجود مؤسّسة محلية مستدامة هو الاستمرار في مواصلة خدمة الأسر الفقيرة. إذ تعد ذات أهمية حيوية في ظل الظروف الحالية في فلسطين ليصل إلى أبعد بكثير من عدد الأسر التي يستهدفها هذا المشروع.

- رابعاً: نتائج برنامج تمكين الأسرة DEEP: إنّ أهم النتائج المرجوة من هذا المشروع هو اعتماد استراتيجيات سبل عيش إيجابية مستدامة. والحدّ من لجوء الأسر إلى استراتيجيات تأقلم سلبية لما لها من ضرر على المدى البعيد على الأسرة والمجتمع [باحثون في دائرة الدراسات والإحصاء، 2011، 4].

من استراتيجيات سبل العيش الإيجابية هي المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية كمحل بقالة وتربية المواشي والحرف والأعمال الإنشائية، أما الاستراتيجيات السلبية فهي الاستهلاك بالدين وبيع الأصول والاعتماد على المساعدات والإعانات.

كما أنّ من النتائج المرجوة من البرنامج أيضاً هي المحافظة على المؤسّسة الجديدة (مكتب إدارة المشروع) ويتحول إلى هيئة مستقلة مستدامة وقادرة على البقاء [الثلاثيني، 2013].

- خامساً: منهجية عمل برنامج DEEP: تمّ تصميم برنامج

التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية وفقاً لمنهجية دراسة واقع الأسر. وذلك من خلال تحليل قدرات وموارد الأسر، وهي [باحثون في دائرة الدراسات والإحصاء، 2011، 6]:

- الموارد البشرية: تعني معرفة قدرة الأفراد ومستوى تعليمهم ومهارتهم وتوجهاتهم.

- الموارد الاجتماعية: تعني علاقات الأسر بأفراد ومؤسسات أخرى، ومدى إمكانية الاعتماد على هذه العلاقات في تطوير استراتيجيات تّمكنها من تحسين معيشتها

- الموارد الطبيعية: تعني مدى توفر الأراضي والموارد المائية والثروات الطبيعية.

- الموارد الفيزيائية/ المادية: تعني المباني والآلات والمعدات.

- الموارد المالية للأسر.

تأخذ هذه المنهجية بعين الاعتبار أيضاً المحددات التي تقيّد الأسر. مثل الظروف الموسمية والنزاعات والحروب، وسبل العيش التي تعتمد على مواسم معينة كالزراعة والسياحة.

- سادساً: آليات عمل برنامج DEEP: تساعد منهجية سبل العيش المستدام المؤسسات التنموية على تحديد التدخلات اللازمة للتعامل مع الأسر الفقيرة. حيث تعمل هذه المؤسسات بثلاثة أنماط: فقد يتم بشكل مباشر التعامل مع الأسر الفقيرة، أو قد يستوجب العمل مع المؤسسات الرسمية كوسيط، ومنها يحتاج لمؤسسات أهلية [باحثون في دائرة الدراسات والإحصاء، 2011].

وبذلك تكون آليات عمل البرنامج كما يلي [عقل، الأغا، 2015، 47]:

- بناء موارد الأسرة وتصميم استراتيجيات سبل عيش إيجابية: حيث تعمل هذه المؤسسات على تنمية هذه الموارد من خلال الاستثمار الإيجابي لدى الأسر الفقيرة، كتحسين الدخل والأمن الغذائي والوضع الصحي [الثلاثيني، 2013، 52].

- الحدّ من أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية المؤثرة على الأسرة: يسعى البرنامج إلى تقليل أثر العوامل التي تُخفّض من قدرة الأسر.

- خلق سياسات وإجراءات تسهم في سبل عيش مستدام: تتدخل المؤسسات في مجال صياغة سياسات تتناسب مع احتياجات الأسر الفقيرة عن طريق تنفيذ حملات مؤازرة لمثل هذه السياسات مع المؤسسات الحكومية لاتخاذ تشريعات وقوانين تساعد في دعم المستوى المعيشي، كما تسهم في زيادة الوعي تجاهها.

تقوم إدارة برنامج التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية DEEP بمهام ضبط جودة البرنامج أثناء تنفيذه وتصحيح الخطوات الإجرائية المتخذة في المشاريع السابقة. حيث تعمل زيارات ميدانية وعشوائية للأسر المشاركة فيه، للتأكد من مدى ملاءمة الإجراءات المنفذة لاحتياجات الأسر من جهة ورصد الأثر عليها من جهة أخرى. وذلك بهدف نمذجة القصص الناجحة، وأخذ العبر من الحالات غير الناجحة.

- سابعاً: مناقشة برنامج التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية، وكيفية الاستفادة منه:

تمّ عمل دراسة قُدّمت من قبل نوال عقل ومروان الأغا عن تقييم برنامج ديب في قطاع غزة لمعرفة مدى تحقيقه للأهداف المرجوة منه وهل استفادت الأسر المشمولة بالبرنامج من تطبيقه، وقد كانت درجة التقييم لسياق البرنامج ومدخلاته وفاعلية هذا البرنامج ونتائجه المُلاحَظة في المجتمع عالية جداً، بينما كانت عملية تنفيذ البرنامج وقابلية نقل نجاح البرنامج درجتها متوسطة [عقل، الأغا، 2015، 108].

أظهرت نتائج دراسة أخرى قدّمها النمروطي وآخرون عن فاعلية البرنامج في تمكين الأسر اقتصادياً أن برنامج ديب يعتبر مصدر الدخل الرئيسي للعديد من الأسر والتي حققت ارتفاعاً في دخلها، حيث تحسن إنفاقها على حاجاتهم الأساسية وازداد عدد العاملين فيها. كما شعروا بأنهم أكثر استقلالية بعد المشروع وباستطاعتهم دعم أنفسهم من دخلهم وقلّت نسبة الاعتماد على المساعدات والإغاثة[النمروطي، 257، 2014].

في ضوء ما سبق، ترى الباحثة ضرورة الاستفادة والاستناد إلى آلية تجربة برنامج التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية، من قِبَل كلّ دولة تسعى لتحسين المستوى المعيشي لأسرها، حيث شارك فَي تخطيط وتنفيذ هذا البرنامج السلطة والبنك الإسلامي والأمم المتحدة، وشمل أيضاً المؤسسات الأهلية والتنموية كوسيط. مما جعله برنامجاً شاملاً.

في سبيل التخطيط لرسم خطة عمل لتمكين الأسرة السورية، علينا الاستفادة من منهجية هذا البرنامج باختيار بعض الإجراءات من آلية عمله بما يناسب المجتمع السوري، وستركز الباحثة انطلاقاً من العرض السابق للبرنامج على اختيار طريقة التمكين المناسبة لكل رأس مال تملكه الأسرة إن كان رأس مال بشريا فقط أو ماديا صغيرا أو الاثنين معاً، واستثماره في تصميم الحرف المدرة للدخل والاستراتيجيات الإيجابية بعيداً عن الاقتراض وبيع الأصول والاعتماد على المساعدات. كما أنه يمكن الاستفادة أيضاً من هذه التجربة في ضرورة وضع خطة مشتركة ونشطة بين القطاعين العام والخاص والجمعيات المحلية والمنظمات الدولية، تؤسس لثقافة إعادة الإعمار وتساعد على تفعيل تجربة تمكين الأسرة السورية، من خلال اتخاذ القرارات الداعمة لذلك وعمل المهام الميسرة لإجراءات الخطة المقترحة لاحقاً.

13 – 2 تمكين الأسرة في مصر: بدأ مشروع تمكين الأسرة المصرية إبّان ثورة 25 كانون الثاني 2011، والتي تعتبر حدثاً هاماً في تاريخ مصر الحديث، مما يستدعي استكمال هذا الحدث بصياغة ثقافة مصرية حديثة تتمثل بتمكين الأسرة التي هي حجر الأساس في بناء العنصر البشري وتنميته.

فالأسرة المصرية لم تكن في يوم من الأيام بمعزلٍ عن التغيرات السياسية والاجتماعية الكبرى الّتي حدثت في مصرٍ، بل كانت دائماً تؤثر عليها وتتأثر بها [مدى للتنمية الإعلامية، المجلس القومي للسكان، 2013، 3]، مما أدى إلى التفكير بصياغة وثيقة تمكين للأسرة المصرية.

- أولاً: ماهية وثيقة تمكين الأسرة المصرية: قام البرنامج القومي لتمكين الأسرة بالمجلس القومي للسكان ومؤسسة مدى

للتنمية الإعلامية بوضع المسودة الأولى لهذه الوثيقة، وتمّ تبادل الرأي حولها مع مجموعة من أعضاء مؤسسات المجتمع المدني، والخبراء في التنمية الاجتماعية، ونخبة من أساتذة الجامعات، وعدد من رجال الدين الإسلامي والمسيحي، وممثلين عن الأحزاب السياسية [مدى للتنمية الإعلامية، المجلس القومي للسكان، 2013، 2]، وذلك من خلال عقد ورش عمل إلى أن أُنتجت الوثيقة في صورتها النهائية.

تؤمن وثيقة تمكين الأسرة المصرية بأهمية بناء الوعي لدى أفراد الأسرة، لكونه أول خطوة نحو الثورة على المفاهيم الخاطئة الشائعة بين الناس، والتي تستبد بحاضرهم وتفسد مستقبلهم. وإنّ امتلاك المعرفة الحقيقية بمشكلات الأسرة أمرٌ ضروري من أجل وضع البرامج والاستراتيجيات أولاً بأول لتحقيق أفضل تمكين للمصريين جميعاً [مدى للتنمية الإعلامية، المجلس القومي للسكان، 2013، 2].

كما تعتبر هذه الوثيقة خطوة حتمية في إطار ضرورة التأكيد على كيفية التعامل مع قضايا الأسرة وعدم اختزالها في فردٍ دون غيره، فلا يمكن النهوض بالمرأة أو الطفل دون الرجل أو به دونهما، لتمكين الأسرة المصرية في ظل ثقافة مجتمعية وأسرية تحترم حقوق الإنسان.

- ثانياً: أهم المشكلات الاجتماعية: واجهت الأسرة المصرية بعض المشكلات التي جعلت الباحثين يفكرون بتمكين الأسرة بعد الثورة المصرية، وأهمها [مدى للتنمية الإعلامية، المجلس القومي للسكان، 2013، 7]:

- تغيّر بنية الأسرة الأبوية والأدوار النمطية بداخلها.

- تراجع قدرة الأسرة على الالتزام بمسؤولياتها في الرعاية والحماية تجاه أعضائها الأكثر ضعفاً من الأطفال والمسنين.

- تفاقم مشكلات ذات آثارٍ اجتماعية خطيرة مثل: الأمية، وعمالة الأطفال، والفقر.

- الاختلافات العميقة في التنشئة الاجتماعية بين الأسر المصرية.

- غياب دور الأب في الأسرة: يغيب دور الأب بشكلٍ فعلي أو مجازي.

- التمييز المعنوي والمادي ضد المرأة المصرية.

- ثالثاً: الإطار العام لوثيقة تمكين الأسرة المصرية: تقوم وثيقة التمكين الأسري المصري على المبادئ الأساسية التالية [مدى للتنمية الإعلامية، المجلس القومي للسكان، 2013، 10]:

- دعم الثقافة الدينية والمجتمعية والقانونية التي تؤمن بأنّ الزواج هو شركة حياة يتقاسمها الرجل والمرأة، وهو قائم على المودة والاحترام المتبادل لحقوق الزوجين. والتأكيد على أنّ الأسرة هي مؤسسة ليست ذات طبيعة مهيمنة، وإشاعة الفهم الصحيح للقوامة، ودعمه بسلوك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في بيته.

- التزام الدولة والمجتمع المدني والقطاع الخاص بتمكين الأسرة المصرية ومساندتها لأداء وظائفها بكفاءة ورفع عبء الفقر عنها من خلال سياسات اجتماعية واقتصادية مستدامة، قائمة على حقوق الأسرة وليس على المعونات التي لا تحقق التنمية المستدامة للأسرة، وتجعلها أكثر اتكالية.

- تحقيق المواطنة الاجتماعية من خلال توفير الفرص المتساوية لسائر الأسر المصرية.

- دعم مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية والمدنية والأهلية لإجراء حوار مجتمعي يسعى للتوافق حول قيم المجتمع المصري، بما في ذلك احترام التنوع الديني والثقافي في مصر، ودعم ثقافة الأسرة.

- التزام الدولة والمجتمع المدني بدعم الدور الحيوي الذي تؤديه المرأة والرجل على السواء في الحياة الأسرية والاقتصادية والسياسية.

- التزام الدولة والمجتمع المدني بدعم قدرات المرأة المصرية وتطوير إمكانياتها في مجال التعليم والصحة الإنجابية والعمل والمشاركة السياسية، وذلك من خلال منظومة متكاملة من التشريعات العامة.

- التزام الدولة والمجتمع المدني بحماية الطفل.

- الالتزام بالزواج الموثّق بشكلٍ قانوني وشرعي، ووقف أنواع الزواج المستجدة على المجتمع المصري.

- تمكين الفئات المستضعفة داخل الأسرة، وهي الفئات الأكثر احتياجا للرعاية والدعم.

- إقرار استراتيجيات وطنية للتعامل مع المشكلات التي تواجهها الأسرة والمجتمع، ووضع برامج عملية للحد منها.

- رابعاً: مناقشة وثيقة تمكين الأسرة المصرية:

ترى الباحثة من خلال عرض برنامج تمكين الأسرة المصرية، بأنّه كان برنامجاً متكاملاً شاملاً لتمكين الأسرة بكلّ أبعاد التمكين الاجتماعي والاقتصادي والقانوني والنفسي. إذ إن الهدف العام له هو خلق وعي اجتماعي جديد عن قضايا الأسرة مع إعطاء عناية خاصة للأسر الأكثر فقراً، كما أنّه قد شمل كلّ أفراد الأسرة، واعتبر تمكين الأسرة ككلّ هو تمكين لكلّ فردٍ فيها بشكلٍ متكامل مع بقية أفراد الأسرة. وركّز على ضرورة مشاركة الدولة والمجتمع والمؤسسات مع الأسرة لكي يتمّ تنمية الأسرة وتقوية قدراتها بشكلٍ فعّال. ونلاحظ أيضاً أنّه ركّز على بعض المشكلات الاجتماعية غير الموجودة بالمجتمع السوري كختان الإناث وإهمال كبار السن مثلاً.

لذا سيتم الاستفادة من النقاط التي تهمّ المجتمع السوري فقط عند صياغة خطة عمل لتمكين الأسرة السورية. حيث سيتم الاعتماد على نقطة الانطلاق في الخطة كما تمّ في التجربة المصرية، وذلك من خلال تحليل احتياجات الأسرة ومشكلاتها والتحديات التي واجهتها خلال سنوات الأزمة السورية، والتأكيد على بناء الوعي لدى أفراد الأسرة. والتعامل مع وضع تمكين الأسرة ككل وعدم اختزال دور فرد فيها دون غيره، وكيفية التكيف أيضاً مع البيئة التي تحيط الأسرة.

13 – 3 تمكين الأسرة في بنغلادش: تشهد بنغلادش العديد من المشكلات الطبيعية بسبب موقعها الجغرافي والأمطار الغزيرة التي تسبب غرق العديد من القرى الزراعية.

أصبحت بنغلاديش المصنّفة في وقتٍ مضى من بين أفقر دول العالم والأكثر كثافة سكانية [Ministry of France,2013,39]، مثالاً لقصة نجاح اقتصادي كبيرة. حيث قلّت نسبة الفقر إلى درجة كبيرة في العشرين عاماً الأخيرة، نتيجة اتباعها برنامجاً لتمكين لاأسر[Anu,2015]، والذي تبنته منظمة BRAC (Bangladesh Rural Advancement Committee)، وتمّ التوسع في تطبيقه خارج بنغلادش[www. brac. net,2018]. فما هو برنامج نموذج الخروج من الفقر؟

■ أولاً: نموذج الخروج من الفقر: هو نهج شامل لإخراج الأسر من الفقر المدقع في فترة زمنية محددة، وذلك من خلال تنفيذ إجراءات التدخل المناسبة وفق مراحل. قام به المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء CGAP بالتعاون مع مؤسسة فورد. وقد نشأ عام 2006. حيث تمّ استهداف فيما بعد ثمانية دول تختلف في بيئتها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وهي أثيوبيا وهايتي وهندراوس والهند وباكستان وبيرو وغانا واليمن[Hashemi,Montesquiou,2011,2]. وقد كان البرنامج مبنيا على خمس مراحل تتمثل في [Hashemi,Montesquiou,2011,4]:

- المرحلة الأولى: الاستهداف Targeting: يتم الاختيار المستهدف للأسر الأشد فقراً واستبعاد الأسر الأفضل حالاً.

- المرحلة الثانية: دعم الاستهلاك Consumption support وتوفير الأمان الغذائي: يُقصد بدعم الاستهلاك للأسر سواءً دعماً نقدياً أو دعماً مباشراً كالغذاء، وذلك لخلق الطمأنينة في نفوس الأسر، ويستمر هذا الدعم إلى أن تبدأ الأسر المشاركة فيه باكتساب دخلها من الأصول المنتجة التي يتلقونها في إطار البرنامج.

يختلف دعم الاستهلاك من حيث شكله ومعدل تكراره ومدة تقديمه، فمثلاً يتلقى المزارعون دعماً أطول مقارنةً بذوي المتاجر الصغيرة، وتوفر المساعدات الغذائية المباشرة الحماية من أثر التضخم ولاسيما في أوقات تقلّب أسعار السلع الغذائية. ومع ذلك يُفضّل المشاركون غالباً الدعم النقدي[Anu,2015].

- لملمرحلة الثالثة: تشجيع المشاركين على الادخار Savings: تمثّل هذه المرحلة جوهر نموذج الخروج من الفقر، فهي تساعد الأسر الفقيرة على إدارة المخاطر وبناء مرونة التكيّف والحدّ من بيع الأصول عند مواجهة الأزمات. حيث تقوم بعض مؤسسات التمويل الأصغر بتلقي إيداعات الأسر المشاركة ووضعها في حسابات شخصية، ووضع خطة مدخرات شخصية لهم.

- المرحلة الرابعة: نقل الأصول وتمويلها Asset transfer: يعدّ تمويل الأصول من أجل مساعدة الأسر المشاركة في البرنامج على البدء في أنشطة اقتصادية مستدامة من أهم مراحل نموذج الخروج من الفقر. حيث يتم مناقشة قائمة خيارات سبل كسب العيش والأصول مع الأسر لتحديد النشاط المناسب بناءً على اهتمامات أفراد الأسرة وما يتمتعون به من مهارات وحرف وخبرة. ولا بدّ من أخذ الوقت والتجهيزات اللازمة لكلّ أصل من الأصول. فبعض النشاطات تحتاج إلى استثمارات مقدماً كبناء صناديق لخلايا النحل لإنتاج العسل، أو حظائر للماعز. وتتطلب نشاطات أخرى إدارة مكثفة، فتربية الدواجن تتسم بصعوبتها إذ إنها معرّضة للإصابة بالأمراض ومخاطر ظروف الطقس، وتربية الأبقار رغم أنّها لا تحتاج رعاية كبيرة إلا أنّها تتطلب مساحات كبيرة.

ولتخفيف المخاطر قام البرنامج بتشجيع الأسر المشاركة على المزج بين المشاريع ذات أصول قصيرة وأخرى بعيدة المدى.

- المرحلة الخامسة: تدريب الأسر المشاركة على المهارات الإدارية، والتوجيه والمتابعة المستمرة لهم Training on Skills and regular coaching: يشكّل التدريب على اكتساب المهارات من المراحل المهمة في هذا النموذج. حيث يقوم الموظفون بإجراء زيارات أسبوعية للأسر المشاركة وعمل جلسات توعية صحية واجتماعية، يتم من خلالها رصد التقدم الحاصل وحل المشكلات، وتقديم تدريب غير رسمي طول فترة البرنامج. مع تقديم المشورة والدعم الاجتماعي وتعزيز الرعاية الصحية والتغذية وتشجيع التغييرات السلوكية الإيجابية.

■ ثانياً: مناقشة نموذج الخروج من الفقر لتمكين الأسرة البنغلادشية، وكيفية الاستفادة منها:

أجريت دراسة في بنغلادش عن مدى فعالية هذا البرنامج الذي تمّ التعرّف عليه أعلاه، بعدما تمّ تطبيقه. وتمّ مقارنة نتائج مجموعتين: الأولى خضعت للبرنامج والثانية لم تخضع. وكان من نتائج هذه الدراسة أنّ نسبة الأمان الغذائي زادت بمقدار النصف، كما زادت كمية الأصول التي يمتلكها المشاركون، كما أنّ النساء زادت ثقتهن بأنفسهن وقدرتهن على رعاية أطفالهن وتوفير احتياجاتهم الأساسية. إلا أنّه طُبّق في أماكن فقيرة اقتصادياً والأسواق المحلية محدودة. مما قلل من فرص تسويق منتجات المشاركين. لذلك أوصت الدراسة بضرورة تدخل القطاع العام والخاص لخلق أسواق جديدة، كما أوصت بضرورة وجود البنى التحتية الخاصة بالصحة والتعليم، حتى يتم تجنب بيع الأصول التي امتلكتها الأسر والمدخرات والعودة لدائرة الفقر من جديد [Hashemi,Montesquiou,2011,9].

ترى الباحثة من خلال تجربة نموذج الخروج من الفقر، أنّها تجربة أخرجت العديد من الدول من فقرها، وذلك من خلال التعاون ما بين المنظمات الحكومية والشركات الخاصة، وفرض قرارات على المنظمات غير الحكومية للمساعدة في نجاح هذا البرنامج. لكن يؤخذ عليه أول مرحلة من مراحل تنفيذ البرنامج، فقد يستهدف أسراً معينة فقط، وهذا قد يؤدي إلى استمرار مشكلة الفقر في أسرٍ أخرى، وقد يؤدي أيضاً إذا لم تلتزم الأسر المشاركة بالبرنامج من زيادة فقرها، والنقطة الأخرى هي اعتماده على التحويلات النقدية، حيث لا يعتبر أمراً إيجابياً للتنمية المستدامة التي نرغب.

في سبيل التخطيط لوضع خطة عمل من أجل تمكين الأسرة السورية، فقد نستفيد من هذه التجربة في النقاط التالية:

- إن مراحل هذا النموذج هامة وقد يكون أهمها برأي الباحثة مرحلة تشجيع الأسر المشاركة على الادخار مهما كان بسيطاً وجعل مؤسسة ما تتلقى إيداعات الأسر وتقوم بوضع خطة مدخرات شخصية تناسب كل أسرة.

- ضرورة الدمج بين مشاريع صغيرة ومشاريع بعيدة الأمد.

- عمل هيئة لمناقشة الأسر في تحديد النشاطات المناسبة لاهتمامات أفراد الأسرة بحيث يتم إنجازها بفعالية أكبر. والهدف الآخر من هذه الهيئة هو متابعة هذه الأسر فيما بعد وليس آنياً فقط.

- عمل زيارات ميدانية وورشات عمل لتأهيل الأسر وتدريبهم إدارياً ودعمهم معنوياً.

14. مقترح خطة عمل لتمكين الأسرة السورية:

في ضوء ما سبق من تحديد مفهوم تمكين الأسرة، والتعرف على النتائج المرجوة من تطبيقه في المجتمع، واستناداً على المناقشة للتجارب العالمية التي تمّ تناولها في البحث، فقد وجدنا أن التجارب المدروسة تشترك بالغاية العامة منها، ألا وهي تخفيف حدة المشكلات التي تواجهها الأسرة ولاسيما مشكلة الفقر، وذلك عن طريق زيادة الوعي الأسري وخلق فرص عمل لأفرادها وضرورة مشاركة أكثر من جهة لنجاح البرنامج. ولكن تختلف هذه التجارب بآلية تنفيذها ومراحلها واختيار طرق توفير فرص العمل للأسر، وذلك بحسب امكانيات كل مجتمع. وبشكلٍ عام لكلّ تجربة نقاط قوة علينا استثمارها ونقاط ضعف سنحاول تجنبها عند اقتراح خطة لتمكين الأسرة السورية في الفقرة الحالية.

إذن تقترح الباحثة رسم خطوات إجرائية لخطة عمل مهمة من أجل الوصول إلى إمكانية تطبيق تمكين الأسرة في سورية بناءً على التجارب المدروسة في هذا البحث، **وفق ما يلي**:

- حصر المشكلات التي واجهت الأسرة السورية، والعمل على طرح الأفكار الإبداعية لحلّ هذه المشكلات لدعم الأسرة وتحقيق التمكين لها.

- رسم سياسات لتمكين الأسرة السورية استناداً لبعض التجارب التطبيقية الناجحة التي تم تطبيقها في دول أخرى، والأخذ بعين الاعتبار النقاط التي تناسب المجتمع السوري، وبالتالي خلق أسرة متمكنة اقتصادياً واجتماعياً.

- الاعتماد على تدريب الأفراد على الحرف والمهن التي تناسب اهتمامات أفراد الأسرة، والاستثمار في مشاريع متناهية الصغر وتطويرها تدريجياً بهدف تمكين الأسر اقتصادياً.

- تشجيع الأسر على الادخار مهما كان بسيطاً.

- محاولة دمج مهن الأسرة بين مشاريع صغيرة الأمد وطويلة الأمد.

- أهمية بناء الوعي لدى أفراد الأسرة، والعمل على تمكين الأسرة السورية ككل، وعدم اختزال دور فرد دون غيره فيها.

- وضع استراتيجية مشتركة قوية ونشطة بين القطاعين العام والخاص والجمعيات المحلية والمنظمات الدولية، تؤسس لثقافة إعادة الإعمار وتدعم برنامج تمكين الأسرة السورية.

هذا المقترح لخطة عمل مهمة توصلت لها الباحثة استناداً إلى التجارب العالمية المدروسة في هذا البحث وقراءات عديدة في هذا المجال، حيث يمكن أن يستفيد منها الباحثون والمهتمون في قضايا المجتمع وإعادة الإعمار في سورية.

15. الخاتمة والمناقشة:

تمّ التعرّف على مفهوم التمكين، وقد وجدنا على الرغم من شيوع التمكين مصطلحاً ومنهجاً، إلا أنّه وبالأخص مصطلح تمكين الأسرة بقي عصياً على الوضوح إلى وقتنا الحاضر، حيث لايزال هذا المفهوم حديثاً، ولكلّ من هؤلاء الخبراء وجهة نظره. وصولاً إلى وضع تعريف لتمكين الأسرة في المجتمع كمصطلح يهمّنا في متن هذه الدراسة. ومن ثم تمّ التعرف على الأسباب التي تدفعنا لتطبيق تمكين الأسرة.

ووجدنا أن التمكين إن كان لفرد أو منظمة كالأسرة ضروري جداً، وله أثر واضح على تقوية ودعم وزيادة فعالية الأفراد والمنظمات في المجتمع. وذلك حسب ما وجدنا في دراسة تطبيقية أجريت لمنظمات قبل وبعد تطبيقه.

ثم تمّ عرض بعض التجارب العالمية الهامة (فلسطين – مصر – بنغلادش)، التي طبّقت التمكين في الأسرة. وتمّ تحليل هذه التجارب الثلاثة المدروسة واستنتاج الإجراءات التي يمكن أن نستفيد منها فيما إذا رغبنا في وضع خطة لتمكين الأسرة السورية، فعلى المنظمة التي ترغب بتطبيق التمكين أن تكون راغبة ومدركة لأهميته وتشجع الأفراد على عدم الخوف من الفشل والمبادرة المستمرة. إذ إن التمكين ليس حلاً مؤقتاً ولا سريع الأثر ولكنه برنامج تغيير تسبقه برامج متعددة لتهيئة المناخ المناسب لتطبيق هذه الرؤية وفق نماذج محددة.

وأخيراً، قمنا باقتراح خطوط عريضة لخطة عمل لتمكين الأسرة السورية، يمكن أن يستفيد منها الباحثون في قضايا الأسرة والمجتمع وإعادة الإعمار في سورية.

توصي الباحثة بضرورة إجراء دورات تدريبية عن كيفية بناء استراتيجيات التمكين الأسري، ودورات أخرى لتدريب الأسر على كيفية خلق فرص عمل ضمن امكانياتهم مستفيدين من النقاط الإيجابية لتجارب تمّ تطبيقها في عدة دول عالمية.

المصادر والمراجع - العربية:

1. أفندي، عطية، (2003)، تمكين العاملين كمدخل للتحسين والتطوير المستمر، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر.
2. باحثون في دائرة الدراسات والإحصاء، (2011)، أثر برنامج التمكين الاقتصادي DEEP على العائلات الفلسطينية الفقيرة والمحرومة، وزارة الشؤون الاجتماعية، رام الله، فلسطين.
3. البستاني، بطرس، (1997). معجم محيط المحيط، مادة (مكن)
4. الثلاثيني، دعاء عطية، (2013)، فاعلية المنح الصغيرة في التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية الفقيرة، دراسة تطبيقية مقدمة في قسم إدارة الأعمال، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
5. السكري، أحمد شفيق، (2000)، قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
6. السواح، وائل، نظرة على المنظمات والجمعيات النسائية في سورية، www. alawan. org/ 2013/ 12/ 8 ، تم زيارة الموقع 7 – 4 – 2018.
7. عامر احسان، (2017)، المؤشرات المعتمدة في المكتب المركزي للإحصاء، http: // www. cbssyr. sy
8. عبد الرزاق، علي، حسن، محمود، (2012)، تمكين الأسر الريفية ومردوده على السلوك البيئي الرشيد للريفيين، مجلة العلوم الاجتماعية والاقتصادية، العدد 3، مصر.
9. عريقات، أحمد وآخرون، (2011)، قضايا إدارية معاصرة، دار وائل للنشر

والتوزيع، ط1، عمان، الأردن.

10. عقل، نوال، الأغا، مروان، (2015)، تقييم إدارة مشاريع المنح الصغيرة غير المستردة الممولة من برنامج تمكين الأسر المحرومة اقتصادياً (DEEP) في قطاع غزة، قسم إدارة الأعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة.

11. علي، صالح أحمد، مطلك، الدوري زكريا، (2012)، إدارة التمكين واقتصاديات الثقة في أعمال المنظمات في الألفية الثالثة، دار اليازوي للنشر، عمان، الأردن.

12. الغشيان، ناديا، (2016)، تنمية الأسرة أساس لنجاح رؤية 2030، مشروعات وأبحاث الأسرة DIFI، www. al - jazirah. com/ 2016/ 20160724/ wz3. htm

13. مدى للتنمية الإعلامية، المجلس القومي للسكان، (2013)، وثيقة تمكين الأسرة المصرية، البرنامج القومي لتمكين الأسرة ومناهضة ختان الإناث NPD، القاهرة، مصر.

14. ملحم، يحيى، (2009). التمكين كمفهوم إداري معاصر، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ط2، القاهرة، مصر.

15. النمروطي، خليل وآخرون، (2014)، فاعلية برنامج المنح الصغيرة في التمكين الاقتصادي للأسر الفلسطينية الفقيرة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، المجلد22، فلسطين.

16. هيئة تخطيط الدولة، (2005)، التقرير الوطني الثاني لأهداف التنمية في الجمهورية العربية السورية، منظمة الأمم المتحدة.

17. الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان، www. scfa. gov. sy، تم زيارة الموقع 7 – 4 – 2018.

18. الوادي، محمود، (2012). التمكين الإداري في العصر الحديث، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن.

19. والي، عدنان ماشي، (2010). تمكين الموظفين، المركز الوطني للاستشارات والتطوير الإداري، عمان، الأردن.

Translated References:

1. *Affendi, Attia, (2003) , Empowering Employees as an Introduction to Continuous Improvement and Development, Arab Organization for Administrative Development, Cairo, Egypt.*
2. *Researchers in the Department of Studies and Statistics, (2011) , The Impact of the Economic Empowerment Program (DEEP) on Poor and Disadvantaged Palestinian Families, Ministry of Social Affairs, Ramallah, Palestine.*
3. *Al - Bustani, Peter, (1997) , Dictionary of Moheet Al - Moheet, the word (empower (*
4. *Al - Thalathini, Doaa Attia, (2013) , The Effectiveness of Micro - Grants in the Economic Empowerment of Poor Palestinian Families, An Applied Study presented in the Department of Business Administration, Faculty of Commerce, Islamic University, Gaza, Palestine.*
5. *Al - Sukari, Ahmed Shafik, (2000) , Dictionary of Social Work and Social Services, Dar - elmaarefa, Alexandria, Egypt.*
6. *Al - Sawah, Wael, A look at Women›s Organizations and Associations in Syria, www. alawan. org/ 2013/ 12/ 8, accessed 7 - 4 - 2018.*
7. *Amer Ehsan, (2017) , Indicators adopted at the Central Bureau of Statistics, http: // www. cbssyr. sy*
8. *Abd el - Razek, Ali, and Hasan, Mahmoud, (2012) , rural families empowerment and its impact on the environmental rational behavior of rural people, Journal of Social and Economic Sciences, No. 3, Egypt.*
9. *Erekat, Ahmad et al. (2011) , Contemporary Administrative Issues, Dar - Wael for Publishing and Distribution, 1st, Amman, Jordan.*
10. *Aqel, Nawal, Al - Agha, Marwan (2015) ,The Evaluation Management the Non - refundable Small Grants Projects the funded by DEEP in Gaza Strip, Business Administration Department, Faculty of Economics and Administrative Sciences, Al - Azhar University, Gaza.*
11. *Ali, Saleh Ahmed, Mutlaq, Al - Douri Zakaria, (2012) , Management of Empowerment and Economics of Trust in the Business of Organizations in the Third Millennium, Dar Al - Yazawi for Publishing, Amman, Jordan.*
12. *Al - Ghashyan, Nadia, (2016) , Development of Family is Basis for the Success of Vision 2030, Family Projects and Research DIFI, www. al - jazirah. com/ 2016/ 20160724/ wz3. htm*
13. *MADA for Media Development, National Council for Population, (2013) , Egyptian Family Empowerment Declaration, National Program for Family Empowerment and FGM/ C, NPD, Cairo, Egypt.*
14. *Melhem, Yahya, (2009). Empowerment as a Contemporary Administrative Concept, Arab Organization for Administrative Development, Cairo, Egypt.*
15. *Al - Namrouti, Khaleel et al. (2014) , The Effectiveness of Micro - Grants in the Economic Empowerment of Poor Palestinian Families, Islamic University Journal for Economic and Administrative Studies, Vol. 22, Palestine.*
16. *State Planning Commission, (2005) , The Second National Report on Development Goals in the Syrian Arab Republic, UN.*
17. *Syrian Commission for Family and Population Affairs, www. scfa. gov. sy*
18. *Al - Wadi, Mahmoud, (2012). Administrative Empowerment in the Modern Era, Dar Al - Hamed for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.*
19. *Wali, Adnan Mashi, (2010). Employee Empowerment, National Center for Consulting and Administrative Development, Amman, Jordan.*

English References:

1. *A. Matthews, Russel, G. Cole, Steven, (2003) , The Organization Empowerment Scale, Emerald,Personal Review, vol. 32, no. 3.*
2. *Adams, Robert, (2003) , Social Work and Empowerment, third edition, Palgrave Macmillan, New York.*
3. *Jarczynska,Jolanta, (2017) ,Empowerment and its Implementation in the Process of Counteracting the Phenomenon of Youth and Adult Social Exclusion, Journal of Education Culture and Society, No. 1.*
4. *Wallerstein, Nina, (2006) , What is the Evidence on Effectiveness of Empowerment to Improve Health?, WHO Regional office for Europe' Health evidence network (HEN). .*
5. *Suomminen,K, (2001) ,The Relationship between Empowerment Job Satisfaction and Reported Stress Levels, Leadership organization development.*
6. *Govendarajan,M,Natarajan,S, (2007) ,Principles of Management, prentice Hall of Indie Private limited , India.*
7. *http: // www. ortas. gov. sy/ index. php/ index. php?d=21&id=31965*
8. *Bond - Taylor, Sue, (2015) , Dimensions of Family Empowerment in Work with so - called "Troubled" Families, school of social and political sciences, University of Lincoln.*
9. *Donna, Field, (2012) , Family Empowerment - Annual Report, Cape York Partnership, Australian Government.*
10. *Mokamane, Zitha, (2012) , Role of Families in Social and*

Economic of Empowerment of Individuals, United Nations.

11. *Ministry of Finance, (2013) , Government Poverty Report in Bangla, government of Bangladesh.*
12. *Anu,Muhammad, (2015) ,Bangladesh - A Model of Neoliberalism, The case of NGOs, vol 66.*
13. *http: // brac. net , Accessed 2018 - 7 - 4*
14. *Hashemi,Montesquiou, (2011) ,Reaching the Poorest: Lessons from the Graduation Mode, Washington, CGAP, No. 69.*

الحافظ ضياء الدين المقدسي في عيون تلاميذه

Diya Al-Din Al-Maqdisi From the Perspective of His Students

د. غسّان عيسى هرماس
أستاذ مشارك/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

Dr. Ghassan Issa Hermas
Associate prof./ Al - Quds Open University/ Palestine
Ghermas@qou. edu

تاريخ الاستلام: 9/ 6/ 2019م، **تاريخ القبول:** 24/ 8/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

Received: 9/ 6/ 2019, **Accepted:** 24/ 8/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547517
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

ملخص:

يتناول هذا البحث جانبًا من جوانب العظمة لعالم فَذٍّ من علماء فلسطين هو الحافظ ضياء الدين محمد بن عبدً الواحد الجماعيلي المقدسي المتوفى سنة 643هـ، وهو بعنوان (الحافظ ضياء الدين المقدسي في عيون تلاميذه).

والبحث محاولة للتعريف بأحد أعلام فلسطين وأعيانها، من خلال أقول تلاميذه فيه وحديثهم عنه، وكلهم عالمٌ نِحْرِيرٌ، ولأقوالهم وشهاداتهم اعتبار واحترام عند أهل العلم والحديث، وهو دَيْنٌ في ذِمَّة الأبناء للآباء، والخلف مع السلَف، والأواخِر مع الأوائل، بالاعتراف بفضلهم، والوفاء بعهدهم، والشكرِ لهم.

وقد جعلته في مبحثين هما:

المبحث الأول: حياتُه، وفيه: (اسمه ونسبه، مولده وموطنه، أسرته، نشأته وطلبه العلم، رحلاته، شيوخه وإجازاته، مناقبه، وفاته، ومنزلته العلمية وثناء العلماء عليه، مؤلفاته).

المبحث الثاني: أشهر تلاميذ الحافظ ضياء الدين المقدسي، ومدى تأثرهم به، وشهاداتهم فيه.

وأنهيته بخاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث وبعض التوصيات، وقد التزمت فيه المنهج الكيفي لملاءمته.

الكلمات المفتاحية: الحافظ ضياء الدين، عيون، تلاميذ.

Abstract

This research tackles one of the most prominent Palestinian scholars, Diya al - Din al - Maqdisi, 569–643 AH.

The research seeks to introduce Diya al - Din al - Maqdisi, as depicted in the statements and narrations of his students. These students, who are the greatest of scholars, possess value and importance among their peers. Therefore, it is important to accredit them and recognize their contributions.

The research is divided into two parts.

First part is an account of Diya al - Din al - Maqdisi's life, including his name, lineage, birth, hometown, family, origins, knowledge, journeys, teachers, virtues, death, scientific position as well as his value among scholars and in writings.

The second part discusses his most reputable students, demonstrating his influence on them and their testimonials.

The conclusion includes the main results of research and a number of recommendations.

***Keywords**: Diya al - Din al - Maqdisi, Perspective, Students.*

مقدمة:

يَنْتَسِبُ النَّاسُ إلى آبائهم وعائلاتهم، وقد يَنْتسبون إلى بُلدانهم، فيقال: البُخاريُّ، والدِّمشقيُّ، والبَغْداديُّ، إلى غير ذلك من النِّسَب التي يَتَخَيَّرُها الإنسان تارةً، أو تُفْرَضُ عليه تارةً أخرى، غير أنَّ الانتساب إلى بيتِ المقدس انتسابُ تَشَرُّفٍ وارتقاء واعتزاز، وكذا الانتساب إلى مكةَ والمدينة، – زادها الله جميعًا شرفًا ورفعةً – .

وعَبْرَ تاريخنا الإسلاميِّ وجَدْتُ كثيرًا من الفلسطينيين ينتسبون إلى بيتِ المقدس انتسابًا يطلبون به الشَّرَفَ والقُرب من الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وأحسب أنَّها نسبةٌ يُحبها أهل فلسطين، لأنها تربطهم بالمَسرى، وهو جزءٌ من عقيدة المسلمين وإيمانهم.

وممن انتسب لبيت المقدس، وحملَ التاريخُ أسماءهم، وحفظ أمجادهم وعلومهم، أسرة آل قدامةَ الجَمَّاعِيْليِّ المَقْدسيِّ.

وجَمَّاعيل أو قل جماعين – كما يسمونها اليوم – وكلا الاسمين جائز ومشهور، قرية من قرى نابلس، وتبعد عن بيت المقدس 40 كم (انظر الحموي، 1995: 2/ 159)، ولنابلسَ وقُرَاها في القلب هوىً وغرام، وإجلالٌ وتقديرٌ وإعْظام، لا لأنَّها جزءٌ من فلسطين الحبيبة فحسب، بل لأنَّها في التَّاريخ تاريخٌ، وحضارةٌ، وإمامةٌ، وجِهادٌ، وشموخٌ، فكمْ من نَبِيٍّ مرَّ بها، وكم من قائدٍ تمكَّن منها، وكم من عالمٍ حَطَّ رِحاله فيها.

تلك من أخبار العابرين، وحكايات المسافرين الراحلين، أما أهل البلد، فحدِّثْ عنهم ولا حَرَج، فأولئك أعيانُ النَّاس، وتاجُ الأُمَّة، وخيرُ بَنِي الزَّمان، فيهم العلماءُ، والأعيان، والمجاهدون، والمُرابطون، والعابدون، وفيهم من جمع ذلك كله.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في عدم معرفة كثيرين لشخصية الحافظ الضياء، بل وبقية أفراد أسرة المقادسة تلك، وهذا بين حتى عند أكثر المثقفين من أهل فلسطين.

وواجبٌ على كلِّ من أراد الكتابة عن تاريخ نابُلْسَ أنْ يَمُرَّ على ذِكْرِ تلك الأسْرة الكريمة التي نَسَبَتْ نفسها إلى بيتِ المقدس يوم حَطَّتْ رِحالَها سنة 551هـ في مسجد أبي صالح بدمشق، أولئك المقادسة الذي حَفِظوا على المسلمين أمور دينهم أكثر من ثلاثة قرون، فكان منهم الفقيه، والمحدث، والمربي، والإمام القدوة، والمجاهد، وغيرهم كثير، يفنى العمر قبل الفراغ من ذكرهم.

أهداف البحث:

لعل أبرز ما دعاني للكتابة في هذا الموضوع أنَّ التقصير في الكتابة عن بيت المقدس ونابلس وفلسطين حاصلٌ وكثير، ولذلك رأيتُ أنَّ أكتب عن أحد علمائها الحفاظ الذين أبدعوا فيما كتبوا، وكانت لهم جهودٌ عظيمةٌ في مجالات التربية، والتعليم، والتأليف، وهو الحافظ الفَذُّ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد الجَمَّاعِيْلي المقدسي المتوفى سنة 643هـ.

الدراسات السابقة:

لم أجد من كتب عن هذه القامة السامقة من هذا الجانب، نعم، لقد كتبوا عن حياته، وترجموا لمسيرته العلمية، وأثنوا عليه، وذكروا أقوال أقرانه وتلاميذه فيه، وهو ما سأتناوله بإيجاز في المبحث الأول، لكني رأيت أن أتناول شخصيته من الجانب التأثيري التربوي

في نفوس تلاميذه وعقولهم وقلوبهم من خلال دراستهم الحديث على يديه، الأمر الذي مكنه من إيجاد نخبة من العلماء المُحَدِّثين الذين تَرَبُّوا عليه، وأخذوا عنه العلم والعمل، وهو ما أعوز كثيرًا من العلماء والدعاة اليوم في مسيرتهم العلمية والدعوية.

نعم، إن التربية عملية جماعية لا ينفرد بها فرد واحد، بل إنَّ جهود الجماعة الكثيرة المتكاتفة المتوافقة من أسرة وشيوخ ومجتمع، تشكل الشخصية المؤثرة المبدعة.

وقد وجدت فيما بثَّهُ السابقون وسطَّرَتْهُ أقلامهم في مصنفاتهم، ما يرسم صورة بهية المعالم عنه، لذا رأيت أن أسلط الضوء على هذا الجانب المشرق من حياته، ليكون نبراسًا ومشعل هداية وتوجيه ورشاد للسالكين درب صناعة الرجال العلماء، وقد مَهَرْتُه بعنوان (الحافظ ضياء المقدسي في عيون تلاميذه).

منهج البحث:

اتبعت في بحثي هذا المنهج الكيفي لملاءمته هذا النوع من الدراسات.

خطة البحث: وقد جعلت دراستي هذه في مبحثين:

المبحث الأول: حياة الحافظ ضياء الدين المقدسي، وفيه: ستة مطالب: المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده وموطنه. المطلب الثاني: أسرته. المطلب الثالث: نشأته وطلبه العلم، ورحلاته. المطلب الرابع: شيوخه وإجازاته. المطلب الخامس: مناقبه، ومنزلته العلمية وثناء العلماء عليه، ووفاته. المطلب السادس: مؤلفاته).

المبحث الثاني: أشهر تلاميذ الحافظ ضياء الدين المقدسي، ومدى تأثرهم به، وشهاداتهم فيه، ويشتمل على خمسة مطالب: : المطلب الأول: الإمام الحافظ ابن النجار. المطلب الثاني: المحدث البارع ابن الحاجب. المطلب الثالث: المحدّثُ الشَّابُّ ابن سلاَّم. المطلب الرابع: قاضي القضاة سليمان بن حمزة. المطلب الخامس: وفيه جملة مختصرة من الأقوال في الثناء على الحافظ الضياء .

وأنهيته بخاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث وبعض التوصيات.

الإجراءات المنهجية:

لتحقيق أهداف الدراسة وغايتها كان لا بد من التزام مجموعة من الآليات وهي:

- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله تعالى.
- عَزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية مع بيان الحكم عليها، إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فاكتفيت بالعَزْوِ إليهما قانعًا بتلقي الأمة لهما بالقبول.
- رَد النصوص الواردة في البحث إلى الكُتُب التي ذَكَرَتْها، مقدمًا الأسبق زمانًا.
- تحدثت في المبحث الأول عن حياة الحافظ الضياء العامة باقتضاب طلبًا للاختصار، وموافقة لشروط البحث، فاكتفيت – مثلاً – بذكر خمسة من شيوخه مع أنهم يزيدون على خمسمائة.
- لم أورد في المبحث الثاني من تلاميذه إلا من كان له قول مباشر في شيخه الضياء، للزوم التعليق وبيان رأيه فيه.
- لم أتعرض لأقوال العلماء الذين أثنوا على الضياء ولم يَلْقَوه، لعدم اندراجهم في تلاميذه.
- لم أتوسع في الترجمة لتلاميذه الذين أوردت أقوالهم، واكتفيت بالإشارة الخاطفة إلى علمهم وتقدمهم، كي لا يخرج البحث عن حده.
- لم أترجم للأعلام والمواقع إلا حيث لزم الأمر، واقتصرت على توثيق كل ترجمة من مرجعين أو ثلاثة ولم أزد على ذلك، لئلا تَثْقُل الهوامش.

هذا ما رأيت وضعه في بحثي، سعيًا لبيان فضل هذا العالم وأَضْرَابِه مِنَ المَقادِسَة الذين طَوَّقُوا جِيْدَ الزَّمان بِنَتَاجِهِم الجَليل، وبَذْلِهم العَظيم. سائلا الله القبول والرِّضا.

والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

حيـــاة الحافظ ضياء الدين المقدسي

تَنْقضي أعمارُ كثيرٍ من النَّاس دون أثر يُذْكر، ولا قَولٍ يُؤْثَر، كأنَّهم لم يكونوا يومًا منْ سكان الأرض أو عُمَّار الدنيا. ومنهم مَنْ يَنْقُشُ اسمه في صفحات الوجود، ويترك رَسْمَهُ على جِدار الحياة، فلا يَنْمَحي ذِكْرُهُ حتى تَنْمَحي هذي الحياة، ومن هذا الصنف الأخير كان الحافظ الضياء. وسأتحدث عن حياته في ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، وموطنه:

أما اسمه ونسبه: فهو الإمام، الحافظ، الحجة، ضياء الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي، المَقدسي، الجَمَّاعيلي، ثم الدِمشقي، الصَّالِحي، الحنبلي.

وأما مولده وموطنه: فقَدَّمتُ القول بأنَّ قومَه ارتحلوا عام 551هـ منْ قرية جَمَّاعيل قضاء نَابُلْسَ في فلسطين، ونزلوا سَفْحَ جبل قَاسْيُون في دمشق، وبَنُوا الصالحية، وهناك وُلِدَ ضياء الدين في اليوم السادس من جمادي الآخرة، سنة تسع وستين وخمسمائة للهجرة، بالدَّيْر المُبارك بقَاسيُون. (انظر الذهبي، 1998م: 4/ 133، وابن شاكر، 1973 – 1974م: 3/ 426).

المطلب الثاني: أسرته:

ينتسب الحافظ ضياء الدين إلى أسرة (المَقْدِسيِّ) المعروفة بين الأُسَر بالعلم وكثرة التَّحصيل، يدل على ذلك كثرة الحفاظ والفقهاء المنتسبين إليها، والذين كان لهم أثرٌ عظيمٌ في الحفاظ على سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ت600 هـ، (انظر ترجمته في: ابن نقطة، 1988 م: 370، والذهبي، 1985م: 21/ 443، واليافعي، 1997م: 3/ 387)، والشيخ الفقيه الموفق عبد الله بن أحمد بن قُدَامَةَ المقدسيّ ت 620هـ، (انظر ترجمته في: ابن نقطة، 1988م: 330، والمنذري، 1984م: 3/ 107، والذهبي، 1985م: 22/ 165)، وغيرهما كثير.

ومن المعلوم أنَّ هذه الأُسرة كانت تسكن قريةَ جَمَّاعيل، وبعض القرى المجاورة لها من أعمال نابلس في فلسطين، إلا أنَّهم تركوها وارتحلوا إلى دمشق بسبب اعتداءات الفرنجة المتكررة واستيلائهم على الأرض المقدسة، شأنهم في الهجرة شأن كثير من

أهل تلك البلاد.

وقد أورد ابن رجب خَبَرَ هذه الرحلة في ترجمة الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قُدَامة المقدسيِّ ت 607هـ (انظر خبر هذه الرحلة في: ابن رجب الحنبلي، 2005م: 1/ 160. وانظر ترجمة الشيخ أبي عمر في: ضياء الدين المقدسي، محمد بن عبدالواحد، 1997م: 1 – 96، والمنذري، 1984م: 2/ 202، والذهبي، 1985م: 22/ 5).

والمتتبع لأخبار أسرة الحافظ الضياء يُدهش وهو يُقَلِّبُ صفحات حياة أفرادها، فهي من الأسر الفريدة العجيبة في التاريخ، التي توارث فيها الأحفاد العلمَ عن الأجداد بصورة تكاد تكون متكررةً في كثيرٍ من أفراد هذه الأسرة. وهو ما يظهر لنا جليًا في الحافظ الضياء الذي ورث العلم من جهتي أبيه وأمه، وإن كان من جهة الأم أكثر وأبين.

فمن جهة أمه على سبيل المثال لا الحصر:

- جده الأعلى لأمه قُدَامَةُ بنُ مِقْدَام بن نصر بن عبد الله المقدسي، ولم أقف له على ترجمة، إلا أنه كان من أهل العلم، وممن لقي أبا الفرج عبد الواحد بن محمد الشِّيرازي الحنبلي ت 486هـ، وأخذ عنه (انظر ترجمته في: ابن رجب الحنبلي، 2005م: 1/ 160، 164). وأبو الفرج هذا هو أول من أدخل المذهب الحنبلي إلى فلسطين وبيت المقدس – وهو ما مال إليه د. أبو زيد (أبو زيد، 1417هـ: 1/ 503) وتبعه عليه الأستاذ يوسف الأوزبكي (الأوزبكي، 2010م: 95، 13)، وعنه أخذ المقادسة المذهب ونشروه.

وكان قُدامة قد أتاه لَمَّا قَدِمَ القُدس فسأله أنْ يرزقه الله حفظ القرآن، فدعا له بذلك، فحفظ قُدامة القرآن. فكان الشيخ الموفق ابن قُدامة إذا ذكر هذه الحكاية يقول: وانتشر الخير منهم ببركات دعوة الشيخ أبي الفرج، وكان يقول أيضًا: «كلنا في بركات الشيخ أبي الفرج». (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 1/ 160).

- وجَدُّ أُمِّه المباشرُ أحمدُ بن محمد بن قُدامة ت 558هـ، (انظر ترجمته في: الذهبي، 1993م: 38/ 246، والصفدي، 2000م: 8/ 55، وابن مفلح، 1990م: 1/ 172)، وكان قد ارتحل في طلب العلم، ثم عاد إلى بَلَده جَمَّاعيل، وأقرأ النَّاس القرآن والعلم، وكان خطيبًا مُفوهًا، فاجتمع عليه أهل بلده والقرى المجاورة، الأمر الذي حمل الحاكمَ الصَّليبيَّ في نَابُلسَ على التفكير في قَتْله، فَفَرَّ بدينه وأهله إلى دمشق، فكانَ أول المهاجرين المقادسة إلى دمشق، والمؤسسَ للصَّالحية، وسيِّدَ القوم وإمامَهم (انظر ابن طولون، 1980م: 1/ 67 – 69).

- وخالاه الإمام الزاهد أبو عمر محمد بن أحمد المقدسي ت 607هـ، والموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي ت620هـ.

- وخالته رابعة بنت أحمد بن محمد المقدسية ت 620هـ، زوجة الحافظ عبد الغني. (المنذري، 1984م: 3/ 109 – 110، والذهبي، 1993م: 44/ 479).

- وأما من جهة أبيه:

- فوالده عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ت 590هـ، (الذهبي، 1993م: 41/ 382 – 383).

- وأخوه الأكبر الحافظ شمس الدين أبو العباس أحمد بن عبد الواحد المقدسي، ويعرف بـ (البخاري) لدخوله بخارى وسماعه فيها، ت 623هـ (انظر ترجمته في الذهبي، 1993م: 45/ 143، وابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 353 – 359).

- وأخوه الآخر عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي ت 612هـ (انظر ترجمته في الذهبي، 1993م: 44/ 106).

- وأختاه آسية بنت عبد الواحد ت 640هـ (انظر ترجمتها في الذهبي، 1993م: 46/ 431، والذهبي، 1984م: 5/ 164)، وزينب بنت عبد الواحد المتوفاة بعد سنة 624هـ (الحافظ، 1999م: 35).

وكل هذه الأسماء كان لأصحابها نصيبٌ وافر من العلم الشَّرعي – على تفاوت بينهم – خاصة في الحديث والفقه، وكلهم رَوى وَرُوِي عنه.

وقد تركت ذكر كثير من أعلام هذه الأسرة من الأعمام والأخوال والأقرباء وأبنائهم، وأبناء أبنائهم، مخافة السآمة.

المطلب الثالث: نشأته وطلبه العلم، ورحلاته:

في هذه الأسرة نشأ وفي أحضانها ترعرع، ومن علمائها أَخَذ، وكان أول شيوخه، مُحَدِّثُ عصره، الحافظ عبد الغني المقدسي، الذي» لزمه ولم يتركه حتى تَخَرَّجَ به، وبَرَعَ في هذا الشأن. » (الذهبي، 1985م: 23/ 127).

ثم تنقل بين علماء الشام، وأخذ عنهم، ولم تقنع نفسه الكبيرة بما نال من علم، وحَصَّلَ من معرفة، فارتحل إلى بلاد غير بلاده، وأهل غير أهله، وكان لا يكاد يسمع بعالم من علماء عصره إلا ارتحل إليه وأخذ عنه، وقد بقي في رحلاته عدّةَ سنين، عاد منها بكثير من الأصول النفيسة، التي ساقها الله إليه هبة، وشراءً، ونسخًا. حتى قيل « إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ. « (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 516، النعيمي، 1981م: 2/ 95).

وأما رحلاتــه: ارتحل الحافظ الضياء رحلتين طويلتين استغرقت كل واحدة منهما خمس سنوات، أما الأولى: فبدأها بدخول مصر سنة 595هـ، ثم بغداد، مدينة العلم والعلماء، ودار الخلافة آنذاك، ثم أصبهان. ولم يَعُدْ إلى دمشقَ من رحلته هذه إلا بعد الستمائة.

وأما رحلته الثانية، فبدأها من حيث انتهى في رحلته الأولى، فقد كرَّ راجعًا إلى أصبهان، فأكثر بها وتزيّد وحصل شيئًا كثيرًا. ثم ارتحل إلى نيسابور، فَهَرَاةَ، فمَرْو التي أقام فيها نحو سنتين وأكثر. كما سمع بحلب وحَرَّان والمَوْصل. ثم رجع إلى دمشقَ بعد خمسة أعوام بعِلْمٍ كثيرٍ، وأصولٍ نفيسةٍ، فتح الله عليه بها.

أضف إلى ذلك رحلته إلى مكة حاجًّا وسماعه من علمائها والواردين عليها، كما أتى بيت المقدس بعد الفتح عدة مرات، وسمع فيها من علمائها.

ولما استقر به المقام في دمشق لَزِمَ الاشتغال، والنَّسْخ، والتصنيف، وسمع في أثناء ذلك من خاله الشيخ الموفق وغيره، ولم يتوقف عن السماع حتى بعد أن كَبُرَ، وطار اسمه في البلاد، وصار المشار إليه، وأقبل عليه طلاب العلم من أصقاع الأرض، وبقي على حاله هذه حتى أتاه أمر الله.

المطلب الرابع شيوخه وإجازاته:

قَدَّمْتُ القولَ بأنَّه سمع من أكثر من خمسمائة شيخ وشيخة، وقد ذكرت له الدكتورة حسناء بكري خمسمائة وثمانيةً وأربعين شيخًا (انظر قائمة أسمائهم في: نجار، 1420م: 422 – 440)، ولكثيرٍ منهم تأثير في شخصيته وبنائه الفكري والسُّلُوكي، وقد ذكرت بعضهم في معرض الحديث عن حياته كخاله الفقيه الموفق عبدالله ابن أحمد بن قدامة المقدسي، والحافظ عبد الغني المقدسي، وسأكتفي هنا بذكر خمسة آخرين من أعيان مشايخه، مراعاة لشروط البحث:

– الشيخ عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي، ت 614هـ (انظر ترجمته في: الذهبي، 1993م: 44/ 182، والذهبي، 1985م: 22/ 47، الصفدي، 2000م: 6/ 33)، وهو الذي قال للضياء لمَّا

عَزَمَ على الرِّحلة في طلب العلم: « أَكْثِرْ مِنْ قراءة القرآن، ولا تتركه، فإنَّه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ. قال الضِّياء: فرأيت ذلك وجرَّبْتُه كثيرًا، فكنت إذا قرأتُ كثيرًا تَيَسَّرَ لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأْ لم يَتَيَسَّرْ لي. » (ابن رجب الحنبلي، 2000م: 3/ 205).

– زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نَجَا الدمشقي، الفقيه، الحنبلي، الواعظ، المفسر، المعروف (بابن نَجيَّة)، ت 599هـ (انظر ترجمته في: الذهبي، 1985م: 21/ 393، والسيوطي، 1967م: 1/ 551).

– الشيخ الصالح أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصَّيْدلاني الأَصْبَهاني، ت603هـ (المنذري، 1984م: 2/ 121 – 122، والذهبي، 1985م: 21/ 439).

– الإمام الحافظ العلامة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي القرشي الحنبلي المعروف بابن الجَوْزي، ت 597هـ (انظر ترجمته في: ابن خَلِّكان، 1994م: 3/ 140، والذهبي/ 1985م: 21/ 365).

– الفقيه الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، العُكْبَري البغدادي، ت616هـ، (انظر ترجمته في: ابن خلكان، 1994م: 3/ 100، والقفطي، 1424هـ: 2/ 116، والسيوطي، د. ت: 2/ 38).

إجازاته: والإجازة في الاصطلاح هي: « الإذن في الرواية لفظًا أو كَتْبًا، وتفيد الإخبار الإجمالي عُرْفًا. » (السخاوي، 2003م: 2/ 219). والصحيح عند الجمهور من علماء المُحَدِّثين والفقهاء جواز الرِّواية بالإجازة والعمل بها، وهي أنواع (انظر: السخاوي، 2002م: 1/ 149). وقد أصاب الضِّياءَ منها نصيبٌ وافر، فممن أجازه: حافظ عصره العلامة أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلفي الأَصْبَهاني ت576هـ، (انظر ترجمته في: ابن الأبَّار، 1985م: 48، والذهبي، 1985م: 21/ 5 – 39، والسيوطي، 1967م: 1/ 354)، والعلامة أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَري بن عبد الجبار المقدسي، ت582هـ، (انظر ترجمته في: الذهبي، 1985م: 21/ 136، والقفطي، 1424هـ: 2/ 110)، وشُهْدَة الكاتبة ابنة أحمد بن الفرج، ت574 (انظر ترجمتها في: ابن الجوزي، 1358هـ: 10/ 288، وابن خلكان، 1994م: 2/ 477). ، وتَجَنِّي بنت عبد الله الوَهْبَانية أم عتب، ت575هـ، (انظر ترجمتها في: الذهبي، 1985م: 20/ 550، وابن الدمياطي، د. ت: 204)، وغيرهم، (وانظر: الصفدي، 2000م: 4/ 49، والنعيمي، 1981م: 2/ 93).

المطلب الخامس: مناقبــه، ومنزلته العلمية وثناء العلماء عليه، ووفاته:

أما مناقبه فهي أكثر من أن تحصيها هذه الأسطر، فكان رحمه الله قد جمع إلى سعة المعرفة وغزارة العلم، الزُّهْدَ والصَّلاح، والإخلاص، وصدقَ العبادة، والرِّفق، والأدب الجَمِّ، مع الحرص الشديد على نَشْرِ السُّنَّة النَّبوية المُطهرة.

وصفه الذَّهبي فقال: « كان يَتَقَنَّعُ باليَسيْر، ويجتهدُ في فعل الخير ونشر السُّنَّة، وفيه تَعَبُّدٌ، وانْجِمَاعٌ عن النَّاس، وكان كثيرَ البرِّ والمُواساة، دائمَ التَّهَجُّد، أَمَّارًا بالمعروف، بَهِيّ المَنْظَر، مَلِيْحَ الشَّيْبَة، محببًا إلى المُوافق والمُخالف، مُشْتَغلاً بنفسه رضي الله عنه. » (الذهبي، 1985م: 23/ 128).

وقال ابن كثير: « كانَ رحمهُ اللهُ في غاية العبادة والزَّهادة والوَرع والخَيْر. » (ابن كثير، 1986م: 13/ 170).

وسيأتي شيء من ذلك أيضًا في المبحث الثاني بإذن الله.

أما منزلته العلمية وثناء العلماء عليه: فبارك الله سبحانه وتعالى في عمر الحافظ الضياء ووقته وعلمه، حتى نال من علم الحديث ما بَوَّأَهُ ليكون شيخَ وقته، وفريدَ عصْره، فَحَفِظَ المُتُونَ، وحاز الفنون، وكان المرجوع إليه في هذا الشأن.

– وصَفَهُ المُنْذِرِيُّ بالحافظ، (المنذري، 1984م: 3/ 110، 404).

– وقال رفيقه الشَّيْخُ، الإمَامُ، المُحَدِّثُ، الحَافِظُ، تَقِيُّ الدِّيْن، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّد الصَّرِيْفِيْنِيُّ: « كان الحافظ الزاهد ضياء الدين المقدسيُّ رفيقي في السفر وصاحبي في الحَضَر، وشاهدت من كثرة فوائده، وكثرة حديثه وتَبَحُّرِهُ فيه. » (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 517).

– وقال الشريف أبو العباس الحُسيني عنه: «حدَّثَ بالكثير مُدَّةً، وخَرَّج تخاريجَ مفيدة، وصنَّفَ تصانيفَ حسنة، وكان أحدَ أئمة هذا الشأن، عارفًا بالرِّجال وأحوالهم، والحديث صحيحه وسقيمه، وَرِعًا مُتَدَيِّنًا، طارحًا للتَّكَلُّف. » (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 517، وابن العماد الحنبلي، 1998م: 5/ 347).

– وأَطْنَبَ الإمام الذهبي في مَدْحه في سائر كُتُبه التي تَرْجَمَ له فيها، فقال في التَّذكرة: «نَسَخَ وصَنَّفَ، وصَحَّحَ وَلَيَّنَ، وجَرَّحَ وعَدَّلَ، وكان المرجوعَ إليه في هذا الشَّأن. » (الذهبي، 1998م: 4/ 133).

وقال أيضًا: سمعت أبا الحجاج المزِّي وما رأيت مثله يقول: « الشيخُ الضِّياء أعلمُ بالحديث والرِّجال من الحافظ عبد الغنيِّ، ولم يكنْ في وقته مثله. » (الصفدي، 2000م: 4/ 49).

– ووصفه ابن رجب الحنبلي بـ « الحافظ الكبير الذي تُغْنِي شُهرتُهُ عن الإطْنَاب في ذكْره، والاشتهار في أَمْره». (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 515).

– وقال السُّيوطي: « رَحَلَ وصنَّفَ وصَحَّحَ وَلَيَّنَ وجَرَّحَ وعَدَّلَ

وكان المَرجوعَ إليه في هذا الشَّأْن، جَبَلاً، ثقةً، دَيِّنًا، زاهدًا ورعًا. » (السيوطي، 1403هـ: 497).

وفاته: ذهب أكثر الذين ترجموا له إلى أن وفاته كانت في جمادى الآخرة، سنة 643هـ. (الذهبي، 1993م: 47/ 214، والصفدي، 2000م: 4/ 49). وعليه فقد عاش أربعًا وسبعين سنة، ودفن في سفح جبل قَاسْيُون بدمشق. رحمه الله.

المطلب السادس: مؤلفاته:

بلغت مؤلفاته أكثر من مئة مؤلف، منها الكبير الذي يبلغ عدة مجلدات، ومنها الوريقات القليلة، ومنها المطبوع الذي انتفع الناس به، ومنها ما يزال حبيس مكتبات المخطوطات، **ومن أشهر كتبه المطبوعة وأعظمها:**

1. كتاب (الأحاديث المختارة)، في تسعين جزءاً ولم يكمل، طبع جزء منه.
2. كتاب (الأحكام)، يعوز قليلاً في نحو عشرين جزءاً في ثلاث مجلدات، وقد نشر تحت عنوان: (السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام).
3. كتاب (فضائل الأعمال) أربعة أجزاء.
4. كتاب (فضائل الشام) وهو ثلاثة أجزاء، طبع منه جزء واحد وهو الجزء المتعلق بفضائل بيت المقدس.
5. كتاب (أفراد الصحيح)، جزء.
6. جزء فيه الرواة عن أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري الحافظ الإمام.
7. كتاب (النهي عن سب الصحابة) جزء.
8. كتاب (الاستدراك على المشايخ النبل لابن عساكر) جزء، أو (أوهام المشايخ النبل)، طبع في هامش (المشايخ النبل) بتحقيق سكينة الشهابي بدمشق.
9. كتاب (الأمر بإتِّباع السُّنن واجتناب البِدَع)، جزء.
10. اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن.
11. أخبار في مناقب عبد الله بن جعفر ذي الجناحين.
12. كتاب (الأمراض والكفارات والطب والرقيات)، وسمي في بعض المصادر بالطب النبوي.
13. كتاب (مناقب جعفر بن أبي طالب).
14. جزء فيه من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ مما وافق رواية الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله.
15. جزء فيه حديث القلتين.
16. فضائل الشيخ الإمام أبي عمر المقدسي.
17. المنتقى من أخبار الأصمعي.
18. ثَبَتُ السماع.
19. كتاب العِدَّة للكرب والشِّدَّة.
20. كتاب صفة الجنة، ثلاثة أجزاء.
21. كتاب فضائل القرآن العظيم، وثواب مَنْ تَعَلَّمَهُ وعَلَّمَهُ، وما أَعَدَّ الله عز وجلَّ لتالِيْه في الجِنَان.
22. الذَّبُّ عن الإمام الطَّبَراني.
23. النصيحة (نصيحة الملك الأشرف).
24. جزء فيه أحاديث عوالٍ وحكايات وأشعار.
25. جزء فيه ذكر المصافحة وما ورد فيها من الأخبار عن النبي المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: أشهر تلاميذ الحافظ ضياء الدين المقدسي ومدى تأثرهم به وشهاداتهم فيه.

ترسم الكلمات القليلة التي يُطْلقها بعض التلاميذ أثناء أحاديثهم صورًا بيِّنَةَ المعالم لشيوخهم، سواء أكانت تلك الأحاديث بقصد الرِّواية أو استحضارًا لبعض الذِّكريات البعيدة، كما تدل دلالةً واضحة على الأَثَر الذي يتركه العلماءُ والمربُّون في نفوس وشخصيات من يَتَلَقَّوْن عنهم. وهي من أبرز دلائل التوفيق وعلامات النَّجاح التي يمكن أنْ تُشَكِّل شهادة حقٍّ للعلماء.

ومن المعلوم أنَّ أكثرَ من يتأثر بالعالم تلاميذه، بل رُبَّما كان تأثيره فيهم أشدَ من تأثيره في أولاده وذَوِيه، فإنْ أَثْنَوا عليه بخير فهو كما قالوا، وإنْ ذكروه بسُوءٍ فبئسَ الشيخ وبئسَ ما قيل فيه. فخيار الناس وثقاتهم وصالحوهم كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم للمسلمين: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْه خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْه شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله في الْأَرْض، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله في الْأَرْض، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله في الْأَرْض». (البخاري، 1422هـ: برقم 1367، في كتاب الجنائز – باب ثناء الناس على الميت2/ 97، ومسلم، 1997م: برقم 949، في كتاب الجنائز– باب فيمن يثنى عليه خير أو شر2/ 81 – 82، واللفظ لمسلم).

فهم الميزان الدقيق، والحَكَمُ العَدْل، هذا في الغالب الكثير، لا في القليل النادر. وميزان التلاميذ أَدَقُّ وأصوبُ من ميزان الأَقْرَان لما يعتري علاقة الأقران من التنافس والتَّغَيُّظ. فإذا اجتمع للعالم ثناء شيوخه وأقرانه وتلاميذه عليه فتلك هي عاجل بُشْرى المؤمن التي حدَّث عنها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم، فعَنْ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: « يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْه، وَيُثْنُونَ عَلَيْه بِه؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِن. » (مسلم، 1997م: برقم2642، كتاب البر والصلة والآداب – باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره 4/ 338 – 339.).

ولما كان جُهْدُ العالم وعِلْمُه يظهر أكثر ما يظهر في تلاميذه، حتى يكون بعضهم أَشْبَهَ النَّاس به، لا في الخِلْقَة والمنظر، وإنما في السَّمْت والهَدْي والمنطق والحَرَكة، فما التلميذ إلا ثمرة شيخه ووعاء علْمه، يُخَبِّئُ فيه ما حملته ذاكرته طوال سنوات حياته. لذلك رأيت من اللازم أنْ أتكلم عن بعض أعيان تلاميذ الحافظ الضِّياء المقدسيِّ، فما نَجَاحُهم وتَقَدُّمهم على أهل زمانهم وأقرانهم إلا دليل جودة العطاء، وحسن البناء، وتلك التربية الناجحة التي تَلَقَّوها من شيخهم، وذاك الأثر البديع الذي تركه الحافظ فيهم، ثم هم بعد ذلك دليل نجاحه وإبداعه.

والتربية والإعداد وتزكية الأنفس بالعلم والأخلاق هي – والله – وظيفة الأنبياء والمرسلين من قبل، وهي أشرفُ وأَجَلُّ وظيفة، كما

قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

« أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي ويُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولا. » (شوقي، 2015م: 1/ 141).

ثم شتَّان بين من يبني القُصُورَ ومن يبني العقول، شتَّان شتَّان – مع اعترافنا بفضل كُلِّ بَانٍ–، كما قال الشاعر:

« يَبْنِي الرِّجَالَ وغَيْرُهُ يَبْنِي القُرَى شَتَّانَ بَيْنَ قرًى وبَيْنَ رِجَالِ. » (الآبي، 2004م: 3/ 78، وابن حمدون، 1417هـ: 2/ 48، ونسبه ابن حمدون إلى أبي عبد الرحمن الأعمى).

وإذا كان بعض الناس تُعْجبُه صناعة التأليف ووَضْعُ الكُتُب، فأعلى من ذلك رُتْبَةً مَنْ أَتقنَ الصِّناعتين معًا، صناعةَ التأليف وصناعةَ الرِّجال، وهذه أشدُّ وأَعْجب. وأَحْسَبُ أنَّ الحافظ الضِّياء رحمه الله من هذه الفئة، فقد مَهَرَ في وضع المؤلفات كما بَرَعَ في تخريج أعيان العلماء.

ومع كثرة المُتَلَقِّيْنَ عنه إلا أنني– ولمناسبة البحث – سأقتصر على ذكر بعض من أشهر علماء الحديث الذين حفظ لنا التاريخ تاريخهم، وصَبَّغُوا بِمدادهم حُرُوف الزَّمان، فاستجاب لهم، وأَبَى أنْ يُنكرَ فَضْلَهم، ويَطْوِيَ علمَهم، ودَانَ لهم، فحفظَ أسماءَهم، وآثارَهم، وذَكَر فضلهم في خدمة سُنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكلُّهم للإمام الضِّياء ينتسب، وبالتلمذة والتلقي عنه يَتَشَرَّفُ ويَعْتَرِف.

وقد اشتمل هذا المبحث على خمسة مطالب، في كل مطلب تلميذ من أعيان تلاميذ الحافظ الضياء، غير المطلب الخامس فقد ضمنته جملة من الأقوال المميزة المختصرة لتلاميذ آخرين من تلاميذ الضياء:

◄ المطلب الأول: الإمام، الحافظ، محدِّث العراق، أبو عبد الله، محمد بن محمود البغدادي، المعروف بابن النَّجار، ت643هـ. (انظر ترجمته في: الحموي، 1993م: 6/ 2644، والذهبي، 1985م: 23/ 131 – 134، والسبكي، 1413هـ: 8/ 98 – 99).

وصفه الذهبي في السِّيَر بـ « الإمام الحافظ البارع محدث العراق ومؤرخ العصر. » (الذهبي، 1985م: 23/ 131). وقال عنه في تاريخ الإسلام: « كان إمامًا، ثقةً، حُجَّةً، مُقْرِئًا، مجوِّدًا، حُلْو المحَاجَّة، كيِّسًا، متواضعًا، ظريفًا، صالحًا، خيِّرًا، متنسِّكًا. » (الذهبي، 1993م: 47/ 218). وقد « اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ وأربعمائة امرأة. » (الذهبي، 1985م: 23/ 133).

وكان من أبرز شيوخه الحافظ الضِّياء، وهو من صغار شيوخه، فالضِّياء أكبر منه بتسع سنين، لكنَّ تأثره به كان بيِّنًا، فقد أعرب عنه فيما خطه بيده إذ قال عنه: « كَتَبَ وحَصَّلَ الأُصُول، وسمعنا بقراءته الكثير، وأقام بهَرَاة ومَرْو مدّة، وكتب الكُتُبَ الكبار بهمَّة عالية وجِدٍّ واجتهاد، وتحقيق وإتقان، كتبتُ عَنْهُ ببغداد، ودمشق، وبَنْيسابور، وهو حافظٌ متقنٌ، ثَبْتٌ حُجَّةٌ، عالمٌ بالحديث والرِّجال، ورِعٌ تَقِيٌّ، زاهدٌ، عابدٌ، محتاطٌ في أكل الحلال، مجاهدٌ في سبيل الله. ولَعَمْري ما رَأَتْ عيناي مثله في نزاهته وعفَّته، وحُسْنِ طريقته في طلب العِلم. » (الذهبي، 1993م: 47/ 211).

وهذا قول عجيب صادرٌ عن رجل طوَّفَ البلاد وجاب الأقطار وسمع العلماء والمُحَدِّثين، وروى عمن دَبَّ ودَرَجَ، ولو أنَّه قَصَرَ علْمَهُ على ما أخذه عن شيخاته الأربعمائة لكان كثيرًا، فكيف وقد أخذ عن ثلاثة آلاف شيخ أيضًا.

ثم هو مع كثرة مشاهداته ولقاءاته ومعرفته بالعلماء يقول في شيخه الحافظ الضِّياء مقالته الفريدة تلك. التي ينبه فيها إلى أكثر ما راقه وأعجبه في شيخه الضياء ومن ذلك: نزاهته، وعفته، وترفعه عن الدنيا وسَفْسَافها من الأمور الهزيلة والحقيرة، وكأنه يصفه بالكرامة وعِزَّة النَّفس وصونها عن كل ما يخدشُها أو يَشِيْنُها.

ولا شك في أنَّ الصِّفات الرائقة التي رأى ابن النجار شيخه الضياء عليها – وقد صحبه في بعض رحلاته–، وتلك النزاهة التي تمتع بها الشيخ سواء أكانت في مطعمه وملبسه، أو علمه وتعليمه، أو كسبه وارتزاقه، أو في ترفعه عن مجالسة الظالمين والحقراء، ألزمت التلميذ على اتخاذ شيخه قدوة له في جميع الجوانب المُشْرقة التي أشار إليها فيما تقدم من كلمات رائعة.

ثم إنَّ ابن النجار لم يُخْفِ إعجابه بطريقة شيخه في طلب العلم، وارتحاله فيه سنوات عديدة، وكيف كان يتتبع حلقات العلم ومجالس الشيوخ، ويكتب ما يسمع من أحاديث ومرويات، ويُدوِّن ما يلقى إليه من فوائد، ويصنف الكتب وهو لم يزل بعد في مرحلة الطلب. وكيف كان ينَظِّم وقته بين القراءة والكتابة والعبادة وفعل الخيرات، حتى أنه لا ينفق شيئًا من وقته في غير فائدة. . . إلى غير ذلك من أمور الدَّرْس وطلب العلم، مما أَثَّرَ في نفس وقلب ابن النجار فاعتبر طريقته هي المُثْلى في طلب العلم فانتهجها، الأمر الذي مَكَّنَهُ من السماع من هذا العدد الكبير، وكان من تصانيفه تلك المصنفات الفريدة، ومن أهمها: (القمر المنير في المسند الكبير)، و (كنز الإمام في السُّنن والأحكام)، كما عمل تاريخًا حافلاً لمدينة بغداد، ذيَّل به واستدرك على الخطيب البغدادي، وقد قال الذهبي عن تاريخه هذا: « وهو في مائتي جزء يُنْبِئُ بحفظه ومعرفته». (الذهبي، 1985م: 23/ 132).

◄ المطلب الثاني: المحدث البارع مفيد الطلبة، أبو الفتح عز الدين عمر بن محمد بن منصور الأَمِيْنِي، الدمشقي، الجُنْدِيُّ، المعروف بابن الحاجب. (انظر ترجمته في: المنذري، 1984م: 3/ 346)، والذهبي، 1985م: 22/ 370 – 371، والذهبي، 1993م: 45/ 399). سمع من هبة الله ابن طاووس، والموفق، والفتح بن عبد السلام، وعدّة. وسمع منه شيخه إبراهيم الصِّريفيني، وابن الصَّابوني، وخلائق.

« كان مِنْ أَذْكِيَاء الطَّلَبَة، وَأَشَدِّهم عِنَايَةً، كَتَبَ الكَثِيْرَ، وَصَنَّفَ، وتوفي وَلَمَّا يَبْلُغ الأَرْبَعِيْنَ من العمر، وعمل معجم البقاع والبلدان التي سمع بها، ومعجم شيوخه وهم ألف ومائة وبضعة وثمانون نفسًا». (الذهبي، 1993م: 45/ 400).

كتب عنه شيخه الضياء وأثنى عليه فقال: « وَفِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلاَثِيْنَ وَستِّ مائَة تُوُفِّيَ صَاحِبُنَا الشَّابُّ الحَافِظُ ابْنُ الحَاجِب. . . وكانَ دَيِّنًا، خيِّرًا، ثَبتًا، متيقظًا، قد فَهِمَ وجَمَعَ. » (الذهبي، 1985م: 22/ 371).

أما هو فمع كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم إلا أنَّ كلامه عن شيخه الضِّياء مُضَمَّخٌ بعطر المودة والاعتراف بالجميل، والإقرار بالعظمة ونُبل الأوصاف، ولو أني أوردت كلامه فيه دون تعليق لكفى، ففي كلامه ما يدلل على مدى تأثر هذا العالم الفتيِّ بشيخه الجليل، لا في الأخلاق فحسب، بل في العلم أيضًا، وقوله فيه أنه كان

من العلماء الربانيين أكبر غناء عن أي وصف آخر، فكيف وقد سكب له سلاسل الذهب من الأقوال التي يدل واحدها على توثيقه، وجمع له الأخلاق في بَوْتَقَة العلم والتُّقوى، فقال فيه رحمه الله: « شيخنا أَبُو عَبْد الله، شيخُ وقته، ونَسيْجُ وحْده، علمًا وحفْظًا وثقةً ودِيْنًا، من العُلماء الربّانيّين، وهو أكبر من أَنَ يَذُلَّ عَلَيْه مثلي. كَانَ شديد التّحرّي في الرّواية، ثقةً فيما يرويه، مجتهدًا في العبادة، كثيرَ الذِّكْر، منقطعًا عَن النّاس، متواضعًا في ذات الله، صَحيح الأُصُول، سهلَ العارية، ولقد سَألت عَنْهُ في رحَلتي جماعةً من العارفين بأحوال الرجال، فأَطْنَبوا في حقّه وَمدحُوه بالحفْظ والزُّهْد، حتّى إنّه لو تكلَّم في الْجَرْح والتّعديلَ لقُبِلَ منه. » (الذهبي، 1993م: 47/ 211).

وهو لا يكتفي للتدليل على عظمة شيخه بما علمه عنه ورآه فيه، بل ينقل حديث أهل العلم والخبرة والدراية بأحوال الرجال، وثنائهم عليه، بل والإطناب في ذكر فضائله وخصاله، مع مدحه في جانبي شخصيته وهما: الحفظ والزهد، فقد كان آية في الحفظ والعلم، منقطع النظير متقدمًا على أقرانه، له قدم راسخة في العلم، خاصة علم الحديث. أما الزهد فقد كان شعاره ودثاره، لا بالقول والوعظ، وإنما بالفعل والقدوة الحسنة، وهو ما وصفه به سائر من تكلم عنه، فتلك صفة فيه هي أظهر من أن تخفى، لملابستها له واتصافه بها.

أما قوله أنه لو تكلم في الجرح والتعديل لقبل منه، فقد تكلم الحافظ الضياء في الجرح والتعديل فقبل العلماء قوله، واستندوا إليه واعتمدوه، ولا أدل على ذلك من قبولهم تصحيحه لأحاديث لم يسبق إلى تصحيحها، كما فعل في كتابه الأحاديث المختارة.

◄ المطلب الثالث: المحدّثُ، المفيدُ، الشَّابُّ، الزَّكيُّ، مُحَمَّد بْن الْحَسَن بْن سالم بن سلاَّم، أبو عبدالله، الدمشقي. (انظر ترجمته في: المنذري، 1984م: 3/ 335 – 336، والذهبي، 1993م: 45/ 407، والذهبي، 1984م: 5/ 122). ولد سنة (609هـ)، وسَمِعَ الكثير من: داود بن مُلاعب، وأبي مُحَمَّد بْن البُنّ، وأبي القاسم ابْن صَصريّ، وطائفة كبيرة.

عُنيَ بالحديث أتمّ عناية، ونسخ، وحصَّلَ، وخرَّج، وكان ذكيًا، نبيهًا، لَهُ حفظ وإتقان، وفيه دِيَانة وافرةٌ وصلاحٌ على صِغره.

أثنى عليه ابن الحاجب فقال: « حفظ علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم. وكان قد حجّ، وزار البيت المُقدّس، وقدم مريضًا، فتوفّي إلى رحمة الله في الرّابع والعشرين من صفر سنة (630هـ). وفُجِعَ به والده وأصحَابه».

لم يُعَمِّر طويلاً، ولم يَعْرف الدنيا غير إحدى وعشرين سنة، لكنه كان فيها على خير حال، من طلب للعلم وأداء للعبادة، فلا غَرْو أنْ نجد شبهًا كبيرًا بين كلامه عن شيخه الضياء وحقيقة حاله التي كان عليها، الأمر الذي يُفيد طولَ الصُّحبة وشدةَ التأثر، وهذا الإمام الذهبي يقف على بعض ما خَطَّه ابن سلاَّم في شيخه في بعض الصفحات التي خلَّفها وراءه، ثم أصبحت وقفًا في مكتبة الحافظ الضِّياء. (قال الذهبي، 1993م: 47/ 213:

«وأجزاؤه موقوفة بالضّيائية، وعُدِمَ أكثرها في نوبة غازان»، وينقل بعض العبارات التي تُبيِّن عمقَ العَلاقة التي كانت بين الشيخ وتلميذه، وذاك الإعجاب والحُبُّ الذي كان يحمله ذاك الفتى لأستاذه، فيقول: «مُحَمَّد بْن عَبْد الواحد شيخنا، ما رَأَيْت مثله في ما اجتمع لَهُ. كَانَ مقدَّمًا في علم الحديث، فكأنّ هذا العلم قد انتهى إلَيْه وسلَّم لَهُ. ونظر في الفِقْه وناظَرَ فيه، وجمع بين فقه الحديث ومعانيه. وشدّ طرفًا من الأدب وكثيرًا من اللّغة والتّفسير. وكان يحفظ القرآنَ واشتغل مُدّةً به، وقرأ بالرِّوايات عَلَى مشايخ عديدة، وكان يتلوه تلاوةَ عذْبةً. وجَمَعَ كلَّ هذا مَعَ الورع التّامِّ والتّقشُّف الزَّائد، والتّعفُّف والقناعة والمروءة والعبادة الكثيرة، وطَلْق النَّفْس، وتجنّبها أحوال الدّنيا ورُعُوناتها. والرِّفق بالغُرباء والطُّلاب، والانقطاع عَن النّاس، وطول الروح على الفقير والغريب. وكان محبًّا لمن يأخذ عنه، مكرمًا لمن يسمع عليه. وكان يحرّض على الاشتغال، ويعاون بإعارة الكتب. وكنت أسأله عَن المشكلات فيجيبني أجوبة شافية عَجَزَ عَنْهَا المتقدّمون، ولم يدرك شَأْوها المتأخّرون. قرأتُ عَلَيْه الكثير، وما أفادني أحدٌ كإفادته. وكان ينبّهني عَلَى المهمّات من العوالي، ويأمرني بسماعها، ويُكْرمني كثيرًا وقرأت عَلَيْه «صحيح مُسْلم». كانت لَهُ أَرْيْضَة بباب الجامع ورثها من أبيه، وكان يبني فيها قليلاً قليلاً عَلَى قدر طاقته، فيُسّر بنا كثيرًا عَنْهَا بهمّته وحُسْن قصده وإجابة دعوته، ونزل فيها المشتغلون بالفقه والحديث، وكان ما يصل إلَيْه من وقف يوصله إليهم ويصرفه عليهم. ورَامَ بعضُ الكبار مساعدتَه ببناء مصنّع للماء فأبى ذَلكَ وقال: لا حاجة لنا في ماله. وكان من صغره إلى كبره موصوفا بالنُّسك، مشتغلا بالعلم. » (الذهبي، 1993م: 47/ 213 – 214).

فهذه شهادة جامعة للحافظ الضياء من تلميذه الشاب الذي يراه بعيني قلبه وعقله قامَةً سامِقَةً لا تُدانيها قامة أخرى من القامات العملاقة التي كانت تَعُجُّ بهم دمشق يوم ذاك.

ولو أننا دققنا النظر في كلماته النيرة البديعة لاستطعنا من خلالها رسم الصورة الأخلاقية التي كان يتمتع بها الضياء في تعامله مع طلابه، والمثال الذي يمكن أن يُحتذى في التعليم والصبر على الطلاب، وبذل أقصى ما يمكن لهم من العلم والجهد، بل والمال.

◄ المطلب الرابع: تقي الدين، أبو الفضل، قاضي القضاة، سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي (ت 715هـ).

الإمام الحافظ المسند الرحالة، قال عنه البرزالي: « كان شيخًا جليلاً فقيهًا كبيرًا، بهيَّ المنظر، وضيءَ الشَّيْبَة، حسنَ الشَّكل، مواظبًا على حضور الجماعات وعلى قيام الليل والتلاوة والصيام، له أورادٌ وعبادة، عارفا بالفقه، وله حلقة بالجامع المظفري، وكان يذكر الدرس ذكرًا حسنا متقنا، وكان قويَّ النفس ليِّنَ الجانب، حسن الخُلُق متودّدًا على الناس، حريصًا على النفع وقضاء الحوائج. » (انظر ترجمته في: ابن رجب الحنبلي، 2005م: 2/ 365).

لزم هذا التلميذُ النبيه شيخه الحافظَ الضياء طوال المدة التي أدركه فيها، وقد ساعده وأتاح له هذه الملازمة التامة الطويلة أمران: فكلاهما دمشقي صالحي، وكلاهما يتصلان ببعضهما بنوع من القرابة، فجد سليمان الأعلى هو جد الضياء المباشر لأمه الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة، وجد سليمان المباشر هو ابن خال الضياء، وهذه العلاقة القريبة والجميلة بين أفراد الأسرة الطيبة، مع حب الضياء لطلبة العلم وبذله نفسه لهم، أتاح لسليمان تلك الملازمة التي لم يحظ بها غيره.

وعلى الرغم من أنه لم يعاصره غير خمس عشرة سنة – إذ ولد سليمان سنة 628هـ–، وكانت وفاة الضياء سنة 643هـ–، منها سنوات طفولته الأولى التي يغلب عليها ما عليه الأطفال من لعب ولهو، إلا أنَّه أخذ عن الضياء كثيرًا، مما لا يُتخيل مثله، ممن هو في مثل سنه، وقد قال عن نفسه وما أخذه من المرويات والمسموعات من الضياء: « سمعت منه نحو ألف جزء. » (الذهبي، 1993م: 47/ 213). وذاك ميراث عظيم، وقدر كبير من العلم، لو أنه لم يأخذ غيره من غيره لكفاه، **وهذا النص القصير جدا يكشف عن عدة أمور في شخصية الشيخ وشخصية التلميذ، منها:**

- شدة التصاق التلميذ سليمان بن حمزة بشيخه الضياء، والتزامه له، ومصاحبته إياه، حتى تمكن من أخذ هذا الكم الكبير من المرويات عنه، وهو لم يأخذها كُتُبا بالإجازة، بل صرح بسماعه لها.
- تلك القدرة على التلقي والجَلَدِ في طلب العلم عند سليمان في ذاك العمر المبكر والقليل.
- الاهتمام بطلب العلم في السن المبكرة، ولو أنه تأخر في الطلب لما تمكن من أخذ هذا القدر من المسموعات.
- عناية الضياء الشديدة بالفتيان، وطول الصبر عليهم، ومنحهم الوقت والعلم، فعمر سليمان لم يكن يوم وفاة الضياء يتجاوز خمس عشرة سنة.
- عطاء الضياء وعدم تقتيره على طلبة العلم، فقد كان يذهب في العلم إلى نهايته، ويعطي فيه عطاء من يحب أن يكون علمه عند غيره ممن يستحق أن يحمله.

وقد أثمر فعله هذا مع سليمان، فكان سليمان أكثر من روى عن الضياء، وحفظ مصنفاته، ثم أخذ منه الآخذون، ونقل عنه الناقلون علم الضياء وكتبه، فكان بحق حلقة الوصل بين جيلين عظيمين جيل الضياء وجيل تلاميذ سليمان.

◄ المطلب الخامس: كانت المطالب الأربعة المتقدمة متميزة في مضامينها، وأضيف هنا أيضًا – بدون تعليق – جملة مختصرة من الأقوال في الثناء على الحافظ الضياء لثلة من تلاميذه الآخرين، تصبُّ في بحر فضائله، وتفيد ما أفادته الأقوال السابقة، وتزيدها قوةً لتَرْقى إلى مرتبة تفيد الجزمَ بأنَّ الحافظ الضياء كان عالمًا متميزًا مؤثرًا، له شخصيته العلمية الخاصة، وله منهجه التربوي الفريد.

قَالَ عُمَرُ بنُ الحَاجِبِ: « سَأَلتُ زَكِيَّ الدِّيْنِ البِرْزَالِيَّ عَنْ شَيْخِنَا الضِّيَاء، فقَالَ: حَافِظٌ ثِقَةٌ، جَبَلٌ دَيِّنٌ، خَيِّرٌ. » (الذهبي، 1993م: 47/ 211).

وقالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّيْنِ عَبْد الرَّحْمَنِ بن العِزِّ: « مَا جَاءَ بَعْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ مِثْل شَيْخِنَا الضِّيَاء. » (الذهبي، 1985م: 23/ 128).

وقال الحافظ الأديب شرف الدين أَبُو المظفَّر يوسف بن الحسن بن مفرج النّابلسيّ، الدمشقي: « ما رَأَيْت مثل شيخنا الضّياء. » (الذهبي، 1993م: 47/ 212).

وَقَالَ الحَافِظُ شَرَفُ الدِّيْنِ يُوْسُفُ بنُ بَدْرٍ: « رَحِمَ **اللهُ** شَيْخَنَا ابْنَ عَبْد الوَاحِد، كَانَ عَظِيْمَ الشَّأْنِ في الحِفْظِ وَمَعْرِفَةِ الرِّجَال، هُوَ كَانَ المُشَارَ إِلَيْهِ فِي عِلْمِ صَحِيْحِ الحَدِيْثِ وَسَقِيْمِه، مَا رَأَتْ عَيْنِي مِثْلَهُ. » (الذهبي، 1985م: 23/ 128 – 129).

وقال عنه تلميذه محمد بن سليمان البغدادي: «شيخنا، وسيدنا، الإمام، العالم العامل، الحافظ الأوحد، ضياء الدين، صدر الحفاظ، . . . . أبقاه **الله**. » (ضياء الدين المقدسي، 2008م: 4/ 452).

وقال تلميذه سيف الدين بن المجد: « شيخنا، الإمام العالم، الحافظ، الناقد، عمدة النقلة. » (ابن عبد الهادي، 1996: 4/ 189).

ثم إنَّ طلابه وتلاميذه ومن أخذ عنه وتأدب بأدبه ونهل من علمه واقتفى أثره أكثر من أن يُعَدُّوا.

النتائج

وأخيرًا فهذه جملة من النتائج أجعلها خاتمة بحثي، التَقَطْتُها من بين ثناياه، ورجوت ربي أن ينفع بها، وأهمها:

1. إنَّ مرحلة طلب العلم التي ابتدأها الحافظ الضياء يوم كان صبيًا، لم تنته إلا بانقضاء الأجل، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه **الله**: « مع المحبرة إلى المقبرة». (هرماس، 2014: 13)، وقد ثبت أنه بقي في التأليف حتى مماته، فقد ذكر الذهبي في ترجمة شرف الدين أبي محمد عبدالله بن الشيخ أبي عمر (ت643هـ) أنَّ الضياء أَرَّخَ وفاته في العشرين من جمادى الآخرة، ثم مات بعده بأسبوع. (انظر الذهبي، 1993: 47/ 172)، وهذا هو المسلك السَّوي والمنهج القويم لكل من أراد أن يكون عالمًا بحق.

2. هذا العدد الوفير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الحافظ الضياء، والذين بلغ عددهم أكثر من خمسمائة، يدل دلالة واضحة على ما قدمته في النتيجة الأولى، وعلى الرحلة الواسعة التي كانت يومها من لازم طالب العلم عند الغالبية العظمى منهم.

3. تلك البركة في العمر والجهد، التي أكرم **الله** بها بعض العلماء، فأنجزوا بجهدهم الفردي في السنوات القليلة أعمالا موسوعية لو اجتمع عليها الفئام من الناس ما أنجزوها، فمؤلفات الحافظ الضياء قد زادت على المائة، ولولا أنَّ **الله** بارك له في وقته وجهده لما أنجز واحدًا منها، ولو أنَّ أحد أبناء هذا العصر أنجز مؤلفًا واحدًا في مثل كتاب الأحاديث المختارة، لعُدَّ من الأفذاذ وأعيان العلماء، فكيف استطاع أن ينجزها كلها؟؟ إنه التوفيق الرباني، والبركة الإلهية.

4. الهمة الموسوعية التي وجدت عند سلفنا الصالح، والتي تجلت بوضوح عند الحافظ ضياء الدين المقدسي في أعماله الكثيرة، ومؤلفاته الكبيرة، مع التنوع والاختلاف في الموضوعات، من حديث، وتاريخ، وفقه، وتراجم، وإن كان الغالب هو الحديث الشريف.

5. عدم الانفكاك بين طلب العلم والعمل به، وما فائدة العلم إن لم يتبعه العمل، والجمع بين الأمرين متمثل في أبهى صوره في الحافظ الضياء الذي طلب العلم طوال عمره، وعمل به في خاصة نفسه، ثم نشره بين الناس من خلال الإقراء والتدريس، سواء أكان في المساجد أو في مدرسته الضيائية المحمدية الخاصة المجانية.

6. من خلال تصفح سير تلاميذ الحافظ الضياء، والوقوف على أقوالهم فيه، يدرك المرء أنه كان أستاذًا ناجحًا وعالمًا مربيًا، جمع بين العلم والتربية في صورة موفقة فريدة رائعة. يؤيد ذلك ويؤكده تلك النخبة من الطلبة الذين تخرجوا عليه، ثم كانوا أعيان الزمان.

توصيات

في ضوء ما تقدم من عرض تحليلي لشخصية الحافظ الضياء المقدسي، في ضوء النصوص الواردة على ألسنة تلاميذه، فإن الباحث يوصي بما هو آت:

1. يجب أن يذهب جزء من اهتمام الباحثين خاصة في فلسطين اليوم إلى التعريف بالعلماء السابقين من أهلها أو المنتمين إليها، فهذا جزء من التاريخ الذي يجب أن يعرفه جيل الحاضر.
2. وعلى الجامعات الفلسطينية أنْ تحثَّ الباحثين على هذا النوع من الدراسات التي يجهلها كثير من العلماء فضلاً عن العامة، كما أنَّ عليها أن تتولى طباعة أبحاثهم ونشرها.
3. كما يلزم العناية بمخطوطات هؤلاء العلماء التي لم تر النور، ومحاولة جمعها من أقطار العالم، من خلال إنشاء مراكز المخطوطات في الجامعات. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. الآبي، منصور بن الحسين الرازي (ت 421هـ) – نثر الدر في المحاضرات – تحقيق خالد محفوظ – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 2004م) ج 3.
2. الأوزبكي، يوسف بن محمد مروان بن سليمان المقدسي – تاريخ المذهب الحنبلي في فلسطين – (عمان/ الأردن – الدار الأثرية – د. ط – 2010م).
3. ابن الأبار، محمد بن عبدالله القضاعي (ت 658هـ) – المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه – تحقيق – (بيروت/ لبنان – دار صادر – د. ط – 1985م).
4. البخاري، محمد بن إسماعيل (256هـ) – الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري – محمد زهير الناصر – (بيروت/ لبنان – طوق النجاة – ط الأولى – 1422ه) ج 2.
5. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت597هـ) – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – (بيروت/ لبنان – دار صادر – ط الأولى – 1358هـ) ج10.
6. الحافظ، محمد مطيع – التنويه والتبيين في سيرة محدث الشام الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الصَّالحي الحنبلي المتوفى: 643هـ – (بيروت/ لبنان – دار البشائر الإسلامية – ط الأولى – 1999م).
7. الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت626هـ) – معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – تحقيق إحسان عباس – (بيروت/ لبنان – دار الغرب الإسلامي – ط الأولى – 1993م) ج6.
8. الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت626هـ) – معجم البلدان – (بيروت/ لبنان – دار صادر – ط الثانية – 1995م) ج 2.
9. ابن حمدون، محمد بن الحسن البغدادي (ت562هـ) – التذكرة الحمدونية – (بيروت/ لبنان – دار صار – ط الأولى – 1417هـ) ج 2.
10. ابن خَلِّكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ) – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – تحقيق إحسان عباس – (بيروت/ لبنان – دار صادر – د. ط – 1994م) ج 2، 3.
11. ابن الدمياطي، أحمد بن أيبك الحسامي (ت749هـ) – المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – د. ط – د. ت).
12. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – تحقيق عمر عبد السلام تدمري – (بيروت/ لبنان – دار الكتاب العربي – ط الثانية – 1993م) ج 38، 41، 44، 45، 46، 47.
13. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – تذكرة الحفاظ – تحقيق زكريا عميرات – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1998م) ج 4.
14. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – سير أعلام النبلاء – تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – (بيروت/ لبنان – مؤسسة الرسالة – ط الأولى – 1985م) ج 20، 21، 22، 23.
15. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – العبر في خبر من غبر – تحقيق صلاح الدين المنجد – (الكويت/ دولة الكويت – مطبعة حكومة الكويت – د. ط – 1984م) ج 5.
16. ابن رجب الحنبلي، عبدالرحمن بن أحمد (ت 795هـ) – ذيل طبقات الحنابلة – تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العثيمين – (الرياض/ السعودية – مكتبة العبيكان – د. ط – 2005م) ج 1، 2، 3.
17. أبو زيد، بكر بن عبدالله (ت1429هـ) – المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب – (جدة/ السعودية – دار العاصمة – مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجده – ط الأولى – 1417هـ) ج 1.
18. السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين (ت771هـ) – طبقات الشافعية الكبرى – تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو – (ب. ب. ن. هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ط الأولى – 1413هـ) ج 8.
19. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ) – الغاية في شرح الهداية في علم الرواية – تحقيق محمد سيدي محمد الأمين – (المدينة المنورة/ السعودية – مكتبة العلوم والحكم – ط الثانية – 2002م) ج 1.
20. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ) – فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي – تحقيق علي حسين علي – (مصر – مكتبة السنة – ط الأولى – 2003م) ج 2.
21. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – (صيدا/ لبنان – المكتبة العصرية – د. ط – د. ت) ج 2.
22. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – (القاهرة/ مصر – دار إحياء الكتب العربية – ط الأولى – 1967م) ج 1.
23. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) – طبقات الحفاظ – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1403هـ).
24. شوقي، أحمد (ت1932م) – الشوقيات – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الرابعة – 2015م) ج 1.
25. ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ) – فوات الوفيات – تحقيق إحسان عباس – (بيروت/ لبنان – دار صادر – ط الأولى – 1973 – 1974م) ج 3.
26. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ) – الوافي بالوفيات –

تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى – (بيروت/ لبنان – دار إحياء التراث – د. ط – 2000م) ج 4، 6، 8.

27. ضياء الدين المقدسي، محمد بن عبدالواحد (ت643هـ) – الأحاديث المختارة – تحقيق عبدالملك بن دهيش – (مكة المكرمة/ السعودية – مكتبة الأسدي – ط الخامسة – 2008م) ج 4.

28. ضياء الدين المقدسي، محمد بن عبدالواحد (ت643هـ) – مناقب الشيخ أبو عمر المقدسي – تحقيق عبدالله الكندري – (بيروت/ لبنان – دار ابن حزم – ط الأولى – 1997م).

29. ابن طولون، محمد بن علي الصالحي (ت953هـ) – القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية – تحقيق محمد أحمد دهمان – (سوريا – من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ط الثانية – 1980م) ج 1.

30. ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد الصالحي (ت744هـ) – طبقات علماء الحديث – تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق – (بيروت/ لبنان – مؤسسة الرسالة – ط الثانية – 1996م) ج 4.

31. ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ) – شذرات الذهب في أخبار من ذهب – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1998م) ج 5.

32. القفطي، علي بن يوسف (ت646هـ) – إنباه الرواة على أنباه النحاة – (بيروت/ لبنان – المكتبة العصرية – ط الأولى – 1424ه) ج 2.

33. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ) –البداية والنهاية – (بيروت/ لبنان – دار الفكر – د. ط – 1986م) ج 13.

34. مسلم، مسلم بن الحجاج (ت261هـ) – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – (القاهرة/ مصر – دار الحديث – ط الأولى – 1997م) ج 4.

35. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت656هـ) – التكملة لوفيات النقلة – تحقيق بشار عواد – (بيروت/ لبنان – مؤسسة الرسالة – ط الثالثة – 1984م) ج 2، 3.

36. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد (ت884هـ) – المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد – تحقيق عبدالرحمن العثيمين – (الرياض/ السعودية – مكتبة الرشد – ط الأولى – 1990م) ج1.

37. نجار، حسناء بكري أحمد – الضياء المقدسي وجهوده في علم الحديث – رسالة دكتوراه – مقدمة إلى جامعة أم القرى – (مكة المكرمة/ السعودية – سنة 1420هـ).

38. النعيمي، عبدالقادر بن محمد (ت 927هـ) – الدارس في تاريخ المدارس – تحقيق جعفر الحسني – (بيروت/ لبنان – دار الكتاب الجديد – ط الأولى – 1981م) ج 2.

39. ابن نقطة، محمد بن عبدالغني بن أبي بكر الحنبلي البغدادي (ت629هـ) – التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد – تحقيق كمال الحوت – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1988م).

40. هرماس، غسان عيسى محمد – مختصر مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي – (بيت لحم/ فلسطين – دار الطيب للطباعة والنشر – ط الثانية – 2014م).

41. اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي (ت 768هـ) – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان – تحقيق خليل المنصور – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1997م) ج 3.

التحسين والتقبيح عند المذاهب الأربعة
دراسة أصولية تحليلية مقارنة

A jurisprudential, An analytical and A comparative Study of Al - Tahsin and Al - Taqbih in the Four Schools of Islamic Jurisprudence Four Schools of Islamic Jurisprudence

أ. علاء محمد حلاوة
طالب دكتوراه/ جامعة مالايا/ ماليزيا

د. رضوان بن أحمد
الرتبة العلمية: أستاذ مساعد/ جامعة مالايا/ ماليزيا

Ala' Mohammad Halawa
PhD. Student/ Malaya university/ Malaysia
halawaala82@gmail. com

Dr. Ridzwan Bin Ahmad
Assistant professor/ Malaya university/ Malaysia
ridzwan@um. edu. my

هذا البحث جزء من أطروحة دكتوراه للباحث

تاريخ الاستلام: 25/ 6/ 2019م، **تاريخ القبول:** 2/ 9/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

Received: 25/ 6/ 2019, **Accepted:** 2/ 9/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547519
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

ملخص:

بحث الأصوليون المعاصرون مسألة «التحسين والتقبيح» حاصرين الخلاف بين المتكلمين، جريًا على منهج المتقدمين، ولاحظ الباحث أن نقلهم لمذهب الأشاعرة ومذهب الماتريدية والمعتزلة، بحاجة للتحقيق والتدقيق؛ فأراد تصحيح النقل عن المذاهب الكلامية، وحقق مذاهب الأئمة الأربعة، متّبعًا المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، وأنصف أبا الحسن الأشعري الذي وافق مالكًا والشافعي وأحمد وجماهير أتباعهم، وبيّن مخالفة ابن تيمية لجماهير العلماء متقدمهم ومتأخرهم، وبيّن صحيح مذهب الماتريدية، مراعيًا إخراج المسألة من الإطار الكلامي إلى الإطار الأصولي المذهبي، وجاء البحث في أربعة مباحث، أولها: في معنى الحسن والقبح لغةً واصطلاحًا، والثاني: في مذاهب العلماء في الحسن والقبح الذاتي، والثالث: في طريق معرفة الحسن والقبح، وجاء الرابع مقارنةً بين مذهب الحنفية ومذهب المعتزلة ومذهب ابن تيمية، وتوصل الباحث في الجملة إلى أن مذهب متقدمي الحنفية ومذهب المعتزلة وابن تيمية أن الحسن والقبح عقليان، وأن مذهب الأشاعرة والمالكية والشافعية والحنابلة وبعض متأخري الحنفية أن الحسن والقبح شرعيان، وتم وسم البحث بعنوان (التحسين والتقبيح عند المذاهب الأربعة، دراسة أصولية تحليلية مقارنة).

كلمات مفتاحية:

التحسين والتقبيح، الماتريدية، الأشاعرة، المعتزلة

Abstract:

Contemporary jurisprudents have studied the issue of Altahseen and Altaqbeeh as if the disagreement was between the People of Speech, following the method of the Contemporary Scholars. The researcher noticed that their review of the opinions of the Ash'aryah, the Maturidiyyah and the ***Mu'tazilah needs to be investigated, so*** *the researcher has:*

1. Corrected reviewing the opinions of the People of Thought.

2. Investigated thoroughly the opinions of the Four Schools of Islamic Jurisprudence.

3. Gave a just judgment of Aba Alhassan Ala'sh'arie who agreed with Malek, Alshafie, Ahmad and the majority of their followers.

4. Clarified that Ibn Taymiya has disagreed with the majority of the scholars, be they contemporary or early.

5. Clarified the mistake of most contemporary scholars in reviewing the opinion of the Maturidiyyah, making sure to get out this issue from the framework of Speech to that of Jurisprudence.

This research has been divided into four chapters; the first is concerned with the meaning of the Husn and the Qubh linguistically and technically; the second is concerned with the opinions of the Scholars in Alhusn and Alqubh Aldhati; the third is concerned with the way to know Alhusn and Alqubh; the fourth is concerned with the comparison of the Maturidiyyah's opinion with those of the Mu'tazilah and Ibn Taymiyyah. The researcher has concluded that Alhusn and Alqubh is a matter of thought for early Hanafi, Mu'tazila and Ibn Taymiya. However, Alhusn and Alqubh is a jurisprudential matter for Ash'aryah, Malekis, Hanablis, Shafi'es and some late Hanafis.

This researched was titled as: " A jurisprudential, An analytical and A comparative Study of Al - Tahsin and Al - Taqbih in the Four Schools of Islamic Jurisprudence".

Keywords:

Al - Tahsin and Al - Taqbih, Maturidiyyah, Ash'aryah, Mu'tazilah.

أولًا: المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذه دراسة لمسألة التحسين والتقبيح وهي من أمّات مسائل أصول الفقه، ولذلك اعتنى الأصوليون من علماء المذاهب الأربعة ببحث التحسين والتقبيح عنايةً شديدة، وذهب العلماء فيه مذاهب، وللمسألة تشعبات وفروع كثيرة [1].

ورغم ذلك الاعتناء إلا أن البحث والخلاف في المسألة ظل يُنصب بين المتكلمين بمعزل عن قول أئمة المذاهب، وحتى في العصر الحديث فإن العلماء الذين صنفوا في أصول الفقه حصروا البحث بين الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة [2]، بينما المسألة ليست كلامية فحسب، بل هي مسألة أصولية أيضًا كما ذُكر، وكان ينبغي أن يُنسَب البحث والخلاف فيها إلى أصحاب المذاهب الفقهية والأصولية، ولا سيما في كتب الأصول، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن أصحاب المذاهب الأربعة بيّنوا مذاهبهم صراحةً، والزركشي ذكر مذهب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم [3]، وكتب الأصول على المذاهب الأربعة بيّنت الرأي في المسألة بالتفصيل، فكان ينبغي –في نظر الباحث – أن يبيَّن رأيُ أصحاب المذاهب الأربعة والأصوليين المنتسبين لهذه المذاهب في الموضوع، لا أن يحصر البحث بين فرق الكلام!

لذلك فقد رأى الباحث إعادة تحقيق آراء أئمة الفقه والأصول لطلاب تخصص الفقه والأصول، وتصحيح بعض الأخطاء التي وقعت في نسبة الأقوال لأصحابها داعيًا الله التوفيق والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ثانيًا: مشكلة البحث:

وتتلخص فيما يلي:

- حَصْر البحث والخلاف بين المتكلمين حتى في كتب أصول الفقه، واستمر هذا الحصر في مؤلفات المعاصرين.
- اعتبار مذهب الماتريدية مذهبًا ثالثًا ووسطاً في المسألة،

بينما هم مختلفون، متقدم وافق المعتزلة جملة وتفصيلا، ومتأخر وافق الأشاعرة.

- عدم تفريق بعض الباحثين بين كون التحسين والتقبيح ذاتيين في الأفعال وكون العقل يستقل بمعرفة الحسن والقبح أو لا يستقل، فنسبوا للمعتزلة القول بأن الحسن والقبح يُعرفان بالعقل دون تفصيل، على اعتبار أنهم قالوا بأن الحسن ذاتي! وهذا الأمر بحاجة إلى نظر وتحقيق.

- ظن بعض الباحثين أن الأشاعرة أنكروا التحسين والتقبيح العقليين مطلقاً، والحقيقة خلاف ذلك.

ثالثًا: أهداف البحث:

يأمل الباحث أن يحقق الأهداف الآتية:

- تصحيح النقل عن المذاهب الكلامية.
- تبيان رأي الأئمة الأربعة في المسألة، وتحقيق مذهب الحنفية.
- إنصاف الإمام أبي الحسن الأشعري.
- إخراج البحث من إطار المتكلمين إلى إطار الفقهاء والأصوليين.

رابعًا: أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في إخراج موضوع التحسين والتقبيح من إطار المتكلمين إلى إطار المذاهب الفقهية والأصولية، وفي تحقيق مذاهب المتكلمين والأصوليين لتصحيح اللبس الواقع في نقل تلك المذاهب.

خامسًا: الدراسات السابقة:

- التحسين والتقبيح العقليان وأثرهما في مسائل أصول الفقه، رسالة دكتوراه، للدكتور عايض الشهراني، بيَن المؤلف فيها معنى البحث وجذوره الفلسفية والكلامية، وبيّن أهميته الأصولية، ثم الخلاف الواقع فيه بين المتكلمين والأصوليين، ثم بيّن أثر البحث على مسائل أصول الفقه، ويتميز هذا البحث عن رسالة الدكتور عايض في الهدف جملة، وبالإنصاف في نقل المذاهب، لا سيما مذهب الأشاعرة، حيث إن الشهراني قد أصر على ادعاء شذوذ الأشاعرة في المسألة، وجعل المذهب الوسط والصحيح هو رأي ابن تيمية ومن تبعه، بل ونسبه لجمهور السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم [4]!

ويتلخص مذهب ابن تيمية–بحسب الشهراني – بأن العقل يستقل بمعرفة الحسن والقبح ولكنّ ترتب الثواب والعقاب متوقف على الشرع ولا تلازم بين الأمرين، ونسب هذا الرأي لجمهور السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، وأحال الشهراني على كتب ابن تيمية، متجاهلًا كلام الأصوليين من المالكية والشافعية، والحنابلة رغم أنهم من أهل مذهبه [5]، فلم ينصف الدكتور الأشاعرة في هذه المسألة! مع أن مذهب سلف الحنابلة وخلفهم هو مذهب الأشاعرة، بل صرحوا بأنه مذهب الإمام أحمد [6]، ناهيك عن قول المالكية والشافعية! والإنصاف عزيز.

- دور العقل في إدراك الحكم الشرعي قبل ورود الشرع، وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، للأستاذ الدكتور ماهر الحولي، بيّن المؤلف فيه الخلاف في المسألة، ويرى الدكتور الحولي أن الماتريدية اختلفوا عن مذهب المعتزلة واختلف متقدمهم مع متأخرهم، فمتقدمو الماتريدية خالفوا المعتزلة في جواز عفو **الله** عمن لم تبلغه الرسالة ولم يعمل عقله بينما منع من ذلك المعتزلة، وخالف متأخرهم المعتزلة في أن الموجِب هو **الله** لا العقل، وخالف المتأخرون أصحابهم المتقدمين بأنه لا تكليف إلا بورود الشرع [7]. ونسب للسلف مذهب ابن تيمية وهو أن في الأفعال حسنًا ذاتيًا، ويدرَك بالعقل، ولكن المدح والذم متوقف على السمع [8]، ويرى الباحث أن هذا الكلام بحاجة لإعادة نظر، وسيتبين خلاف ذلك خلال البحث، ويتميز هذا البحث عن بحث الأستاذ ماهر الحولي بالدقة في نقل مذاهب الفرق الكلامية، وبإخراج الموضوع من عباءة المتكلمين إلى عباءة المذاهب الفقهية والأصولية.

سادسًا: منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، حيث تتبع كلام الأصوليين في مسألة التحسين والتقبيح، وحلّل كلامهم لتحرير آرائهم بدقة بعون **الله** سبحانه.

سابعًا: خطة البحث:

قسم الباحث البحث إلى أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الحُسْن والقُبْح لغةً واصطلاحًا.
- المبحث الثاني: مذاهب العلماء والأصوليين في الحسن والقبح الذاتي.
- المبحث الثالث: طريق معرفة الحسن والقبح.
- المبحث الرابع: مقارنة مذهب الماتريدية مع مذهب المعتزلة مع مذهب ابن تيمية.

المبحث الأول: الحُسْن والقُبْح لغةً واصطلاحًا:

اكتفى أهل اللغة بتعريف كل من الحسن والقبح بضد الآخر، اكتفاءً منهم بظهور معناهما [9]، وقيل: هو اعتدال الخَلق [10]، وقيل: ما تقبله النفس ويميل إليه الطبع [11].

أما الحُسن والقبح في اصطلاح الأصوليين فهو متعلق بأفعال العباد ويطلق من ثلاثة وجوه:

- أولها: من حيث موافقةُ الفعل للطبع أو منافرته له، مثل حسن إنقاذ الغريق وقبح اتهام الأبرياء [12].
- ثانيها: من حيث وصفُ الفعل بالكمال أو النقص، مثل حسن العلم وقبح الجهل [13].
- ثالثها: من حيث المدحُ والذم الشرعيان، هل فاعله مستحق للمدح أو الذم؟ وبعبارة أبسط: ما حكم الفعل؟ مأمور به أم منهي عنه أم مخيّر فيه؟ أو قل هل هو واجب أو حرام أو مباح أو مندوب أم مكروه؟ [14].

وذكر الغزالي أن الاصطلاحات في الحسن والقبح ثلاثة: أحدها: موافقة الطبع أو منافرته، وثانيها: ما حسّنه الشرع بالثناء عليه، فيقال للواجب والمندوب حسنًا، ولا يقال ذلك في حق المباح،

وثالثها: إطلاق الحَسَن على ما يجوز فعله، والقبيح على ما لا يجوز فعله، ولم يحجر الغزالي على أحد في الاصطلاح، بل صرح بأنه لا مشاحة في إطلاق الحسن أو القبح على الفعل من أي وجه من هذه الوجوه الثلاثة [15]. ولا خلاف بين الأصوليين أن الحسن بمعنى الموافقة للطبع وكونه صفة كمال للعقل أن يقرر فيهما ما يراه، ولا ينكر ذلك أحد من الأصوليين على المذاهب الأربعة [16]، خلافاً لما ظنه بعض المعاصرين، ولكن الأصوليين اختلفوا في المعنى الثالث، وهو متعلق المدح والذم الشرعيين [17]، مع إجماع الأمة بأسرهم على أنه لا حكم إلا لله – [18] – I، ولا بد من فصل الخلاف بين مسألة التحسين الذاتي، ومسألة دور العقل في معرفة الحسن والقبح، حتى يتضح البحث ولا يكون هناك خلط في النسبة إلى المذاهب، فقد نسب للمعتزلة ما لم يقولوه، وقد نوّه القرافي في نفائس الأصول بغلط كثير من الفقهاء في فهم رأي المعتزلة فقال: » فأكثر الفقهاء ما يفهم إلا أن العقل عند المعتزلة هو الموجب، وليس كذلك» [19]، وقيل: بأن الحنفية وافقوا المعتزلة، ونُفي عنهم ذلك [20].

ويرى الباحث أن أهم قضية في بحث التحسين والتقبيح هي أصل البحث، لكي لا يضيع الباحث بين كلام الأصوليين فيما لا يحسمه غير معرفة الاصطلاح، ويعرف ذلك من كتب الأصول المتقدمة:

فهذا أبو الحسين البصري (436 هـ)، قال في مقدمة كتابه (المعتمد): »فإن قيل فما الأحكام ها هنا؟ قيل: هي المنقسمة إلى كون الفعل حسنًا مباحًا ومندوبًا إليه وواجبًا، وقبيحًا محرمًا محظورًا ومكروهًا، وليست الأحكام هي الأفعال؛ لأن الأحكام مضافة إلى الأفعال» [21]. وفي فصول الجصاص (370 هـ) في موضوع إفادة الأمر الوجوب أو الندب يقول: » اختلف أهل العلم في ذلك. فقال قائلون: الذي يفيده هذا اللفظ عند الإطلاق الدلالةَ على حسن المأمور به كونه مرغبًا فيه، ولا يصرف إلى الإيجاب ولا الإباحة إلا بدلالة» [22]، فالبحث هنا في الأحكام. وهذا أبو بكر الباقلاني (403 هـ) يقول في باب أقسام الفعل الداخل تحت التكليف: »والذي له فعله منها حسن كله، وهو ينقسم إلى مباح وندب وواجب. . . والذي ليس له فعله هو القبيح المحرم الإقدام عليه» [23]، فالبحث في الفعل من حيث التشريع المرتبط به، لا من حيث هو. وهذا إمام الحرمين (478 هـ) يقول – تحت عنوان القول في أقسام الحسن والقبيح شرعًا–: » جملة أفعال المكلفين يحصرها قسمان في حكم الشرع أحدهما: ما للمكلف فعله، والثاني: ما ليس له فعله. . . » [24]. وقال – رحمه الله – في مقدمة البرهان عبارة موجزة تلخص ما سبق من الشواهد والأمثلة: » ثم من أحكام الشرع التقبيح والتحسين، وهما راجعان إلى الأمر والنهي» [25]، حيث قالها بعد أن عرّف الفقه. فهذا الكلام لعلماء هم من رواد علم أصول الفقه من المعتزلة والمذاهب الفقهية يبين أن بحث الحسن والقبح هو بحث في أحكام الله – I – على الأفعال، أو في أنواع الأفعال من جهة تعلقها بالشريعة، وأن أصل البحث هو مقتضى الأمر والنهي الشرعيين.

ثم جاء الإمام الغزالي (505 هـ) وزاد المسألة بيانًا، فقال تحت عنوان (في حقيقة الحكم): " قول القائل هذا حسن وهذا قبيح لا يحس بفهم معناه ما لم يفهم معنى الحسن والقبح، فإن الاصطلاحات في إطلاق لفظ الحسن والقبح مختلفة فلا بد من تلخيصها. والاصطلاحات فيه ثلاثة: الأول: الاصطلاح المشهور العامي. وهو أن الأفعال تنقسم إلى ما يوافق غرض الفاعل. . . الاصطلاح الثاني: التعبير بالحسن عما حسنه الشرع بالثناء على فاعله. . . الاصطلاح الثالث: التعبير بالحسن عن كل ما لفاعله أن يفعله، فيكون المباح حسنًا مع المأمورات. . . " [26]، وبعدها قال: »ولا حجر على من يجعل لفظ الحسن عبارة عن شيء منها، فلا مشاحة في الألفاظ» [27]. وبعد معرفة حقيقة بحث الحسن والقبح – وهي حكم الشرع في الأفعال – يتبين موضع الخلاف وحقيقته، وهو أن الحسن والقبح عبارة عن حكم فعل العبد، أي ما يجوز له فعله وما لا يجوز، هذا أصل البحث عند الأصوليين.

وكذلك هو عند الفقهاء – لا سيما القدماء – يطلق ويراد به هذا المعنى، فهذا مالك كثيرًا ما كان يطلق لفظ الحسن عما هو مندوب، من ذلك قوله عن تحية المسجد: » وذلك حسن، وليس بواجب» [28]، وقال أيضاً: » من راطل ذهبًا بذهب، أو ورقًا [29] بورق، فكان بين الذهبين فضل مثقال، فأعطى صاحبه قيمته من الورق أو من غيرها، فلا يأخذه [30]، فإن ذلك قبيح، وذريعة إلى الربا» [31]، وكذلك الشافعي يصف الفعل الجائز أو المندوب بالحَسن [32]، وكذلك الإمام أحمد إذا قال: «أستقبحه أو هو قبيح فهو للتحريم» [33]، وإذا قال: هذا حسن أو أستحسنه فهو للندب [34]، فما وصفوه بالحسن من الأفعال هو ما جاز فعله، وما وصفوه بالقبح فهو ما حرموا فعله، فينبغي أن يتوقف عند اصطلاحهم وما أرادوه، ومن الخطأ الرجوع إلى اللغة أو إلى اصطلاح غير الأصوليين والفقهاء في المسألة، ثم نصب الخلاف بينهم، فإن ذلك سيؤدي إلى الخطأ في النقل لا محالة.

وحول هذا المعنى الأصولي الفقهي دار الخلاف بين العلماء، متمثلًا في مسألتين:

- الأولى: هي كون الحسن والقبح ذاتيين في الفعل أم لا.
- والثانية: طريق معرفة الحسن والقبح، هل هي بطريق العقل أم السمع، أم بالطريقين معًا؟

ومع خلافهم في هاتين المسألتين إلا أن الإجماع منعقد على أن القبيح من أفعال الخلق ما نهاهم الشارع عنه، وأن الحسن ما أمرهم الشارع به أو أباحه لهم، ولا خلاف بينهم في أن ما حسنه الشرع حسن، وما قبحه قبيح ولو خالف مقتضى العقول [35].

المبحث الثاني: مذاهب العلماء والأصوليين في الحسن والقبح الذاتيين:

- ذهب مالك والشافعي وأحمد، وجمهور المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن الحُسن والقبح ليسا ذاتيين في الأفعال، وليس في ذات الفعل أو صفته ما يقتضي تحسينه أو تقبيحه، وقالوا: إنه كان يصح في حكم العقل أن يقبح الشارع ما حسنه العقل والعكس صحيح [36]، وذهب إلى هذا المذهب السرخسي من الحنفية، ونُسب لمتأخري الحنفية [37].
- ذهب متقدمو الحنفية والمعتزلة قاطبة إلى أن الحسن والقبح ذاتيان في الأفعال، وقالوا: إن الله قد حرم ما سماه خبائث، لكي لا يصل إلينا خبثها [38]. وقد وافق ابن تيمية المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح الذاتي، فذهب إلى أن الأفعال في ذاتها متصفة بصفات حسنة وسيئة تقتضي الحمد والذم [39].

ثم اختلف المعتزلة فيما بينهم ثلاثة مذاهب:

– فقدماء المعتزلة قالوا بأن الحسن والقبح لذات الفعل،

فيكون الفعل هو الموجِب للحسن أو القبح، وليس في العقل صفة توجب الحسن أو القبح، ومثال ذلك الصيام فإنه عند هؤلاء حسن لذاته (لحقيقته) وهي الامتناع عن شهوتي البطن والفرج.

– وذهب فريق من المعتزلة إلى أن الفعل يقتضي لذاته صفة، وهذه الصفة هي الموجبة للحسن أو القبح، ومثال ذلك الصيام فإنه يشتمل على صفة، – هي كسر الشهوة المقتضي لترك المفسدة–، فهذه الصفة هي الموجبة للصيام لا الامتناع نفسه عن الشهوة.

– وذهب فريق ثالث إلى أن القبح يكون للصفة، أما الحسن فيكون لذات الفعل، ومثال ذلك: قبح الزنا فإنه ليس لذات الوقاع، وإنما القبح لاختلاط الأنساب المقتضي لترك تعاهد الأولاد، فالقبح هنا لصفة اختلاط الأنساب لا للوقاع، وأما الحسن فلذات الفعل كالصيام، فهو للامتناع لا لكسر الشهوة كما ذُكر آنفًا [40].

ووافقهم الحنفية في الجملة ولكن قالوا: إن الحسن والقبح قد يكون للذات، وقد يكون للصفة، وقد يكون لأمر آخر، ولم يجزموا ببعض الوجوه دون بعض [41].

المبحث الثالث: طريق معرفة الحسن والقبح، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد:

ومعنى طريق معرفة الحسن والقبح هو كيف يُعرف حكم الله تعالى، وهذه هي القضية الرئيسة في هذا البحث، لأنها ألصق بأصول الفقه مما سبق، وكما تبيّن من أقوال أئمة الأصول ورواده، فإن البحث هو في كيفية معرفة الممدوح من المذموم، والجائز من المحرم، وليس في مطلق الحسن والقبح، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على آراء، وستتبين خلال المطالب القادمة:

المطلب الأول: مذهب جمهور الفقهاء والأصوليين:

ذهب مالك والشافعي وأحمد، وجماهير الأصوليين من المالكية والشافعية والحنابلة، إلى أن الشرع هو منشئ للحسن والقبح ابتداء، وأن حسن الأفعال إنما هو عين ثناء الشارع على فاعلها، وقبح الأفعال هو عين ذم الشارع فاعلها، أي أن الحسن أو القبح وصف شرعي محض يستحيل معرفته بغير الشرع [42].

والناظر في كتب الأصول لا يرى خلافاً بين أصحاب هذه المذاهب في هذه المسألة، إلا إذا ثبت أن أبا الحسن الأشعري قد نفى الحسن العقلي مطلقًا، من زاوية موافقة الغرض، ومن زاوية صفة الكمال، ومن زاوية استحقاق المدح، وهذا الذي حاول الدكتور عايض الشهراني إلصاقه بأبي الحسن الأشعري، ونَسب لجمهور الأشاعرة نفي الحسن والقبح الذاتي مطلقاً [43]! خلافًا لما نقله أهل الأصول عمومًا –كما تقدم – أنه لا خلاف في أن العقل يحسن ويقبح إن كان ذلك بالنظر للغرض أو الصفة، بل إن ابن تيمية –وهو الذي أخذ الدكتور عايض برأيه في المسألة – قال في معرض بيان رأي أبي الحسن: » والحَسن والقبيح إنّما يعقل إذا كان الحَسن ملائماً للفاعل، وهو الذي يلتذ به، والقبيح يُنافيه؛ وهو الذي يُتألّم به. والحُسن والقبح في أفعال العباد بهذا الاعتبار متفق على جوازه. وإنّما النزاع في كونه يتعلّق به المدح والثواب. وهذا في الحقيقة يرجع إلى الألم واللذة» [44]، فهذا الكلام واضح الدلالة على اتفاق الأشعري مع الباقين على أن الحسن والقبح من جهة ملائمة الطبع عقلي.

المطلب الثاني: مذهب المعتزلة:

ذهب المعتزلة إلى أن العقل كاشف عن الحسن والقبح الذاتي في الفعل، ولكن عند التفصيل هم لا يقولون بأن العقل كاشف عن حسن جميع الأفعال أو قبحها، ولكن في القليل من الأفعال، ولا يدرَك في جُلّها إلا بالشرع، وتحرير رأي المعتزلة في المسألة لا يكاد يوجد في كتب الأصول المعاصرة، وإنما غالبها تنصب الخلاف بين المعتزلة والأشعرية، وتذكر رأي الماتريدية على أنه الوسط بين الطرفين [45]، وتحرير مذهب المعتزلة كالآتي:

عند مراجعة كتاب المعتمد لأبي الحسين البصري، يجد القارئ كلامًا يدل على عدم صحة كون المعتزلة يقولون بأن الحسن والقبح يعرفان بالعقل مطلقًا، فمثلًا يقول أبو الحسين: » وإطلاق قولنا مباح يفيد أن الله –تعالى – أباحه، بأن أعلمنا أو دلنا على حسنه ولم يمنع منه» [46]، وغير ذلك مما يحمل القارئ على التدقيق والتحقيق في مذهب المعتزلة.

وكلامه يبين أن الشرع عند المعتزلة يدل على الحسن والقبح، وأنه قد يقبّح ما فيه منفعة، ويحسّن ما فيه مفسدة، وأن المصالح والمفاسد متغيرة بحسب الأشخاص أو بحسب الأزمنة. هذا بشكل عام يبيّن أن مذهب المعتزلة في الحسن والقبح ليس مذهبًا عقليًا كما قد يفهم من بعض الكتب [47]، وعند التدقيق أكثر يتبين وجه الأمر أكثر، وهو أن المعتزلة قسموا أفعال الإنسان إلى قسمين:

- **الأول: قسم يدرك بالعقل، وقسموه قسمين:**

– قسم يدرك بضرورة [48] العقل؛ مثل معرفةُ حسنِ الصدق الذي لا ضرر فيه، وقبح الكذب الذي لا نفع فيه، فقالوا: إن هذا الحسن والقبح يدرك بالبداهة.

– قسم يدرك بنظر العقل [49]، أي يحتاج إلى نظر واستدلال لكي يعرف حسنه أو قبحه؛ مثل حسن الصدق الذي فيه ضرر، وقبح الكذب الذي فيه نفع [50].

- الثاني: وقسم من الأفعال يدرك الحسن والقبح فيه بالنقل (الشرع)، ولا يستقل العقل بإدراكه حسنَها أو قبحها، وقالوا: إن معظم تفاصيل الشريعة من هذا الصنف [51]، مثل حسن صيام رمضان وقبح صيام يوم العيد، ومثل قبح الزنا واللواط وشرب الخمر، وقتل النفس، فمثل ذلك من الأفعال لا يستقل العقل بإدراك حسنها أو قبحها [52]، هذا هو مذهب المعتزلة.

والفرق بينهم وبين الجمهور هو أن الدليل الشرعي عند المعتزلة إما مؤكد لأحكام العقول، أو كاشف لحكم ما لم تتوصل إليه العقول، والجمهور يقولون الشرع منشئ للحسن والقبح بواسطة الأمر والنهي.

وانبنى على هذا الخلاف خلاف أصولي كبير، وهو تعيين أدلة الشرع وهي أن الأدلة الشرعية عند المعتزلة: «العقل وكتاب الله –سبحانه – وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – والإجماع، فالعقل يخص به عموم الكتاب والسنة" [53]، وأنه على المجتهد إذا أراد معرفة حكم المسألة أن ينظر إليها بعقله ليعرف حكمه، ما لم يرد دليل شرعي ناقل عن حكم العقل [54].

مسألة: إيجاب العقل للمدح والذمّ عند المعتزلة:

قيل: إن المعتزلة يقولون بأن أحكام العقل موجبة بذاتها، بمعنى أنه يترتب عليها وجوبًا أحكام الشريعة، ولو فرض عدم التشريع [55]، وهذه الدعوى لا تصح، وقد نوّه الإمام القرافي –كما تقدم – بخطأ ترجمة قول المعتزلة بإيجاب العقل، فقال: » فأكثرُ الفقهاء ما يفهم إلا أن العقل عند المعتزلة هو الموجب، وليس كذلك» [56]، وقد تبيّن رأي المعتزلة في ذلك من كتاب المعتمد لأبي الحسين، ووضحه الأصوليون أكثر بأن المعتزلة يقولون: **الله** –تعالى – حكيم فيستحيل عليه إهمال المفاسد بلا تحريم، وإهمال المصالح بلا تجويز، ورتبوا على ذلك أن العقل هو الذي يدرك أن **الله** –تعالى – حكم بتحريم المفاسد وإيجاب المصالح، لا أن العقل هو الموجب والمحرم (الحاكم)، بل الموجب والمحرم هو **الله** –تعالى – إجماعًا [57]، وبين ذلك الزركشي فقال: »اعلم أن المعتزلة – وإن أطلقوا أقوالهم بأن العقل يحسن ويقبح – لم يريدوا به أنه يوجب الحسن والقبح. . . وإنما عنوا به أن العقل يكشف عن حسن الحسن وقبح القبيح» [58]، وعليه فالإيجاب عند المعتزلة ليس على ظاهره [59]. هذه خلاصة مذهب المعتزلة في مسألة إيجاب العقل للحسن والقبح.

المطلب الثالث: مذهب الحنفية:

اختار الباحث أن يفْصل بين مذهب المعتزلة والحنفية ليظهر للقارئ تطابق الرأيين على وجه بيّن، وتحرير مذهب الحنفية كما يلي:

- المعتمد عند الحنفية والماتريدية أن العقل كاشف عن حكم بعض الأفعال، لما فيها من حسن أو قبح ذاتي [60]، قال اللكنوي: »فإذا أدرك في بعض الأفعال كالإيمان والكفر. . . يتعلق الحكم منه تعالى بذمة العبد، وهو مذهب هؤلاء الكرام [61] والمعتزلة، إلا أنه عندنا لا تجب العقوبة بحسب القبح العقلي. . . لاحتمال العفو، بخلاف هؤلاء بناء على وجوب العدل عندهم [62]. . . » [63]، ومستند الحنفية في قولهم هو ما نقل عن الإمام أبي حنيفة: «لا عذر لأحد في الجهل بالخالق» [64]، وبناء عليه فإن أبا حنيفة يوجب الإيمان على المكلف بالعقل، ولكن الحنفية حملوا الوجوب على ما بعد فترة الإمهال من **الله** تعالى [65].

- مذهب السرخسي وابن الهمام ومتأخري الحنفية هو مذهب الأشاعرة، وذكر البهاري أن من لقيهم من مشايخ الحنفية يقولون بقول الأشاعرة [66].

فرع: مقارنة مذهب الحنفية بمذهب المعتزلة:

وافق متقدمو الحنفية – ومنهم أبو منصور الماتريدي – المعتزلة جملةً وتفصيلًا وتفريعًا في هذه المسألة، أما من حيث الجملة فإنهم اتفقوا أن الحسن والقبح ذاتيان عقليان، واتفقوا كذلك على أن العقل كاشف لحسن الأفعال بمعنى حكمها، وأنه ليس التحسين والتقبيح وصفين شرعيين ولكنهما انعكاس للحسن والقبح الذاتيين.

وأما من حيث التفصيل فيدل على ذلك ثلاثة أمور:

- أولها: قد بيّن اللكنوي أن المعتمد عند الحنفية –وذكر بالاسم أبا منصور الماتريدي – القول بوجوب الإيمان وتحريم الكفر عقلًا، حتى إنهم أوجبوا الإيمان على الصبي العاقل، ثم قال: »ثم اعلم أنه لا فرق بين قول هؤلاء الكرام [67] وقول المعتزلة» [68].

- ثانيها: بيّن بعض الحنفية – وهم يبيّنون خلافهم مع الأشاعرة – أن الحسن والقبح يعرف بثلاثة طرق:

– أن يخلق **الله** علمًا ضروريًا بالحسن والقبح بلا كسب، كحسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضار.

– أن يخلق **الله** علما ضروريا مع كسب أي مع نظر، كالحسن والقبح المستفاد من الأدلة، وترتيب المقدمات.

– السمع وقالوا: كأكثر أحكام الشرع [69].

وهذا التقسيم قد مر نفسه عند عرض مذهب المعتزلة، وهو معرفة الحسن والقبح بضرورة العقل أو نظره، أو السمع، وحتى بعد ذكر السمع، أكدوا على أن هذا القسم هو أكثر أحكام الشرع، كما ذكر الجويني عن مذهب المعتزلة تمامًا [70].

- ثالثها: يفرق عبد العزيز البخاري الحنفي بين رأي الحنفية ورأي المعتزلة من حيثية واحدة فقط، وهي إيجاب العقل، فقال بعد ذكره لمذهب الحنفية: » وهذا القول [71] موافق لقول الفريق الأول [72] من حيث الظاهر، سوى أنهم [73] يجعلون نفس العقل موجِبًا، وهؤلاء يقولون الموجب هو **الله** تعالى، والعقل معرّف لإيجابه كالخطاب» [74]، وقد تبين مراد المعتزلة بإيجاب العقل بأنه ليس على ظاهره، وأن الموجب حقيقة هو **الله** تعالى، وإنما العقل عندهم كاشف عن حكم **الله** في بعض الأفعال، والسمع كاشف للباقي إذا قصّر العقل.

فمذهب الحنفية: »وعندنا العقل معرف للوجوب، والموجب هو **الله** تعالى» [75]، ومذهب المعتزلة أن العقل: »أدرك أن **الله** تعالى حكم بتحريم المفاسد، وإيجاب المصالح، لا لأن العقل هو الموجب والمحرم، بل الموجب والمحرم هو **الله** تعالى» [76]، فانتفى الفارق.

وأما موافقة الحنفية للمعتزلة من حيث التفريع فقد توافق رأي جمهور الحنفية والمعتزلة في مسائل أصولية وفقهية مبنية على مسألة الحسن والقبح، منها:

– تحدث الكمال بن الهمام في مسائل النسخ فذكر أن الحنفية والمعتزلة لا يجوز عندهم نسخ حكم فعل لا يقبل حسنه أو قبحه السقوط، كوجوب الإيمان وحرمة الكفر، فذهبوا إلى أن حسن الإيمان وقبح الكفر ثابت لا يقبل السقوط، وقال بعدها إن هذه المسألة فرع لمسألة التحسين والتقبيح [77].

– مسألة عقوبة العاقل قبل بلوغ الرسالة، فقد ذهب الحنفية إلى أن من لم تبلغه الرسالة ولم يؤمن بالله فهو من أهل النار، إذا عقل وأمهل فترة للتأمل والنظر، وكذلك قالت المعتزلة إذا تأهل للنظر خلافًا للجمهور [78].

وهذا الاتفاق وغيره في التفريع على مسألة التحسين والتقبيح العقلي بين الحنفية والمعتزلة يؤكد على توافق الرأيين في موضوع التحسين والتقبيح، حتى إن ابن أمير حاج الحنفي نقل عن ابن الهمام كلامًا في تطابق قول الحنفية والمعتزلة، حيث قال بعد أن نقل مذهب الحنفية: ». . . وهذا هو عين قول المعتزلة لا كما يحرفه بعضهم» [79].

وإن الفرق الأصولي الجوهري – في نظر الباحث – بين الحنفية والمعتزلة هو أن المعتزلي يبني اجتهاده في الفروع على تحسين

عقله ما لم يثبت له ناقل شرعي كما بين أبو الحسين البصري، بينما الحنفي يتوقف في المسألة حتى يستدل بالسمع على حكم الفعل، احترامًا للشارع الحكيم وليس نفيًا لتحسين عقله [80].

فرع: مذهب ابن تيمية في التحسين والتقبيح:

رأى الباحث ضرورة تحرير مذهب ابن تيمية لأن بعض الباحثين ظن رأيه مستقلًا عن باقي المذاهب، وبعضهم ظن أن مذهبه هو مذهب السلف من الصحابة ومن بعدهم، والحقيقة أن لابن تيمية كلامًا متناثراً في كثير من كتبه، **ولتحرير قوله لا بد من مقارنة كلامه ببعضه:**

- من كتاب مجموع الفتاوى، ذم رأي الأشاعرة وعد نفي التحسين العقلي بدعة [81].

- من كتاب التدمرية وكتاب النبوات ذكر الاتفاق على أن الحسن العقلي لا يختلف عليه إذا كان المقصود بالحسن والقبح ملاءمة الطبع أو منافرته [82].

- من كتاب درء تعارض العقل والنقل ذهب ابن تيمية إلى أن الأفعال فيها حسن وقبح ذاتي يقتضي المدح والذم، وهو عين مذهب المعتزلة وجمهور الحنفية، حيث قال: » وطائفة تقول: بل هي متصفة بصفات حسنة وسيئة تقتضي الحمد والذم، ولكن لا يعاقب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة. . . وهذا أصح الأقوال، وعليه يدل الكتاب والسنة» [83]، فهو يتفق مع المعتزلة في استحقاق الثواب والعقاب بالعقل، إلا أنه خالفهم في إيقاع العقوبة قبل الرسالة.

- في كتاب المستدرك على مجموع الفتاوى أكد ابن تيمية على موافقته لمذهب المعتزلة والحنفية فقال: » ولا يجوز أن يرد السمع بحظر ما كان في العقل واجبًا نحو شكر المنعم والعدل والإنصاف ونحوه. وكذلك لا يجوز أن يرد بإباحة ما كان في العقل محظورًا، نحو الكذب والظلم وكفر نعمة المنعم ونحوه» [84]، فهو يرى أن العقل موجب للحكم ومثّل بشكر المنعم ووجوب العدل وحرمة الظلم والكذب وكفر النعمة، وهذا هو عين مذهب المعتزلة على الفهم الصحيح الذي بينه القرافي للإيجاب.

وعليه فإن مذهب متقدمي الماتريدية والمعتزلة وابن تيمية هو مذهب واحد في مسألة التحسين والتقبيح، **والله أعلم.**

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى ما يلي:

1. الحسن والقبح يطلق باعتبارات متعددة، والخلاف فيه واقع باعتبار مدح الشارع وذمه، أما فيما سوى ذلك فلا خلاف في المسألة ولا مشاحة في الاستعمال.

2. أصل إطلاق الحسن والقبح عند الفقهاء والأصوليين هو وصف فعل المكلف بالتحليل والتحريم أي بالحكم الشرعي، فالحسن ما جاز فعله أو وجب، والقبيح ما حرم فعله أو نُهي عنه.

3. مذهب الأشعري هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجماهير الفقهاء والأصوليين والمحدّثين، ومذهب الماتريدي هو مذهب أبي حنيفة ومتقدمي الحنفية.

4. اتفق متقدمو الحنفية وابن تيمية مع المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح.

5. ظن بعض القدماء والمعاصرين أن مذهب المعتزلة إيجاب العقل للحسن والقبح، ففرقوا بين مذهب الحنفية وابن تيمية والمعتزلة، ولكن تحقيق مذهب المعتزلة أن الحاكم هو **الله تعالى**، ولكن العقل كاشف للحسن والقبح في بعض الأفعال، وفاقًا مع الحنفية.

6. الفرق بين الحنفية والمعتزلة أن المعتزلة يجيزون ما يحسنه العقل ما لم يرد الدليل السمعي، أما الحنفية فلا يجيزون ما حسنه العقل حتى يرد الدليل السمعي احترامًا للشارع.

7. الفرق بين ابن تيمية والمعتزلة والحنفية أن ابن تيمية عذر المكلف قبل الرسالة، بينما الحنفية والمعتزلة لم يعذروه.

التوصيات:

وهي كما يلي:

♦ أولًا. يوصي الباحث الباحثين بالتدقيق والتحقيق في نقل المذاهب سواء كانت مذاهب كلامية أو أصولية أو فقهية، لأن الأبحاث تقوم على الأمانة.

♦ ثانيًا. يوصي الباحث بدراسة ظاهرة التحسين والتقبيح عند الفقهاء.

♦ ثالثًا. يوصي الباحث بتخصيص دراسة لما ترتب عند العلماء من خلافات فقهية بناء على خلافهم في التحسين والتقبيح العقلي.

♦ رابعًا. يوصي الباحث بتحقيق مذهب المعتزلة في العمل إذا تعارض العقل والنقل.

الهوامش:

1. ينظر: مسعود بن عمر، شرح التلويح على التوضيح، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ)، ج1/ ص324 – 325؛ محمد بن نظام الدين، فواتح الرَّحَمُوت بشرح مُسَلَّم الثُّبوت، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ)، ج1/ ص26؛ منصور بن محمد، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد الشافعي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، 1418هـ)، ج2/ ص45؛ د. أيمن البدارين، نظرية التقعيد الأصولي، (بيروت، دار الرازي، دار ابن حزم، ط1، 1427هـ)، ص449 – 476.

2. ينظر: د. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، (القاهرة، مؤسسة قرطبة، ط6، 1396هـ)، ص70 – 72؛ عبد الوهاب خلاّف، علم أصول الفقه، (دمشق، دار القلم، ط8، د. ت)، ص98 – 99؛ د. محمد الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه، (دمشق، دار الخير، ط2، 1427هـ)، ج1/ ص455 – 456؛ أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (هيرندن– فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4، 1415هـ)، ص243 – 244، ط4.

3. محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، (بيروت، دار الكتبي، ط1، 1414هـ)، ج1/ ص178 – 179.

4. ينظر: د. عايض الشهراني، التحسين والتقبيح العقليان وأثرهما في مسائل أصول الفقه، (الرياض، كنوز إشبيليا، ط1، 1429هـ)، ص403.

5. ينظر: أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، تحقيق: طه سعد، (القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1، 1393هـ)، ص88؛ إبراهيم بن

موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلمان، القاهرة، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ، ج3/ ص28؛ محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد الشافي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ)، ص46؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص176 – 178؛ أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، (السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411هـ)، ج8/ ص492.

6. علي بن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: د. عَبد الله التركي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ)، ج1/ ص26؛ عبد السلام بن تيمية، عبد الحليم بن تيمية، أحمد بن تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق: د. أحمد الذروي، (الرياض، دار الفضيلة، ط1، 1422هـ)، ج2/ ص854؛ محمد بن مفلح، أصول الفقه، تحقيق: د. فهد السَّدَحَان، (السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 1420هـ)، ج1/ ص149؛ علي بن سليمان، تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1434هـ)، ج1/ ص97؛ محمد بن أحمد، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، (السعودية، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ)، ج1/ ص301.

7. ينظر: ماهر الحولي، دور العقل في إدراك الحكم الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد الثاني عشر – العدد الثاني، سنة 2004م، ص139 – 140.

8. ينظر: ماهر الحولي، دور العقل في إدراك الحكم الشرعي، ص141 – 142.

9. ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1399هـ)، ج2/ ص57، ج5/ ص47؛ محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج2/ ص552؛ ج13/ ص114؛ محمّد بن محمّد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلالي، (الكويت، التراث العربي، ط1، 1421هـ)، ج34/ ص418.

10. ينظر: محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ، ص170؛ عبد الملك الجويني، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله النبالي وبشير العمري، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1417هـ)، ج1/ ص153 – 154.

11. ينظر: محمد بن أحمد، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق: د. محمد زكي عبد البر، (قطر، مطابع الدوحة الحديثة، ط1، 1404هـ)، ص45 – 46.

12. ينظر: محمد بن علي الطيب، المعتمد، تحقيق: خليل الميس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ)، ج1/ ص336 – 337؛ السمرقندي، ميزان الأصول، ص46؛ أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص88؛ عبد الملك الجويني، التلخيص، ج1/ ص154.

13. ينظر: أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص88؛ عبد الوهاب بن تقي الدين، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1419هـ)، ج1/ ص447؛ عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول شرح منهاج الوصول، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ)، ص54؛ علي بن سليمان، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1421هـ)، ج2/ ص716.

14. ينظر: محمد بن علي الطيب، المعتمد، ج1/ ص334 – 337؛ أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص88؛ عبد الملك الجويني، التلخيص، ج1/ ص154.

15. ينظر: محمد بن محمد، المستصفى، ص45 – 46.

16. ينظر: محمد بن محمود، الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: ضيف الله العمرى، ترحيب الدوسري، (الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، 1426هـ)، ج1/ ص322؛ علي بن إسماعيل، التحقيق والبيان في شرح البرهان، تحقيق: د. علي الجزائري، (الكويت، دار الضياء، ط1، 1434هـ)، ج1/ ص279؛ عبد الملك الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح عويضة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، ج1/ ص10؛ محمد بن محمد، المستصفى، ص46؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص176 – 178؛ علي بن سليمان، تحرير المنقول، ج1/ ص197؛ ابن النجار، مختصر التحرير، ج1/ ص301.

17. ينظر: محمد بن علي الطيب، المعتمد، ج1/ ص336 – 337؛ أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص88؛ عبد الملك الجويني، التلخيص، ج1/ ص154؛ محمد بن عمر، المحصول في علم الأصول، تحقيق: د. طه العلواني، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ)، ج1/ ص123.

18. ينظر: محمد بن محمد، فواتح الرَّحَمُوت، ج1/ ص23.

19. أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل عبد الموجود – علي معوض، (مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1416هـ)، ج1/ ص354.

20. ينظر: محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص185 – 186.

21. محمد بن علي الطيب، المعتمد، ج1/ ص4.

22. أحمد بن علي، الفصول في الأصول، (الكويت، وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1414هـ)، ج2/ ص102.

23. محمد بن الطيب، التقريب والإرشاد، تحقيق: عبد الحميد أبو زنيد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1418هـ)، ج1/ ص276.

24. عبد الملك الجويني، التلخيص، ج1/ ص161.

25. عبد الملك الجويني، البرهان، ج1/ ص8.

26. محمد بن محمد، المستصفى، ص45 – 46.

27. محمد بن محمد، المستصفى، ص46.

28. مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1406هـ)، ج1/ ص162.

29. الوَرِق بكسر الراء أو الوَرْق بتسكينها أو الوِرْق بكسر الواو هي دراهم الفضة، ينظر: محمد بن مكرم، لسان العرب، ج10/ ص375.

30. والمراد أنه لا يجوز بيع ذهب بذهب مع فارق في الوزن بين الذهبين ودفع فضة بدل فرق الوزن، أو العكس وهي من مسائل الربا المشهورة عند الفقهاء، ينظر: محمد بن أحمد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1408هـ)، ج7/ ص28.

31. مالك، الموطأ، ج2/ ص638.

32. ينظر: محمد بن إدريس، الأم، (بيروت، دار المعرفة، د. ط، 1410هـ)، ج1/ ص234، 273، 281.

33. ينظر: إسحاق بن منصور، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1425هـ)، ج1/ ص102.

34. ينظر: إسحاق بن منصور، مسائل الإمام أحمد بن حنبل، ج1/ ص103.

35. علي بن إسماعيل، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله الجنيدي، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1422هـ)، ص137؛ أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، 90؛ عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول، ص55.

36. ينظر: أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص88؛ إبراهيم بن موسى، الموافقات، ج3/ ص28؛ محمد بن عمر، المحصول، ج1/ ص123 – 124؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص178 – 179؛ عبد الله بن أحمد، روضة الناظر، (مؤسسة الريّان، ط2، 1423هـ)، ج1/ ص244؛ أحمد بن عبد الحليم، درء التعارض بين العقل والنقل، ج8/ ص492.

37. ينظر: محمد بن أحمد، أصول السرخسي، (بيروت، دار المعرفة، د. ط، د. ت)، ج1/ ص60؛ محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص125.

38. ينظر: محمد بن أحمد، أصول السرخسي، ج1/ ص60؛ محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص23؛ عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، تحقيق: عبد الله عمر، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، ج1/ ص269.

39. ينظر: أحمد بن عبد الحليم، درء التعارض بين العقل والنقل، ج8/ ص492؛ محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ)، ج1/ ص246.

40. ينظر: محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص25؛ عبد الملك الجويني، التلخيص، ج1/ ص156 – 157؛ يحيى بن موسى، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السول، تحقيق: د. الهادي شبيلي ويوسف الأخضر، (دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1422هـ)، ج1/ ص422.

41. محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص25.

42. ينظر: أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص88 – 90؛ الموافقات، ج1/ ص125، ج3/ ص28؛ محمد بن عمر، المحصول، ج1/ ص123 – 124؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص176 – 178؛ عبد الله بن أحمد، روضة الناظر، ج1/ ص224؛ أحمد بن عبد الحليم، درء التعارض بين العقل والنقل، ج8/ ص492.

43. ينظر: عايض الشهراني، التحسين والتقبيح العقليان، ص313.

44. أحمد بن عبد الحليم، النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، الرياض، أضواء السلف،، ط1، 1420هـ، ج1/ ص453.

45. ينظر: عبد الكريم زيدان، الوجيز، ص70 – 72، عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، 98 – 99؛ محمد الزحيلي، الوجيز، ج1/ ص455 – 456؛ أحمد الريسوني، نظرية المقاصد، ص243 – 244.

46. ينظر: محمد بن علي الطيب، المعتمد، ج1/ ص337.

47. المصدر السابق نفسه، ج1/ ص370 – 374.

48. والعلم الضروري هو علم لا يُحتاج في الوصول إليه إلى نظر واستدلال، ينظر: سليمان بن خلف، الحدود في الأصول، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ)، ص96 – 97.

49. والعلم النظري هو ما احتاج إلى تقدم النظر والاستدلال، سليمان بن خلف، الحدود في الأصول، ص96 – 97.

50. ينظر: أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، ص88؛ عبد الملك الجويني، البرهان، ج1/ ص8 – 9؛ محمد بن محمد، المستصفى، ص45.

51. ينظر: عبد الملك الجويني، البرهان، ج1/ ص9.

52. ينظر: أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص88؛ محمد بن محمد، المستصفى، ص45؛ محمد بن عمر، المحصول، ج1/ ص123 – 124؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص180.

53. ينظر: محمد بن علي الطيب، المعتمد، ج1/ ص252.

54. ينظر: محمد بن علي الطيب، المعتمد، ج2/ ص343.

55. ينظر: عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار، ج4/ ص324 – 325؛ محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص23؛ أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، ص90؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص176.

56. ينظر: أحمد بن إدريس، نفائس الأصول، ج1/ ص354.

57. ينظر: أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، 90؛ عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول، ص55.

58. ينظر: محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص176.

59. ينظر: محمد بن علي الطيب، المعتمد، ج1/ ص374؛ أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، 91؛ عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول، ص54 – 55؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ 189.

60. ينظر: محمد بن عبد الواحد، التحرير في أصول الفقه، (مصر، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، 1351هـ)، ص224.

61. يقصد قول الحنفية.

62. يريد المعتزلة.

63. محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص26.

64. عبد الله بن عمر، تقويم الأدلة في أصول الفقه، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1)، 1421هـ، ص443.

65. ينظر: عبد الله بن عمر، تقويم الأدلة، ص443.

66. محمد بن أحمد، أصول الفقه، ج1/ ص60؛ محمد بن عبد الواحد، التحرير، ص224؛ محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص26.

67. يريد قدماء الحنفية ومنهم الماتريدي.

68. محمد بن محمد، فواتح الرحموت، ج1/ ص25.

69. ينظر: مسعود بن عمر، شرح التلويح، ج1/ ص357؛ محمد بن عبد الله، البحر المحيط، ج1/ ص189.

70. ينظر: أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، ص88؛ عبد الملك الجويني، البرهان، ج1/ ص8 – 9؛ محمد بن محمد، المستصفى، ص45.

71. يقصد قول الحنفية.

72. يقصد قول المعتزلة.

73. الضمير يعود على المعتزلة.

74. عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار، ج4/ ص330.

75. المصدر السابق نفسه، ج4/ ص233.

76. أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، 90.

77. ينظر: عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار، ج4/ ص234؛ محمد بن عبد

الواحد، التحرير، ص384.

78. ينظر: عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار، ج4/ ص234؛ محمد بن عبد الواحد، التحرير في أصول الفقه، ص528 – 529.

79. محمد بن محمد، التقرير والتحبير على التحرير، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1403هـ)، ج2/ ص89.

80. عبد الله بن عمر، تقويم الأدلة، ص462.

81. أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ، ج6/ ص611.

82. أحمد بن عبد الحليم، التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تحقيق: د. محمد السعوي، الرياض، مكتبة العبيكان، ط6، 1421هـ، ص215.

83. ينظر: أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة السعودية، ط2، 1411 هـ، ج8/ ص492 – 493.

84. ينظر: أحمد بن عبد الحليم، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط1، 1418 هـ، ج2/ ص12 – 13.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**.

1. الأبياري، علي بن إسماعيل، التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، تحقيق: د. علي الجزائري، (الكويت، دار الضياء، ط1، 1434هـ)، ج1.
2. الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول شرح منهاج الوصول، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ).
3. الأشعري، علي بن إسماعيل، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله الجنيدي، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1422هـ).
4. إمام الحرمين، عبد الملك الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح عويضة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، ج1.
5. إمام الحرمين، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله النبالي وبشير العمري، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1417هـ)، ج1.
6. د. أيمن البدارين، نظرية التقعيد الأصولي، (بيروت، دار الرازي، دار ابن حزم، ط1، 1427هـ).
7. البابرتي، محمد بن محمود، الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: ضيف الله العمرى – ترحيب الدوسري، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1426هـ)، ج1.
8. الباجي، سليمان بن خلف، الحدود في الأصول، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ).
9. الباقلاني، محمد بن الطيب، التقريب والإرشاد، تحقيق: عبد الحميد أبو زنيد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1418هـ)، ج1.
10. البخاري، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، ج1، ج4.
11. البركتي، محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ).
12. التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ)، ج1.
13. آل تيمية، عبد السلام بن تيمية، عبد الحليم بن تيمية، أحمد بن تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق: د. أحمد الذروي، (الرياض، دار الفضيلة، ط1، 1422هـ)، ج2.
14. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، (السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط2، 1411هـ)، ج8.
15. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ)، ج6.
16. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، (الرياض، مكتبة العبيكان، ط6، 1421هـ).
17. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (السعودية، ط1، 1418هـ)، ج2.
18. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (الرياض، أضواء السلف،، ط1، 1420هـ)، ج1.
19. الجصاص، أحمد بن علي، الفصول في الأصول، (الكويت، وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1414هـ)، ج2.
20. أبو الحسين البصري، محمد بن علي الطيب، المعتمد، تحقيق: خليل الميس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ)، ج1، ج2.
21. الحولي، ماهر، دور العقل في إدراك الحكم الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، سنة 2004م.
22. خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، (دمشق، دار القلم، ط8، د. ت).
23. الدّبوسيّ، عبد الله بن عمر، تقويم الأدلة في أصول الفقه، تحقيق: خليل الميس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ)، .
24. الرازي، محمد بن عمر، المحصول في علم الأصول، تحقيق: د. طه العلواني، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ)، ج1.
25. ابن رشد، محمد بن أحمد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1408هـ)، ج7.
26. الرهوني، يحيى بن موسى، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السول، تحقيق: د. الهادي شبيلي ويوسف الأخضر، (دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1422هـ)، ج1.
27. الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (هيرندن – فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4، 1415هـ).
28. الزحيلي، محمد، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، (دمشق، دار الخير، ط2، 1427هـ)، ج1.
29. الزركشي، محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، (بيروت، دار الكتبي، ط1، 1414هـ)، ج1.
30. زيدان، عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه، (القاهرة، مؤسسة قرطبة، ط6، 1396هـ).

31. السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1999م)، ج1.

32. السرخسي، محمد بن أحمد، أصول السرخسي، (بيروت، دار المعرفة، د. ط، د. ت)، ج1.

33. السمرقندي، علاء الدين، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق: د. محمد زكي عبد البر، (الدوحة، مطابع الدوحة الحديثة، ط1، 1404هـ).

34. ابن السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد الشافعي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، 1418هـ)، .

35. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلمان، (القاهرة، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ)، ج1، ج3.

36. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، (بيروت، دار المعرفة، د. ط، 1410هـ)، ج1.

37. الشهراني، عايض، التحسين والتقبيح العقليان وأثرهما في مسائل أصول الفقه، (الرياض، كنوز إشبيليا، ط1، 1429هـ).

38. ابن عقيل، علي بن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: د. عَبد الله التركي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ)، ج1.

39. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد الشافي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ).

40. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1399هـ)، ج2، ج5.

41. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، روضة الناظر، (مؤسسة الريّان، ط2، 1423هـ)، ج1.

42. القرافي، أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، (مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1416هـ)، ج1.

43. القرافي، أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1، 1393هـ).

44. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ)، ج1.

45. الكوسج، إسحاق بن منصور بن بهرام، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط1، 1425هـ)، ج1.

46. مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1406هـ)، ج1، ج2.

47. مرتضى، محمّد بن محمّد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلالي، (الكويت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421هـ)، ج34.

48. المرداوي، علي بن سليمان، تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1434هـ)، ج1.

49. المرداوي، علي بن سليمان، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1421هـ)، ج2.

50. ابن مفلح، محمد بن مفلح، أصول الفقه، تحقيق: د. فهد السَّدَحَان، (السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 1420هـ)، ج1.

51. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج2، ج10، ج13.

52. ابن أمير حاج، محمد بن محمد، التقرير والتحبير على التحرير، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1403هـ)، ج2.

53. اللكنوي، محمد بن محمد، فواتح الرَّحَمُوت بشرح مُسَلّم الثُّبوت، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ)، ج1.

54. ابن النجار الحنبلي، محمد بن أحمد، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، (السعودية، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ)، ج1.

55. ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد، التحرير في أصول الفقه، (مصر، مطبعة مصطفى الباب، د. ط، 1351هـ).

Six- Scientific Research Ethics:

The researcher must:

1. Commit to high professional and academic standards during the whole process of conducting research papers, from submitting the research proposal, conducting the research, collecting data, analyzing and discussing the results, and to eventually publishing the paper. All must be conducted with integrity, neutralism and without distortion.
2. Acknowledge the efforts of all those who participated in conducting the research such as colleagues and students and list their names in the list of authors, as well as acknowledging the financial and morale support utilized in conducting the research.
3. Commit to state references soundly, to avoid plagiarism in the research.
4. Commit to avoid conducting research papers that harm humans or environment. The researcher must obtain in advance an approval from the University or the institutions he/she works at, or from a committee for scientific research ethics if there is any, when conducting any experiments on humans or the environment.
5. Obtain a written acknowledgement from the individual/individuals who are referred to in the research, and clarify to them the consequences of listing them in the research. The researcher has also to maintain confidentiality and commit to state the results of his/her research in the form of statistical data analysis to ensure the confidentiality of the participating individuals.

Seven- Intellectual Property Rights:

1. The editorial board confirms its commitment to the intellectual property rights.
2. Researchers also have to commit to the intellectual property rights.
3. The research copyrights and publication are owned by the Journal once the researcher is notified about the approval of the paper. The scientific materials published or approved for publishing in the Journal should not be republished unless a written acknowledgment is obtained by the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.
4. Research papers should not be published or republished unless a written acknowledgement is obtained from the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.
5. The researcher has the right to accredit the research to himself, and to place his name on all the copies, editions and volumes published.
6. The author has the right to request the accreditation of the published papers to himself.

3. In case the researcher decides to use APA style for documenting resources in the text, references must be placed immediately after the quote in the following order, surname of the author, year of publication, page number.
4. Opaque terms or expressions are to be explained in endnotes. List of endnotes should be placed before the list of references and resources.

Note: for more information about using APA style for documenting please check the following link:

http://journals.qou.edu/recources/pdf/apa.pdf

Five- Peer Review & Publication Process:

All research papers are forwarded to a group of experts in the field to review and assess the submitted papers according to the known scientific standards. The paper is accepted after the researcher carries out the modifications requested. Opinions expressed in the research paper solely belong to their authors not the journal. The submitted papers are subject to initial assessment by the editorial board to decide about the eligibility of the research and whether it meets the publication guidelines. The editorial board has the right to decide if the paper is ineligible without providing the researcher with any justification.

The peer review process is implemented as follows:

1. The editorial board reviews the eligibility of the submitted research papers and their compliance with the publication guidelines to decide their eligibility to the peer review process.
2. The eligible research papers are forwarded to two specialized Referees of a similar rank or higher than the researcher. Those Referees are chosen by the editorial board in a confidential approach, they are specialized instructors who work at universities and research centers in Palestine and abroad.
3. Each referee must submit a report indicating the eligibility of the research for publication.
4. In case the results of the two referees were different, the research is forwarded to a third referee to settle the result and consequently his decision is considered definite.
5. The researcher is notified by the result of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submission. Prior to that, the researcher has to carry out the modifications in case there are any.
6. The researcher will receive a copy of the journal in which his/her paper was published, as for researchers from abroad, a copy of the Journal volume will be sent to the liaison university office in Jordan and the researcher in this case will pay the shipping cost from Jordan to his/her place of residency.

8. The Journal preserves the right to request the researcher to omit, delete, or rephrase any part of his/her paper to suit the publication policy. The Journal has also the right to make any changes on the form/ design of the research.
9. The research must include two research abstracts, one in Arabic and another in English of (150-200) words. The abstract must underline the objectives of the paper, statement of the problem, methodology, and the main conclusions. The researcher is also to provide no more than six keywords at the end of the abstract which enable an easy access in the database.
10. The researcher has to indicate if his research is part of a master thesis or a doctoral dissertation as he/she should clarify this in the cover page, possibly inserted in the footnote.
11. The research papers submitted to the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research will not be returned to the researchers whether accepted or declined.
12. In case the research does not comply with the publication guidelines, the deanship will send a declining letter to the researcher.
13. Researchers must commit to pay the expenses of the arbitration process, in case of withdrawal during the final evaluation process and publication procedures.
14. The researchers will be notified of the results and final decision of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submitting the research.

Four- Documentation:

1. Footnotes should be written at the end of the paper as follows; if the reference is a book, it is cited in the following order, name of the author, title of the book or paper, name of the translator if any or reviser, place of publication, publisher, edition, year of publishing, volume, and page number. If the reference is a journal, it should be cited as follows, author, paper title, journal title, journal volume, date of publication and page number. If the resource or reference is mentioned again then it should be written as follows: name of the author, title of the book/research, page number.
2. References and resources should be arranged at the end of the paper in accordance to the alphabetical order starting with the surname of author, followed by the name of the author, title of the book or paper, place of publishing, edition, year of publication, and volume. The list should not include any reference which is not mentioned in the body of the paper.

   - In case the resource is with no specified edition, the researcher writes (N.A).
   - In case the publishing company is in not available, the researcher writes (N.P).
   - In case there is no author, the researcher writes (N.A).
   - In case the publishing date is missing , the researcher writes (N.D).

Third- Publication Guidelines:

The editorial board of the journal stresses the importance of the full compliance with the publication guidelines, taking into note that research papers that do not meet the guidelines will not be considered, and they will be returned to the researchers for modification to comply with the publication guidelines.

1. Papers are accepted in Arabic and English only, and the language used should be well constructed and sound.
2. Application for publishing the research paper should be submitted through the website of the Journal, on the following link:

http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy in Microsoft Word format, taking into consideration the following:

- For papers written in Arabic: Font type should be Simplified Arabic, and the researcher should use bold font size 16 for head titles, bold font size 14 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
- For papers written in English: Font type should be Times New Roman, and the researcher should use bold font size 14 for head titles, bold font size 13 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
- the text should be single-spaced
- Margins:

For papers written in Arabic and English margins should be set to: 2cm top, 2.5 cm bottom, 1.5 cm left and right.

3. The paper should not exceed 25 (A4) pages or (7000) words including figures and graphics, tables, endnotes, and references, while annexes are inserted after the list of references, though annexes are not published but rather inserted only for the purpose of arbitration.
4. The research has to be characterized by originality, neutrality, and scientific value.
5. The research should not be published or submitted to be published in other journals, and the researcher has to submit a written acknowledgment that the research has never been published or sent for publication in other journals during the completion of the arbitration process. In addition, the main researcher must acknowledge that he/she had read the publication guidelines and he/she is fully abided by them.
6. The research should not be a chapter or part of an already published book.
7. Neither the research nor part of it should be published elsewhere, unless the researcher obtains a written acknowledgement from the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

Publication & Documentation Guidelines

First- Requirements of preparing the research:

The research must include the following:

1. A cover page which should include the title of the research stated in English and Arabic, including the name of researcher/researchers, his/her title, and email.
2. Two abstracts (English and Arabic) around (150-200 word). The abstract should include no more than 6 key words.
3. Graphs and diagrams should be placed within the text, serially numbered, and their titles, comments or remarks should be placed underneath.
4. Tables should be placed within the text, serially numbered and titles should be written above the tables, whereas comments or any remarks should be written underneath the tables.

Second- Submission Guidelines:

1. The Researcher should submit a letter addressing the Head of Editorial Board in which he/she requests his paper to be published in the Journal, specifying the specialization of his/her paper.
2. The researcher should submit a written pledge that the paper has not been published nor submitted for publishing in any other periodical, and that it is not a chapter or a part of a published book.
3. The researcher should submit a short Curriculum Vitae (CV) in which she/he includes full name, workplace, academic rank, specific specialization and contact information (phone and mobile number, and e-mail address).
4. Complete copy of the data collection tools (questionnaire or other) if not included in the paper itself or the Annexes.
5. No indication shall be given regarding the name or the identity of the researcher in the research paper, in order to ensure the confidentiality of the arbitration process.

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

Vision

Achieving leadership, excellence and innovation in the field of open learning, community service, and scientific research, in addition to reinforcing the University leading role in establishing a Palestinian society built on knowledge and science.

Mission

To prepare qualified graduates equipped with competencies that enable them to address the needs of their community, and compete in both local and regional labor markets. Furthermore, The University seeks to promote students' innovative contributions in scientific research and human and technical capacity-building, through providing them with educational and training programs in accordance with the best practices of open and blended learning approach, as well as through fostering an educational environment that promotes scientific research in accordance with the latest standards of quality and excellence. The University strives to implement its mission within a framework of knowledge exchange and cooperation with the community institutions and experts.

Core Values

To achieve the University's vision, mission and goals, the University strives to practice and promote the following core values:

- Leadership and excellence.
- Patriotism and nationalism.
- Democracy in education and equal opportunities.
- Academic and intellectual freedom.
- Commitment to regulations and bylaws.
- Partnership with the community
- Participative management.
- Enforcing the pioneer role of women.
- Integrity and Transparency.
- Competitiveness.

The Journal

Journal of Al-Quds Open University for Humanities & Social Research is a quarterly scientific refereed journal, issued every three months by the Deanship of Graduate Studies and Scientific Research. The first issue of the Journal was published in October 2002. The journal publishes original research papers and studies conducted by researchers and faculty staff at QOU and by their counterparts at local and overseas universities, in accordance with their academic specializations. The Journal also publishes reviews, scientific reports and translated research papers, provided that these papers have not been previously published in any conference book or in any other journal.

The Journal managed to obtain the Arab Impact Factor and the International Standard Serial Number (E- ISSN: 2616-9843), (P– ISSN: 2616-9835).

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Younes Morshed Amr

President of the University

EDITOR IN CHIEF

Prof. Samir Dawood Al-Najdi

SUPERVISING EDITOR

Prof. Husni Mohamad Awad

Dean of Graduate Studies & Scientific Research

EDITORIAL BOARD

Prof. Abd Al-Nasser Qasim Al-Farra
Prof. Mohamad Mohamad Al-Shalash
Prof. Hani Hussein Abu Al-Rob
Prof. 'Imad Saleh Abdel Al-Haq
Dr. Rushdi Yousef Al-Qawasmah
Dr. Atef Husni Al-'Asuli
Prof. Faisal Hussein Gawadrah
Prof. Jamal Mohamad Ibrahim
Prof. Sami Awad Abu Izhak
Dr. Mu'tasem Tawfiq Al-Khader
Dr. Ghassan Isma'il Fatafta
Dr. Musa Ali Talib

EDITOR FOR ARABIC LANGUAGE RESEARCHES

Dr. Zaher Hanani

EDITOR FOR ENGLISH LANGUAGE RESEARCHES

Adel Z'aiter Translation & Languages Center